الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

صورة الدم في شعر الجواهري

إعداد
زين عبد اللطيف عبدالله البيشاوي

بإشراف
الأستاذ الدكتور محمود السمرة

عميد كلية الدراسات العليا

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

كانون أول / ١٩٩٨

٩٩/١١/٩
١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعضاء لجنة المناقشة

١- الأستاذ الدكتور محمود السمرة رئيساً .....

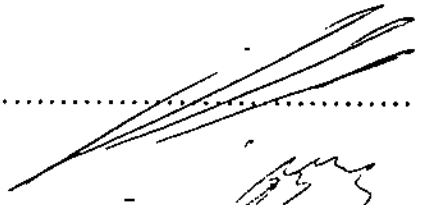

٢- الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين عضواً .....

٣- الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم حُوَر عضواً .....

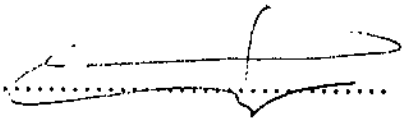

٤- الدكتور سمير قطامي عضواً .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى من سهر وتعب وعانى في حياته من أجلنا ، وارتسمت على وجنتيه خطوط التعب والشقاء ، معبرة عن العزة والأنفة والكرم والجود .

الى من أوصلني قارب النجاة ... ... إلى من ربى وعلم ... إلى من اعتز به و افتخر وامشي مرفوعة الرأس ،لأني احمل اسمه ، وانقشه في قلبي ، وعلى أوراقي ، وتطوف صورته في خيالي في كل زمان ومكان . إلى روح والدي الحبيب الذي افتقدته وأنا على مقاعد البحث والدراسة. وأسال الله أن يتغمدك برحمته ، ويسكنك فسيح جناته .

إليك اهدي ثمرتي الأولى في البحث والدراسة

ابنتك زين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير والاحترام ، والعرفان بالجميل ، لأستاذنا القدير: الدكتور محمود السمرة ، لتقبله الإشراف على الرسالة ، ورعايته لي ، فكان نعم الإنسان ، والأب ، والمربي، والمعلم .

وأخص بالشكر الجزيل أستاذي الفاضل الدكتور محمد إبراهيم حُوَّر الذي أعطاني الكثير خلال فترة البحث والدراسة فكان مثالاً للأستاذ المخلص الذي يستحق مني كل الشكر والعرفان .

ويسرني أن أتقدم بالشكر والامتنان للمشرفين الكريمين عضوي لجنة المناقشة :
الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين .
والدكتور سمير قطامي .

ولكم مني جزيل الشكر والعرفان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

رقم الصفحة

أعضاء لجنة المناقشة ..... ب

الاهداء ..... ج

شكر وتقدير ..... د

المحتويات ..... هـ

الملخص باللغة العربية ..... و

المقدمة ١

التمهيد ٤

الفصل الأول

صور تقليدية ١٣

الفصل الثاني

الدم والدمع ٣٢

الفصل الثالث

الدم حياً ٥٣

الفصل الرابع

الدم متكلماً ٧٥

الفصل الخامس

الدم واثباً ٩٤

الخاتمة ١٣٢

المصادر والمراجع ١٣٤

الملخص باللغة الانجليزية ١٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

صورة الدم في شعر الجواهري

إعداد

زين عبداللطيف البيشاوي

إشراف

الأستاذ الدكتور محمود السمرة

إن الصورة المتكررة عند الأديب ترد إلى بعض التجارب المؤلمة التي لا يستطيع الكاتب التخلص منها . وقد عاصر الجواهري جملة من أحداث الوطن مذ كان صبياً إلى أن غادر وطنه محبذا النفي الاختياري على البقاء في ظروف لا يقوى على السكوت عليها أو مواجهتها . وتكاد صورة الدم تشخص حالة الجواهري تماماً . مسلطة الضوء على الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي مرّ بها الوطن فكان منها شاعراً وسياسياً وصحفياً ومؤرخاً.

فعندما ينظم الجواهري قصيدته تتحد كل منازعه الداخلية سواء أكانت آتيه من العقل أو من الحس ، ولا يهمه أن تكون الصورة عقلية أو حسية ، بقدر ما يهتم بتوصيل تجربته إلى المتلقي ، وأحياناً يتشابك الحقيقي مع الحسي من أجل تشكيل الصورة وإظهار ما فيها من حيوية وإيحاء ، وتوظف هاتان الصورتان لخدمة فكرة الشاعر وتوصيلها إلى ذهن المتلقي . ويأتي شاعرنا بأنماط مختلفة من الصور : كالصورة اللونية والسمعية والحركية ، وهذه الأنماط تميز الشاعر عن غيره من الشعراء بقدرته على توظيفها لخدمة فكرته الأساسية في النص . وتتحد الصور معاً لتعبر عن الدلالة الرمزية التي يريدها الشاعر ، بشيء من الإيماء أو الإشارة ، ويهدف من خلال الإيماءات والإشارات إلى بعد أعمق من الصور الحسية إلى بعد انفعالي يبثه من خلال القصيدة كاملة ويلعب الرمز دوراً هاماً في قصيدته الشعرية ، ويعود ذلك إلى الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت تحيط بشاعرنا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستخدم شاعرنا صورة عقلية مستمداً مادتها من القرآن الكريم والأمثال وأشعار العرب، ويوظف هذه المادة الموروثة لخدمة فكرته الأساسية ، وهو بذلك يوظف التراث توظيفاً رائعاً مستخدماً فيه أسلوب الرمز .

ويستخدم إلى جانب ذلك مجموعة من المحسنات البديعية : كالتضاد والجناس والتكرار وتوزيع الحروف . وتصبح القصيدة في النهاية وحدة عضوية من حيث ارتباط الدلالات معاً ، وقدرتها على تحقيق التجانس في الصورة على مستوى الصياغة والروح الشعرية وفي ضوء حديثنا عن الصورة الفنية عند شاعرنا يمكننا أن ندرس صورة الدم في شعر الجواهري ضمن ثلاث دلالات :

١- الدلالة الذهنية .

٢- الدلالة النفسية .

٣- الدلالة الرمزية .

وأحياناً تتشابك الدلالات معاً لتعبر عن تجربة الشاعر إزاء أحداث الوطن .

واللافت للنظر أن يكون "الدم" إحدى وسائله التعبيرية في هذا المجال ، فنجده في بعض قصائده يعبر عن مأساة العراقيين والمصريين واللبنانيين والشاميين والفلسطينيين وحتى الجزائريين فكل هذه البلاد عانت من الاستعمار بشتى ألوانه وأشكاله كالاستعمار البريطاني والفرنسي والصهيوني ، ويأتي الجواهري بصورة الدمع ليخلق من خلالها الحالة الاستفزازية للشعب من أجل النهوض والثورة . ويقيم علاقة بين الدم ، وما يترتب عليه من موت وفناء، وبين الدمع ، وما لهما من أثر في إبراز المعنى الدلالي والمعنوي .

وفي النهاية تشكل صورة الدم والدمع في شعره لوحة فنية معبرة عن فترة الانكسار والاذلال والخضوع للاستعمار بشتى ألوانه وأشكاله . وقد اتخذ الرثاء غرضاً شعرياً للتعبير عن تفجعه وعويله وحسرته على الوطن العربي ، ليبث في أبنائه روح المقاومة والنهوض . ويدعوهم إلى الوحدة والتضامن والتكاتف ، بدل التفرق والتشتت ، وبذلك يتحقق لهم العزة والنصر . ويبقى الجواهري في صورته الفنية يدعو الشعب إلى النهوض والثورة ، ويبث فيهم روح النضال والجهاد ، ويعمل على تجميع معنوياتهم المبعثرة من أجل الحصول على استقلالهم، ويجعل الدم يتكلم عن ضياع البلاد ، والاستيلاء على الأراضي ، وتشريد الأبناء خارج أوطانهم ، وهدفه من هذا خلق الحالة الاستفزازية من أجل التحرك والثورة . ويأتي الجواهري بصور متعددة مستمداً عناصرها من الواقع ، فنجد عنده صورة الفقير ، والسجين ، والمشرد ، والمنفي ، والمثقف ، وما يعانيه هؤلاء من قبل أصحاب المناصب العالية ، والنفوذ القوي ، لتكون صورهم دليلاً صادقاً على إجرامهم واهتمامهم بمصالحهم الخاصة ، والشعب يعاني من الفقر والحاجة وستبقى حروفه تسيل دماً حتى يتحقق للشعب مراده ، وهو التخلص من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطأة الاستعمار والدم هو حالة التتويج الكلي بعد التيقن الذهني والنفسي ، لنراه في النهاية يحكي لنا قصة الرافضين والثائرين حتى يتحقق لهم النصر . ولا يكون ذلك إلا بالاتصاف بالإرادة والعزم والقوة والتدرع بالأسلحة والمعدات .

من هنا جاءت دراستنا لصورة الدم في شعر الجواهري وما تحمله من معاني البقاء والمقاومة، برغم الأسى والخيبة التي يتعرض لها الوطن العربي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة :-

يعدّ محمد مهدي الجواهري أبرز الشعراء المعاصرين الذين ساروا في القصيدة العربية على أسلوبها التراثي ، وحققوا نجاحاً فيها بمعالجتها لقضايا العصر وظروفه مع المحافظة على الأسلوب القديم بناءً ولغة . وقد خلف الجواهري ديوان شعر يزيد على ثمانية عشر ألف بيت . كانت صورة الدم في هذا الديوان تلح عليه كثيراً ، إذ توافر في ديوانه ما يزيد على ألف وثمانمائة بيت من الشعر ، تعرض فيها للدم بشكل مباشر وهي تصل إلى عشر الديوان ، أي أن بيتا من كل عشرة أبيات كتبها الجواهري كان معمداً بالدم . وقد تسربت الدماء إلى أكثر من عشرة مطالع لعشر قصائد له . ولما كانت الصورة المتكررة عند الأديب ترد إلى بعض التجارب الشخصية المؤلمة التي لا يستطيع الكاتب التخلص منها ، على حد تعبير ستيفن أولمان، فإن صورة الدم تكاد تشخص حالة الجواهري تماماً . فقد عاصر الشاعر جملة من أحداث الوطن، سالت فيها الدماء مذ كان صبياً إلى أن غادر وطنه ، محبذا النفي الاختياري على البقاء في ظروف لا يقوى على السكوت عليها أو مواجهتها . وقد تعددت لوحات الدم عند الشاعر وتنوعت صورها ، فمرة امتزج الدم بالدمع عنده . وأخرى كان الدم حياً ومرة ثالثة جاء متكلما، وفي صورة أخرى كان واثبا . من هنا تأتي أهمية دراسة هذا الجانب في شعر الشاعر، وهو جانب مسه بعض الباحثين مساً خفيفاً في سطور معدودة ، ولم يحظ بدراسة تكشف عن أبعاده وقيمته الموضوعية والفنية في شعر هذا الشاعر الكبير .

أشار عدد من الباحثين إلى صورة الدم عند الجواهري في سطور معدودة ، ومن هؤلاء الباحثين :

جبرا إبراهيم جبرا [١] ، وحسن العلوي [٢] ، وعبد الكريم الدجيلي [٣] ، وعلي عباس علوان [٤].

فقد تمنى جبرا إبراهيم جبرا أن يدرس هذه الظاهرة في شعر الجواهري حين قال: "كنت أود لو أبحث في صورة الدم في هذا الشعر حيا ، متكلما ، واثباً" [٥].

ورأى حسن العلوي أن للدم استخدامات في شعر الجواهري بوصفه غاليا، ومسفوحا ،

---

(١) النار والجوهر ٣٦ .

(٢) الجواهري ديوان العصر ٣٥٠-٣٥٤ .

(٣) الجواهري شاعر العربية ١: ٣٠

(٤) تطور الشعر العربي الحديث في العراق ٣٢٥-٣٢٨ .

(٥) النار والجوهر ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومجدا ، ومسلوبا ، ودليلاً ونظرية وحواراً [١] .

والدم في شعر الجواهري يستغرق كل حواسه ، ويملأ سمعه عند عبدالكريم الدجيلي [٢].

ونص علي عباس علوان أن للدم أوصافا في شعر الجواهري هي : المهدور والمطلول، والمحرم ، والعربي ، والضائع [٣] .

وقد دلل هؤلاء الباحثون على تلك الاستخدامات والأوصاف بنماذج شعرية محدودة لا تجاوز عشرة أبيات عند كل منهم .

هذا هو كل ما أشار إليه الباحثون حول الدم وصورته في شعر الجواهري ، وإن هذه الإشارات نمت على أهمية الموضوع ، وجدارته بالدرس . وكانت اللمحة الدالة هي الغالبة ، وكان الابتعاد عن التفسير والتحليل والتعليل لهذه الظاهرة المهمة هو الغائب ، وهذا ما حاولنا القيام به في هذه الدراسة .

وتم من خلال الديوان دراسة صورة الدم في شعر الجواهري . ووقعت الدراسة في تمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

تحدثت في التمهيد عن الصورة لغة واصطلاحاً وعن صلتها بالأدب .

كما تحدثت في الفصل الأول عن الصور التقليدية ، وبيان ما تحويه من صور قديمة وحديثة .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن صلة الدم بالدمع ودلالتهما على أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية ، وبيان حالة الضعف والانكسار الموجودة في الوطن العربي ، من خلالهما .

وفي الفصل الثالث تحدثت عن الدم حياً : بوصفه الحافز للتحدي ، والمنقذ من التردي الذي قد يلحق بالشعوب بعد هزيمتها ، أو وقوع الظلم عليها .

وفي الفصل الرابع تحدثت عن الدم متكلماً : إذ كان الدم شاهداً على الظلم ومتكلماً عليه .

وفي الفصل الخامس تحدثت عن الدم واثباً كونه هو الوسيلة الحقيقية للخلاص والانتصار ، فيما لو سفك في الوقت المناسب ، والظرف الملائم .

---

(١) الجواهري ديوان العصر ٣٥٠ .

(٢) الجواهري شاعر العربية ٣٠ .

(٣) تطور الشعر العربي الحديث في العراق ٣١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدثت في الخاتمة عن أهم نتائج الدراسة ، وعلاقتها بأحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية .

وقد كان رائدي في هذه الدراسة ديوان الشاعر ، بنصوصه المباشرة في الموضوع ، بوصفها خير منبئ عن توجه الشاعر ، وتطلعه لما يرتجيه من وراء هذه النصوص . وحرصت على أن يكون تحليلي لها وتعليقي عليها نابعاً منها وحدها . وما المصادر الأخرى للدراسة إلا لإلقاء ضوء ، أو تفسير قضية . والدراسة بذلك أقرب للدراسة التطبيقية التحليلية منها للأطر النظرية ، وبالله التوفيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

الصورة الفنية

الصورة اصطلاحاً في المعاجم القديمة مأخوذة من الفعل "صور" ، والمصدر "تصوير" واسم الفاعل مصوّر والله – جل شأنه – صور جميع الموجودات ، ورتبها فأعطى كل شيء صورة خاصة ، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها [١] . واستخدامها المجازي "تصورت الشيء ولا أتصوّر ما تقول" [٢] ..

وقد وردّت لفظة الصورة في القرآن الكريم ست مرات: [٣] اثنتان بصيغة الفعل الماضي وهما صوّركم وصوركم ، ومرة بصيغة الفعل المضارع يصوركم ، ومرة بصيغة اسم الفاعل المصوّر ومرة بصيغة الجمع صوركم ، ومرة بصيغة المفرد صورة .

جاءت صيغة الفعل (صور) لتدل على المطلق كما في قوله تعالى : ﴿**اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ**﴾[٤] .

ينعقد التفسير على أن الله عز وجل له الألوهة الخالصة [٥] ، ويخلق الإنسان في هيئة مميزة عن سائر المخلوقات . ويدل هذا التفسير على أن أحد معاني الصورة يدل على الهيئة والصفة وهذا المعنى قد استقام عند النقاد المعاصرين أثناء حديثهم عن الصورة الفنية .

وقد نحا مفهوم الصورة منحى آخر في آية أُخرى ليدل على التحسين والتزيين كما في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾[٦] .

يدل هذا التفسير على أن الإنسان جوهر وصورة [٧] ، وأن الجوهر هو الأصل في طور خلقه الأول ثم تأتي الصورة في طور آخر لتضاف إلى الجوهر وتجسده في أحسن تقويم .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب (مادة صور) ، ٤: ٤٧٣ .

(٢) الزمخشري : أساس البلاغة ، ٣٦٤ .

(٣) ينظر كامل البصير : بناء الصورة الفنية في البيان العربي ٢١ .

(٤) سورة غافر : ٦٤ .

(٥) ينظر الطبري : جامع البيان في تأويل أي القرآن ، ٨٠ .

(٦) سورة الأعراف : ١١ .

(٧) ينظر كامل البصير : بناء الصورة الفنية في البيان العربي ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمفهوم نفسه موجود لدى بعض النقاد القدماء الذين قالوا في قضية اللفظ والمعنى ، وتفضيلهم اللفظ على المعنى [١] .

ويقترب قوله تعالى من معنى الآية السابقة ﴿**هُوَ الذي يُصَوِّرُكُمْ في الأرحامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إله إلا هُوَ العَزيزُ الحكيم**﴾ [٢] .

وتدل على أن المخلوقات في الأرحام صورة واحدة . وآية أخرى نستدل من خلالها على أن الله عز وجل خلق الإنسان في شكل معين ، وميزه عن باقي المخلوقات كما في قوله : ﴿**فِي أيِّ صُورَةٍ ما شَاءَ رَكَبكَ**﴾ [٣] .

إن مادة (صور) في القرآن الكريم لم تقتصر على الإنسان ، بل جاءت بتعبير صيغة اسم الفاعل لتدل على صفة الخالق البارئ عز وجل ، خالق الكون كله كما في قوله تعالى : ﴿**هُوَ اللهُ الخَالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأسماءُ الحُسْنى**﴾ [٤] .

وإذا نظرنا في المعاجم الحديثة نرى أن الصورة تدل على "صورة مجسمة" [٥] .

ومن هنا نلحظ أن مادة "صور" وردت في المعاجم القديمة والحديثة لتدل على الشكل والصفة والهيئة . كما وردت في القرآن الكريم لتكون أساساً للدراسات النقدية القديمة والحديثة .

ويعدّ الجاحظ من أوائل النقاد الذين واءموا بين اللفظ والمعنى من جهة ، وتحدثوا عن الصورة الفنية بوصفها عنصراً أساسياً في بناء النص الأدبي ، والشعر خاصة .

وكان حديث الجاحظ عن الشعر بأن "الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[٦].

وجاء أبو هلال العسكري وكان حديثه مرتبطاً بقضية اللفظ والمعنى ، واعتبار اللفظ هو الجسد والمعنى هو الروح [٧]. وهو بذلك يتحدث عن النص الأدبي ، ودور الشكل والمضمون في بناء الصورة الفنية، وتفضيله اللفظ (الشكل) على المعنى (المضمون) في بناء الصورة الفنية.

وقال عبد القاهر في حديثه عن (النظم) إنه "تعليق الكلم بعضها ببعض من خلال السياق"

---

(١) ينظر أبو هلال العسكري : الصناعتين ، ٧٢ .

(٢) سورة آل عمران ٦ .

(٣) سورة الانفطار ٨ .

(٤) سورة الحشر ٢٤ .

(٥) ينظر المعجم الوسيط ، ٥٤٨ .

(٦) الجاحظ : الحيوان ، ٣ ، ١٣٢ .

(٧) ينظر أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ، ١٧٩ نقلاً عن العتابي "الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"واعلم أن قولنا (الصورة) إنما هو تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكان بين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك ... ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: المعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك ، وليست العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ " :إنما الشعر صناعة وضرب من التصوير" [١] .

يشير عبد القاهر الجرجاني إلى (النظم) وهو عملية تعليق الكلم بعضها ببعض أثناء الكتابة ، بحيث ينتظم أجزاء الكلام بالعلائق والصلات فقال : "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أنّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلّق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذا بسبب من تلك" [٢] .

ولا نجد تفسيراً لتعلق الكلام ببعض أو بنائه أو ارتباط كل من ألفاظه بسبب إلا ما ينتج عنه من صورة معنوية أو مادية ، وهو بهذا يكون من أقرب النقاد القدامى لمفهوم الصورة الفنية عند نقادنا المحدثين .

تعددت الدراسات النقدية في العصر الحديث التي تناولت الصورة الفنية قديمها وحديثها من زوايا مختلفة [٣] .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ٤٤٥ .

(٢) المصدر السابق ، ٩٨ .

(٣) حاول جابر عصفور في كتابه "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب" دراسة الصورة الفنية من الناحية النظرية من خلال دراسة التراث وفهمه من أجل اعطاء فهم معاصر للصورة الفنية ، ودرس مصطفى ناصف في كتابه "الصورة الأدبية" الصورة الفنية من الناحية البلاغية النظرية معتمداً في دراسته على آراء الغربيين . ونحا نصرت عبد الرحمن في كتابه "الصورة الفنية في القصيدة الجاهلية في ضوء النقد الحديث" منحى تطبيقياً اعتمد فيه على الدلالة الرمزية في تفسير بعض العلاقات بين الصور الجاهلية ، ونهج علي البطل في كتابه "الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري" نهج نصرت عبدالرحمن من حيث دراسة الصورة من الناحية التطبيقية ، وحاول من خلال دراسته بحث الأصول الاسطورية للصورة ، وصورة المرأة بين المثال والواقع ، وصورة الحيوان بين العقيدة والتقليد الفني ، وصورة الإنسان بين شؤون الحياة والموت والطبيعة . وتعددت دلالات الصورة عند عبدالقادر الرباعي في كتابه "الصورة الفنية في شعر أبي تمام" وعبد الفتاح نافع في كتابه "الصورة في شعر بشار بن برد" وكانا يعتمدان في دراستهما على الدلالات العربية مثل: الدلالة الحسية والدلالة العقلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرض كثير منهم لمفهومها أولاً [١] ، إلا أنهم لم يتفقوا على تحديد مصطلح للصورة الفنية في الشعر ، وكان مرد ذلك أنهم اعتمدوا على آراء النقاد الغربيين ، واتخذوا من دلالاتهم الفنية منهجاً يطبقونه على دراساتهم ، وهذا يدعونا للنظر في موقف النقاد الغربيين من مفهوم الصورة ، ومدى انسجام هذا المفهوم مع مناهجنا النقدية وآرائنا العربية .

لقد اعتمد الغربيون في دراساتهم للصورة الفنية على خمس دلالات :

١- الدلالة اللغوية .

٢- الدلالة الذهنية .

٣- الدلالة النفسية .

٤- الدلالة الرمزية .

٥- الدلالة البلاغية .

وتعد الدلالة اللغوية أقدم الدلالات وهي الدلالة المعجمية ، وكانت تقتصر على اللغة وفقهها وعلم المعاني . ثم صارت تعني نسخة (Copy) ، أو صورة (Picture) [٢] .

وأمّا الدلالة الذهنية : فتشير إلى أن الصورة وحدة بناء الذهن ، ووسيلته لمعرفة الأشياء[٣]. وتقترب الدلالة النفسية من الدلالة الذهنية ، وتكاد تماثلها إلا أن الدلالة النفسية تستخدم في علم النفس ، حيث يتذكر الإنسان تجربة سابقة أو بعض أحداث التجربة في غياب المنبه الأصلي للحاسة المثارة ، وتصبح الصورة استرجاعاً أو تذكرة لخبرة سابقة .

وتعتبر الدلالة الرمزية القصيدة كاملة إيحاءً أو إشارة إلى أبعاد سياسية أو اجتماعية أو فكرية [٤] ، مستمدة عناصرها من الواقع .

وكل دلالة من الدلالات السابقة تقدم نفسها في شكل بلاغي ، لتحقيق وظيفتها في التعبير عن الفكرة الأساسية عند الشاعر بشيء من الإيحاء أو الإشارة أو الاستعارة ، ولكن الصورة

---

(١) ينظر جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ٨ ومحمد حسن عبدالله : الصورة والبناء الشعري ٣٣ ، ومصطفى ناصف : الصورة الأدبية ٧ ، وبشرى موسى صالح : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ٣.

(٢) ينظر بشرى موسى صالح : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ٢٧ .

(٤) ينظر مجدي وهبه ، كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفنية عند المحدثين تبتعد عن الأنماط البلاغية السابقة ، وتقترب من تجربة الشاعر نفسه .

وتباين النقاد الغربيون في انتقائهم لدلالة من الدلالات السابقة ، لتكون أساساً لدراساتهم للصورة الفنية ، وكان اختيارهم على حسب فهمهم لجانب خاص من الصورة ، وتأكيدهم على عنصر من عناصرها .

وتتضح هذه الدلالات عن نقادنا المحدثين أثناء حديثهم عن الصورة الشعرية ، ومن هؤلاء النقاد مصطفى ناصف حين قال: "إن الصورة الشعرية ليست في جوهرها إلا هذا الإدراك الأسطوري ، الذي تنعقد فيه الصلة بين الإنسان والطبيعة ، طالما أحس الشعراء والفلاسفة هذه الصلة العميقة" (١) .

يركز الدكتور مصطفى ناصف في تعريفه على الخاصية الذهنية ، أو الإدراكية بين الإنسان والطبيعة ، وتأتي عبقرية الشاعر الذي تنم على إحساسه بهذه الصلة .

وجعل الدكتور جابر عصفور مصطلح الصورة الفنية مقابلاً لكلمة (Imagery) (٢) في ترجمته لمقال نورمان فريدمان ، وفضله على مصطلح الصورة قاصداً بذلك أن مصطلح الصورة يمتد إلى المسرحية والرواية .

ويرى الغربيون أن مصطلح الصورة يقترب من الخاصية الحسية ، وقد أشارت الباحثة داوني Downey إلى ذلك وهي ترى "ضرورة فهم الصورة على أنها محتوى لفكر ، يتركز فيه الانتباه على خاصية حسية ما ، بدلاً من فهمها على أنها نسخة مادية أو انعكاس حرفي لشيء من الأشياء" (٣) .

واقترب سي لويس من مفهوم الباحثة داوني عندما قال أن الصورة في أبسط معانيها "رسم قوامه الكلمات" (٤) بمعنى أن الصورة الشعرية يمكن أن تقدم إلينا بعبارة أو جملة يغلب عليها الوصف ، وهي بذلك تكون مجازية تنقل إلينا الحقيقة بأسلوب مجازي .

نلحظ من هذه التعريفات أن النقاد الغربيين يعتمدون في دراساتهم للصورة الشعرية على الخيال ، ويبتعدون عن المنطق والعقل ، كما كان عند بعض نقادنا القدماء .

---

(١) مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ٧.

(٢) ينظر جابر عصور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ١٤ .

(٣) جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ٣٠٩ .

(٤) ينظر الصورة الشعرية : سي – دي لويس ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستخدم الشاعر الوصف والاستعارة في نسج صورته ، ويوظفهما لخدمة فكرته النابعة من تجاربه السابقة . ولكي يكون الشاعر مصوراً لا بد من أن يكون موحياً ، والوصف المباشر يختلف عن الأشكال البلاغية الأخرى في كيفية رسم الصورة في الخيال ، وفي مدى الإيحاء والتأثير ، وهذا الوصف يعكس صوراً حية لكن صداها في الخيال يتفاوت بتفاوت التجارب والمشاركة الوجدانية .

وكثرت الأوصاف عند الشعراء المحدثين ، وهي التي جعلت من شعرهم مادة مقروءة ومدروسة ، لما أرخته من ظلال موحية عبر بها الشاعر عن تجربته الحقيقية أو المتخيلة .

واستخدم الشاعر في صوره الاستعارة ، والهدف منها هو الربط بين فكرتين أو أكثر:[١] الفكرة الأولى مستمدة من ذات الشاعر نفسه ، والثانية مستمدة من العالم الخارجي ، وهذا التعبير يتم عوضاً عن المعنى المباشر ، وهو يوضح الفكرة التي يريدها الشاعر بأسلوبه الأدبي ، وعن طريق استخدام الاستعارة تكون الصورة أكثر إيحاءً وتقترب من أسلوب الرمز عند الشاعر . والغاية عند الشاعر من استخدام هذه الأساليب (الوصف والاستعارة) هو التكثيف العاطفي [٢] ، من أجل خلق تجربته ، وتوصيل فكرته إلى المتلقي عن طريق تجربته الشاعرية . وقد أشار الدكتور محمد حسن عبدالله إلى شيء من هذا وقال : "ففي التجربة الشعرية ، كما في بناء القصيدة تتنفس الذات والموضوع في اتحاد مطلق يعيد للرؤية الإنسانية مداها اللامحدود ، حيث كانت قادرة على أن تزاول كل الأشياء بالكلمات السحرية وحدها ، وفي أي صورة جيدة سنجد دائماً قطعة من الطبيعة ، وهي بديل للموضوعية والمطلق بالجانب الحسّي ، وبديل للتجريد الفكري عند الشاعر بالنسبة للغرض ، وهي ضبط للطاقة اللاموجهة ، وإلجام للانفعال بتشكيله وإعطائه مدى تحتمله الصورة ، وموقعاً في سياق الصور أيضاً" [٣] .

تبتعد الصورة عند الدكتور محمد حسن عبدالله عن التزيين والزخرفة إلى صورة إيجابية الهدف منها خلق الوعي لدى الناس ، والصورة الشعرية عنده تتعدى الاستعارة والتشبيه والوصف إلى المجاز والرمز . وبذلك تصبح لغة الشعر هي لغة فنية [٤] ، تصل إلى معان خاصة بشيء من الرمز أو الإيماءة أو الإشارة أو اللمحة .

---

(١) ينظر محمد حسن عبدالله : الصورة والبناء الشعري ، ٣٦ .

(٢) المرجع السابق : ٣٧ .

(٣) ينظر محمد حسن عبدالله : الصورة والبناء الشعري ٣٧ .

(٤) ينظر إبراهيم السامرائي : في لغة الشعر ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ضوء دراستنا للصورة الفنية عند النقاد القدماء والمحدثين يمكننامعرفة أنواع الصور عند شاعرنا : كالصورة العقلية ، والصورة الحسية ، وأحياناً كثيرة يتشابك [١] المعنوي بالحسي من أجل بعث الحياة من خلال هذا التشابك .

أمّا الصورة الحقيقية : فإنها تتكرر عنده وهي ترتد إلى بعض التجارب الشخصية التي لا يستطيع الكاتب التخلص منها . وهذه التجارب تشخص حالة الشاعر النفسية تجاه التجارب التي يمر بها. وعندما ينظم قصيدته تتحد كل منازعه الداخلية سواء أكانت آتية من العقل، أو من الحس ، ولا يهمه أن تكون الصورة عقلية أو حسية . وهو يهدف من خلال هذه الدلالة إلى توصيل تجربته إلى القارئ .

وأحياناً يتشابك الحقيقي مع الحسي ، من أجل تشكيل الصورة ، وإظهار ما فيها من حيوية وإيحاء . وتوظف هاتان الصورتان لخدمة فكرة الشاعر ، والقدرة على توصيلها إلى ذهن المتلقي.

فقد تأتي الصورة الحسية بأنماط مختلفة عن الأنماط التي يستخدمها الشعراء : كالصورة اللونية والسمعية والحركية . وهذه الأنماط تميز الشاعر عن غيره من الشعراء بقدرته على توظيفها لخدمة فكرته الأساسية في النص .

أمّا الصورة اللونية : [٢] فثير في شعره طائفة من الذكريات مما يجعل قصيدته رمزاً يوظفه لخدمة تلك الذكريات المستمدة عناصرها من الواقع والخيال ، والشاعر في دلالته اللونية يتجاوز الواقع إلى التجريد ، ويكون لتفسير اللون دلالة رمزية من خلال القصيدة كاملة ، والأثر النفسي والتغير والتحول . وقد يتغير اللون إلى لون آخر بحسب تجربة الشاعر وأثرها النفسي عليه ، ويتكرر اللون عند الشاعر ، ويصبح أكثر بروزاً من غيره ، ويرتبط مع علاقات أُخرى من أجل تنوع دلالاته وكثرة إيحاءاته .

ومن هذه الألوان التي تتكرر عند الشعراء المحدثين اللون الأحمر ، والأخضر ، والأبيض، والأسود .

وتعيد الصورة السمعية إلى أذن المتلقي التجربة المؤلمة التي مرّ بها الشاعر ويبقى الصوت يتكرر من خلالها مراراً من أجل إيقاظ السامع ، وخلق الوعي بالأحداث التي يمر بها . والصوت قد يكون قوياً أو ضعيفاً ، ويتفاوت بحسب انفعال الشاعر بتجربته الشعرية .

---

(١) ينظر علي علوان : الشعر العربي الحديث في العراق ، ٣٢٨ .

(٢) ينظر يوسف حسن نوفل : الصورة الشعرية واستيحاء الألوان ، ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبث الصورة الحركية الانفعال في نفس المتلقي ، ويصبح قادراً على الحركة والتغير ، وتكون هذه الصورة ممهداً لها بالصورة اللونية ، والصورة السمعية ، وتأتي نتيجة لهاتين الصورتين.

وتشكل الصورة الحركية خلاصة ما يدعو إليه الشاعر من حركة ووثوب .

وتتحد الصور معاً لتعبر عن الدلالة الرمزية التي يريدها الشاعر بشيء من الإيحاء أو الإشارة .

ويهدف الشاعر من خلال الإيحاءات والإشارات إلى بعد أعمق من الصور الحسية ، إلى بعد انفعالي يبثه من خلال القصيدة كاملة ، ويصبح الرمز صورة شعرية مركبة تتآزر في بنائها وسائل الأداء المختلفة من صور وألفاظ وإيقاعات ، من أجل أن يخلق في وجدان المتلقي مناخاً شعورياً يتناسب مع مناخ الشاعر نفسه .

ويستخدم الجواهري لغة فنية [١] ذات إيحاء معين ، وأحياناً يخرج فيها الشاعر عن المألوف من أجل التمرد على القواعد المنطقية الثابتة ، وهو بهذه اللغة ينقل الشعر العربي من محدودية الغرض وموروثيته إلى غنى الموضوع وحريته [٢] . وقد يلجأ الشاعر إلى تكرار لغة معينة ، يهدف من خلالها إلى بعد فني عميق ، يوظفه من خلال السياق ، حتى يلتحم في بناء صورته الكلية .

ويختار شاعرنا بحوراً معينة من الشعر العربي ، ويكون اختيار البحر على حسب حالته النفسية ، ومناسبة القصيدة ، قد يكون طويلاً ، أو بسيطاً ، أو خفيفاً .

ويعبر الشاعر بهذه الأساليب المتنوعة عن تجربة الشاعر تجاه الحوادث التي يمر بها، وتكمن قدرته الفنية في قدرته على توصيل رسالته عبر هذه الأساليب ، سواء كان على مستوى اللفظ أو المعنى أو النظم أو الأسلوب . ويتعاطف المتلقي مع تجربة الشاعر الفنية إذا أحس أنّه يعبر عما يعانيه في لحظة تلقيه القصيدة [٣] .

وتصبح القصيدة في النهاية وحدة عضوية ،[٤] من حيث ارتباط الدلالات بعضها ببعضها الآخر ، وقدرتها على تحقيق التجانس في الصورة على مستوى الصياغة ، والروح الشعرية .

---

(١) ينظر إبراهيم السامرائي : في لغة الشعر ٣ .

(٢) ينظر سعدي يوسف : معجز الجواهري : المدى ، العدد ١٧ دمشق ١٩٩٧ ، ٤١ .

(٣) ينظر جابر عصفور : مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ، ٢٩٢ + ٢٩٣ .

(٤) ينظر محمد إبراهيم عبد العزيز شادي : الصورة بين القدماء والمعاصرين ٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ضوء معرفتنا للصورة الفنية عند النقاد القدماء والمحدثين ، يمكننا أن ندرس صورة الدم في شعر الجواهري ضمن ثلاث دلالات :

١- الدلالة الذهنية .

٢- الدلالة النفسية .

٣- الدلالة الرمزية..

وأحياناً تتشابك الدلالات معاً ، لتعبر عن تجربة الشاعر إزاء أحداث الوطن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

صور تقليدية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشأ محمد مهدي الجواهري في بيئة النجف الأشرف ، وهي من حيث الموقع أقرب للبادية منها للحاضرة ، وهي تعبق بالتاريخ وتعج بكتب التراث ، وهي ميدان فسيح للأفكار والفرق والمذاهب المعنية بالتراث العربي الإسلامي . وكانت - إلى وقت قريب - مليئة بالمدارس التي تزود طالبي العلم الذين يعيشون في رحابها ، أو يغدون إليها من مختلف البيئات والأصقاع . وكان أساس مناهجها العلوم العربية : لغة ونحواً ، وبلاغة وأدباً ؛ والعلوم الإسلامية: فقها ، وأصول فقه ، وتفسيراً ، وحديثاً ... وقد تشرب الجواهري هذا الجو ، ونهل من علمه ، وظل يوجهه وقتاً غير قصير في حياته : سلوكاً وفناً . ولهذا كانت لغة القديم هي الراجحة عنده في كل الظروف والأحوال . وهو وإن كان لا ينكر الجديد ، إلا أن إخلاصه للقديم كان أشد وأقوى . وقد أوجز هذا بقوله : "إن أديباً لم يحفظ البحتري وأبا نواس وابن الرومي والمعري وأبا تمام والمتنبي أو لم يدرس الجاحظ والأخطل وابن قتيبة وابن الأثير وأبا الفرج ودعبلا والقرآن ونهج البلاغة لا يمكن أن يكون شاعراً ولا كاتباً أبداً ... وإن قرأ مليون راوية وكتاب أجنبي ، وإن درس خمسين عاماً أساليب الشعر والأدب الغربي ، وإن استوعب كل النظريات وكل المبادئ والعقائد وإن ألم بثقافات العالم ، وإن تعاطى كثيراً من لغاتها وإن مارس الحياة وإن تمرس بها ، واحترق بتجاربها" [١]. وهو لا يترك قوله دون أن يستدرك فيقول: "ولكن أن يكون له بعض الشيء من هذا وهو قد قام على ذلك الأساس العربي الراسخ فأمر عظيم ، وعقبى ذات شأن ، وعبقرية مضمونة ، وإلا فلا يكون أديباً وشاعراً عبقرياً إذا لم يقم على أساس من لغته[٢].

وإذا كان هذا هو التوجه العام للشاعر ، فلا شك أنه سينعكس على تفاصيل شعره من حيث اللغة والبناء والتصوير . ولما كانت "صورة الدم" إحدى صوره الأثيرة ، فإنه سيكثر من استخدامها في أشعاره منذ بدايات شعره ، ولن يخرج فيها عن الدائرة التي وضع نفسه فيها - دائرة التقليد .

واختلفت آراء النقاد حول أشعاره ما بين مؤيد له ومقلل من قيمته ومبالغ في التحمس له أحيانا أخرى [٣] ، إذ فضله بعضهم على شوقي ومطران والرصافي والزهاوي [٤] ، واعتبره آخرون آخر الكلاسيكيين العرب [٥] ومنهم من جعله بقية طبقة من فحول الشعراء لعد كان نسيج

---

(١) ينظر إبراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) المصدر السابق: ١٢١ نقلاً عن مجلة اتحاد الأدباء .

(٣) ينظر علي علوان : تطور الشعر العربي الحديث ٢٥٧ .

(٤) ينظر جبرا إبراهيم جبرا : الشاعر والحاكم والمدينة محمد مهدي الجواهري ، دراسات نقدية ، ٦٥ .

(٥) العربي : جمادى الأولى ١٤١٨هـ ، اكتوبر ١٩٩٧ . وينظر محمود درويش : الدستور الثقافي ، الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤١٨ آب ١٩٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحده [١] ، وبالغ آخرون فقرروا أن الجواهري أكبر من أن يـدرس [٢] وقـال بعضهم إنـه معجـم من معاجم الشعر العربي الحديث بموتـه اكتمـل المعجـم ألفـه البـارودي ، ويـاؤه أبـو فـرات [٣]، وانتهى الدكتور جلال الخياط "إلى أنه شاعر عباسي أخطأه الزمن ووجوده فـي القرن العشـرين يمثل ظاهرة غريبة" [٤] .

ونحن نجد أنّ دراسة شعر الجواهري تجعلنا نحكم عليـه مـن خـلال فهمنـا لهـذا الشـعر، وتقييمنا له ، بوصفه واحداً من الشعراء الكبار الذين اتخذوا القصيدة التراثيـة منهجـاً لا يحيـدون عنه لا مـن خـلال آراء النقـاد الغربيين ، واعتمـادهم علـى خصـائص المدرسـة الكلاسـيكية فـي الحكم، لأن شاعرنا ظاهرة لها خصائصها المستقلة التي تختلف عن شعراء المدرسة الكلاسيكية، وإن توافر في شـعره بعض خصائصهـا "كالاهتمـام بالجـانب العقلـي ، وورود الحكمـة ، وبيـان العلاقة بين القصيدة والمناسبة ، والاهتمام بالتفاصيل العامة والجزئيات ، وبوحدة البيت والقافيـة والوزن ، والاهتمام الخاص بالمفردة ، وجزالة الألفاظ" [٥] .

تمثل فـترة العشـرينات (١٩٢١-١٩٢٩) البدايـات الأولـى لشـعر الجواهـري وقـد عـاش شاعرنا في بيئة نجفية تهتم بالعلوم الدينية والأدبيـة وكـان أبـوه يفـرض عليـه العمامـة وهـو فـي العاشرة من عمره ، ويعامله معاملة الكبار ، لما يمتاز به من قدرات ذهنية غير اعتياديـة فضـلاً عن الحضور المتوقد لمجالس العلماء ، والأدباء ، الذين ابتدأوا حياتهم الأدبيـة فـي أواخـر العهـد العثماني أمّا هو فقد أدرك هؤلاء ، وهم يملؤون أجواء الشعر في العراق بأصواتهم [٦] .

والجواهري لم يكتف بهؤلاء الشعراء ، بـل تجـاوزهم لحضـور حلقـات الشـعر والأدب ليسير على نهج الشعراء القدماء من أمثال: أبي تمام والبحـتري وأبـي نـؤاس ، وهـو يحـاول أن يقلدهم ويتفوق عليهم يقول : "وأحب أن أعترف - وبوجه خاص - أنني غزوت أكثر من مغـزى ممن سبقني ومن عاصرني من ذوي الاختيارات بادئاً بشيخنا الجليل أبي تمام ، وصنوه البحتري ومعقباً بالسيد ابن الشجري ، أو السيد البصري" [٧] .

---

(١) ينظر ناصر الدين الأسد : الدستور الثقافي ، الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق آب ١٩٩٧ .

(٢) محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية ، ١٣٣ .

(٣) ينظر طه محمد علي : الدستور ، الجمعة ٥ ربيع الثاني ١٤١٨هـ ، ٨ آب ١٩٩٧ .

(٤) جلال الخياط : الشعر العراقي الحديث : مرحلة وتطور ١٠٥ .

(٥) ينظر علي علوان : تطور الشعر العربي الحديث ، ٢٥٨ .

(٦) المرجع السابق ، ٢٥٨ .

(٧) محمد مهدي الجواهري : الجمهرة ١: ٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من ممارساته الشعرية معارضاته شعراء العرب القدامى ، إذ كان يتبارى مع أقرانه في بيئة النجف بالمعارضات الشعرية حيث كانت تعقد حلقات أدب لهذه المعارضات وقد وجمعت هذه القصائد والمعارضات في كتاب (حلبة الأدب) وهذه القصائد أيضاً نجدها مجموعة في ديوان الجواهري والتي منها : جناية الأماني [١] عام (١٩٢١) بين النجف وأمريكا [٢] عام (١٩٢١)، والروضة الغناء [٣] عام (١٩٢٢) ، أمنعم القلب الخلي [٤] عام (١٩٤٢)، والنشيد الخالد [٥] عام (١٩٢٣) .

وكان الجواهري يجلس إلى الزهاوي – في بغداد – في العشرينات أيضاً سنوات ثلاثاً يسمعه ويأخذ عنه ، وكان الزهاوي يحرص على تلميذه فيكتب في مقدمة ديوانه "... إني كنت أتوسم فيه هذا النبوغ كلما قرأت ما كانت تنشره له الصحف قبل سنوات ، وقد حقق ديوانه ظني فيه" . ولا ينكر الجواهري هذه الأستاذية للزهاوي ، فهو يسميه في إحدى قصائده حامي الأدب العراقي ، ويدعوه إلى حمايته ضد أعدائه" [٦] .

ومن يقرأ شعر الجواهري في العشرينات ، يجده يوظف صورة الدم توظيفاً تقليدياً سائراً على الطريقة التي أخذها عن أسلافه القدماء ، مضيفاً إليها تجربته الشعرية في الحياة . ونجد صدى ذلك في قصائد متعددة : كقصيدة "الثورة العراقية" [٧] ، و "خل النديم" [٨] ، و "ويلي لأمة يعرب"[٩] .

ففي قصيدته "الثورة العراقية" ، نلحظ النبرة الخطابية واضحة في قصيدته والمبالغات المفرطة ، خاصة حينما يتعرض لصورة الدم في القصيدة . فالكوفة باتت حمراء من أمرين اثنين هما : الدم والنار ولك أن تربط بين الأمرين لكن التوفيق لم يحالف الشاعر حينما جعل "الموت" سبباً لذلك لأن الموقف معكوس : فسبب الموت هو النيران والدماء . ولا نجد تعليلاً لهذه المغالطة في البيت إلا أن الجواهري مندفع بشبابه ، وهو في بداياته الشعرية ، حتى إذا

---

(١) ينظر ديوان الجواهري : طبعة بغداد ١٩٧٣ ، جمعه وحققه إبراهيم السامرائي مهدي المخزومي علي جواد الطاهر ، رشيد بكتاش ١ : ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ١: ١٣٥ .

(٣) ينظر ديوان الجواهري ١: ١٨٣ .

(٤) المصدر السابق ١: ١٩١ .

(٥) ينظر ديوان الجواهري ١: ١٩٥ .

(٦) ينظر علي علوان : تطور الشعر العراقي الحديث ٢٥٩ .

(٧) ينظر ديوان الجواهري ١: ٩٩.

(٨) المصدر السابق ١: ١٥٥ .

(٩) ينظر ديوان الجواهري ١: ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نضج وقويت شوكته لا نجده يقع في هذه الأخطاء . وإذا انتقلنا للبيت الثاني فإننا نجد الصورة غير مجسدة في ذهن الشاعر ، بقدر ما هي مصورة لما في ذاكرته في حفظه من الشعر العربي القديم ، حيث تدار الكأس على شاربيها ، وهو يريد المستعمرين في هذا الموقف . وأراد الشاعر أن يكمل صورة الدم بما يحفظه وهو من لوازم الكأس . إنه الفواقع المتصاعدة على وجهها ، ولا بأس عنده في أن يكون الدمع بديلاً للفواقع . إنها صورة ملفقة ، تحمل لغة شعرية لكنها لا تشكل صورة فنية متكاملة ، وسرعان ما ينتقل الشاعر من الدم والدمع إلى "القرح المنكوء" و "الخرق الذي اتسع على الراقع" قال:

وفي الكوفةِ الحمراءِ جاشت مراجلٌ ... من الموتِ لم تهدأ وهاجتْ زعازع
أديرَتْ كئوسٌ من دماءٍ بريئةٍ ... عليها من الدَّمع المُذال فواقع
همْ أنكأوا قرحاً فأعيتْ أساتُه ... وهُمْ أوسعوا خَرْقاً فأعوَزَ راقع
بكل مُشعبٍ للوغى يُهتَدي به ... كما لاح نجمٌ في الدُجنَّةِ ساطع (١)

وتظل الصور التقليدية تلح على الشاعر ، ولا يستطيع فكاكاً منها ، وتقترن صورة الدم هذه المرة بالغزل ، فالدم مسفوك بلا ذنب ، وأين ترد هذه الصورة ؟ في مناسبة عقد قران أحد أصدقائه ، فيقول :

عجباً لقلبٍ بالوصالِ تروعه ... ودمٍ بلا ذنب هناك تُريقه (٢)

والعجب من الجواهري وهو يأتينا بهذه الصورة البشعة : فصاحبه يروع من يحب بالوصال !! ويسفك دمه بلا ذنب ، ومصدر بشاعتها الظلال التي ترخيها الصورة .

وتتكرر صورة الدم التقليدية في قصيدة "ويلي لأمة يعرب" ، ليعبر من خلالها عن الأوضاع السياسية في الوطن العربي بشكل عام ، والعراق بشكل خاص ، ليبين الظلم الذي وقع على الأمة العربية ، نتيجة لما منيت به من وعود الحلفاء الكاذبة ، وقد تبين أنها تعمل لمصلحة الأمة العربية في الظاهر وفي الباطن تعمل على تقسيم خيرات الوطن العربي ، وتجعل الشعب يعيش في عوز وجهل وحرمان . والحاكمون غافلون عن أمور بلادهم لجهلهم وغفلتهم وعدم تقديرهم للأمور ، فبأيديهم جعلوا الحلفاء يتعدون حدودهم في نهب خيرات الوطن . وجعلوا أبناء الوطن يعيشون عبيداً لهم ، وهم غافلون جميعاً عن أن الله وحده هو القادر على الخير والعطاء ، وهو الذي يجعلهم يعيشون في رغد ورخاء، ويبنون الأوطان مجداً ، ولكن لضعف إيمانهم بالله وعدم اعتمادهم على الذات ولجوئهم إلى المستعمر البريطاني ، وتصديقهم لوعوده كانت نتيجتهم أن أزهقت الأرواح ، وسالت الدماء ظلماً وعمداً :

---

(١) ديوان الجواهري ١: ١٠٢ .

(٢) المصدر السابق ١: ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظُلـــــمٌ تَعَـــــدَّى حـــــدَّه والظلـــــم يُـــــردى إن تَعَـــــدَّى
"اللـــــه" يَجـــزي خـــيرَ مـــا جـــازى بـــه مولـــىً وَعبْـــدا
صيـــــداً "ليعـــــرب" شـــــيَّدوا عـــــزاً وللأوطـــــان مجـــــدا
فَـــي ذمـــةِ الوطِـــنِ الـــذي بَذلـــوا لـــه نَفْســـاً وَوُلْـــدا
رَوح بـظـلـمٍ أَزْهـقَـــــــتَ ودمٌ جـــرى ظُلْـمَـــاً وعَمْـــــدا [١]

ويبين الجواهري حال شعبه الذي يعيش في ضنك ، وهو مسخر لقلة قليلة تدفعه لخدمتها، وتجني ثمار غرسه ، وتحرمه من حقوق العيش الكريم ، هيهات إذ إنها تجد مصدر سعادتها في بؤس الآخرين . وقد استطاع الجواهري أن يأتي بالمتقابلات التي تنبئ عن ظروف كل منهما ، فالفئة القليلة تعيش على ضفاف دجلة بقصورها وترفها ، وعامة الشعب في جوع وسغب ، وإذا ما أراد الشاعر أن يلخص الموقف ، يأتينا بطائرين أحدهما بشير خير وترف بصوته وشكله ووقعه في النفس وهو الهزار للخاصة . وثانيهما بشير شؤم في صوته وشكله ووقعه في النفس وهو الغراب للعامة ، ولا تكتمل الصورة عند الجواهري إلا بالدم والدمع والقلب الكسير للطبقات الفقيرة ، التي كانت الوسيلة لغنى الأغنياء وجشعهم قال :

الجـــــوعُ يُنْـــــذِرُ قومـــــي أن يـــــأكل الظُفْـــــرَ نـــــاب
ســـــل دجلـــــةً كيـــــف بـــــاتت قصورُهـــــا والقبـــــاب
مـــــاضر لـــــو كـــــان يومـــــاً غطّـــــى عليهـــــا العُبـــــاب
غنّـــــى عليهـــــا هَـــــزارٌ ونـــــاح عنـــــدي غـــــراب
مـــــن دم قلـــــبٍ كســـــيرٍ ســـــمنٌ هـــــذي الرقـــــاب
ومـــــن دمـــــوعِ حـــــرارٍ مُلِئْـــــنَ تلـــــك العِيـــــاب [٢]

ويبين الجواهري الظلم الذي وقع عليه في بداية حياته ، والضجة المفتعلة حوله في وزارة المعارف ودورها في إثارة النعرات الطائفية البغيضة ، فقد تألم كثيراً لما حصل له من حيف وظلم وإجحاف ، وهو الأديب اللامع على صغر سنه . هذا من جانب ، ومن جانب آخر، لا يملك مورداً اقتصادياً يعيش منه وهو في بداية حياته فهو يبكي لا على حاله ومصيره بل على الوطن المستضام ، الذي لا يستطيع حماية نفسه من الزعانف التي اصطحبت الحملة البريطانية زاعمة أنه سيرمي السلاح أمامها متخاذلاً رعديداً . والجواهري بعيد عما يريدون

---

(١) ينظر ديوان الجواهري ١: ٣٢٨ .

(٢) المصدر السابق ١: ٣٩٨ من قصيدة "تزوات" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كيف أتركهم وقد جاروا وظلموا وسفكوا الدماء .

ويرثي الجواهري عبد المحسن السعدون ، ويكون البيت الأول على عادة الشعراء القدامى تقريظاً للمرثي وتفجعاً عليه ، ولكنه يوظف موضوع الرثاء للتعبير عن دماء الضحايا التي تهدر عبثاً نتيجة الأوضاع السياسية السيئة في البلاد . فقد قال الجواهري هذه القصيدة في الحفلة التأبينية بعد مرور أربعين يوماً على وفاة السعدون ، لتكون تحريضاً للشعب ثأراً للدماء التي سالت من أجل الحفاظ على كيان الوطن :

زانَ العروبةَ هذا المُفردُ العَلَمُ ... وقد تُخلِّدُ في أفرادها الأُمَمْ
وقد تَسيلُ دماء جَمَّةً هَدَراً ... وقد يُقَدَّرُ من دون الدماء دَم
حَظٌّ من الموت مجسودٌ خُصِصَت به ... والموتُ كالعيش ما بين الورى قَسَم (١)

وبعد هذا المقطع يتوجه الشاعر إلى الأحرار من أبناء البلد والعاملين في القضايا السياسية مخاطباً إياهم : إنكم بأعمالكم الخيرة خدم للشعب متى أعوزته الخدمة ، وإن من يقوم بهذا العمل المثمر يتحتم على الشعب احترامه وتقديره ، وهذا السعدون : فهو عظة لكم ونموذج صالح تستمدون منه التضحية والفداء ، والشعب العراقي واقف لكم بالمرصاد ومن السفه أن تحسبوا الناس لعبة بأيديكم ، فإن قمتم بواجبكم نحوه نصركم وإلاّ فمنتقمون منكم يوم لا ينفع الندم:

يَا أيُّها السادةُ الأحرارُ كلُّكم ... للشَعب أن أعوزَتْه خدمةٌ خَدَم
هذي الضحيةُ في تبجيلها عِظَةٌ ... إن الذي خَدَمَ الأوطَانَ محتشم
إن البلادَ بمرصاد ومن سَفه ... أن تحسبوا الناس طُرّاً لعبَةً لَكُم
إن تنصُروها فإن الشَعبَ منتصرٌ ... أو تخذِلوها فإن الشعبَ مُنتقم (٢)

ويقسم : لولا خوفه من الوشاة الذين يحرّمون مقاصده لملأ محافلهم شجوناً وحسرة وألماً، لما أصاب بلادهم من دم يبكي عليه الرافدان ممثلاً في البسطاء والفقراء المظلومين :

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٥١٧ من قصيدة "في الأربعين" .

(٢) المصدر السابق ١: ٥١٧ من قصيدة "في الأربعين" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألاَ لا تســـــألاني مـــــا دهَـــــاني ... فعـــــن أيِّ الحـــــوادثِ تســـــألانِ
بكَيـــتُ ومـــا علـــى نفســـي ولكـــنْ ... علـــى وَطَـــنٍ مُضـــام مُســـتَهان
علـــى وَطـــن عجيـــفٍ ليـــس يقـــوى ... علـــى نُـــوَبٍ مُسلْسَـــلةٍ ســـمان
تظُـــنُّ زعـــانفٌ والظـــنُ إثـــمٌ ... بـــأني لا أُرامـــي مـــن رَمـــاني
أأتركُهـــم وقـــد أغـــروا بـــأخذي ... وأنســـاهُم وقـــد غَصَبـــوا مَكـــاني
أمـــا واللـــه لـــولا خـــوفُ واشٍ ... يحـــرّفُ عـــن مقـــاصِده بَيـــاني
إذنْ لمـــلأتُ محفِلَكـــم شُـــجوناً ... دمـــاً يبكـــي عليهـــا الرافـــدان [1]

ويدعو الجواهري في قصائد أخرى إلى الكفاح والنضال وحمل السلاح ، ويبين أن اللين والمهادنة والمصالحة لا تفي بحق الإنسان ، وعلى الإنسان أن يغتنم الفرصة ، ويتعلم من الأحداث السابقة التي مرّ بها ، لتكون عبرة وعظة له ، ويخص بذلك الذل الذي عاشه الوطن العربي أيام الحكم العثماني المتحجر ، ولو أراد الشاعر أن يصف الحكم آنذاك لسالت قصائده دماً من شدة ألمه وحسرته على أمته التي وقفت عاجزة أمام الحكم العثماني لا تدري ماذا تفعل؟! وهذا العجز يجعلها تعيش بذل وأسر واستعمار ، بينما يعيش الغرب عيشة أمن واستقرار، لدفاعهم عن حقوقهم ومطالبتهم بها . ولا يكون الأمن والاستقرار إلا بالكفاح والنضال، وإلا عاشت الأمة أسيرة ذليلة لا يجدي فيها إلا النواح :

لا غـــرو أنْ ســـال قصيـــدي دمـــاً ... فـــإنّ قلبـــي متْخـــنٌ بـــالجِراح
يـــا ظلمـــةً قـــد طبقّـــت موطنـــي ... دومـــي : فشـــعبي لا يُريـــدُ الصَبـــاح
الشـــؤم قـــد أوهـــم أوطاننـــا ... أن ليـــسَ يُجـــدي المـــرء إلاّ النُيـــاح [2]

وفي آخر القصيدة يتبرّم الشاعر من موقفه الحرج ، لأنه لا يقدر على الجهر بما تنطوي عليه نفسه ، فإن الصراحة تصطدم بالإرهاب من الحاكميين ، وحرية الرأي مفقودة في بلاد الرافدين والحكام يظنون أن المفكرين والأدباء أداة طيعة لخدمة أفكارهم . فالسلطة والنفوذ يكونان نعمة لهم ، ونقمة على غيرهم . ويبين الشاعر حالته النفسية إزاء هؤلاء الحكام ، فالنفس كالبركان عند الجواهري تحتاج إلى مكان لتعبر عن ألمها وحسرتها على الوضع الموجود :

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٣٩٩ من قصيدة "هلموا وانظروا" .

(٢) المصدر السابق ١: ٤١٠ من قصيدة "النفثة" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــاذا أقـــولُ فـــؤادي ملـــؤه ضَـــرمٌ ... وهـــل توفـــيً شُـــعوري حقَّـــه الكَلِـــم
حراجـــةٌ بـــالأديبِ الحـــرِّ موقفُـــه ... حيـــثُ الصراحـــةُ بالإرهـــابِ تَصطـــدم
بيـــن الشـــعور وخنـــقٌ مُسِـــكتٌ رَحِـــمٌ ... فـــي الرافديـــن فـــلا كُنّـــا ولا الرَحِـــم
هـــذي المنـــاصبُ إن كـــانت بهـــا نِعَـــمٌ ... للنـــاس فهـــيَ علـــى آدابنـــا نِقَـــم
للشـــاعرينَ قُلـــوبٌ فـــي تململهـــا ... هـــي الـــبَراكينُ إذ تَهتاجُهـــا الحِمَـــم [١]

لقد تغير شعر الجواهري في الثلاثينات ، ليعبر عن موقفه من الحياة العامة سواء في قيمه السياسية ، أو قيمه الإجتماعية ، وهذه الفترة تختلف عن بدايات الجواهري ، عندما كان متمسكاً بالعادات والتقاليد الموروثة ، وجاء شعره في فترة الثلاثينات تمرداً على الأوضاع السياسية والاجتماعية ، ولكنه لم يستطع الإفلات من الموروثه :

فإن كان لابد الهجاءُ وسبةٌ ... يحُطُّ بها قَدْرَ الفرزدقِ جَرْوَل [٢]

والشاعر يجدد في شعره على حسب ما يتطلبه العصر الذي يعيش فيه ، ولكنه يبقي فيه خيطاً يصله بالموروث .

يظهر في هذه الفترة الحديث عن الذات والتصريح بهذا الحديث ، بالرغم من أن الحديث عن الذات مكروه ، ولكن الشاعر يجد فيه متنفساً له من القيود الموجودة في المجتمع ، وجاءت قصائده خلال فترة الثلاثينات مغايرة عن السابق ، لتعبر عن القيود الاجتماعية الموجودة ، فالاضطراب والقلق والحيرة تشكل نفسية الشاعر ، ونجد صدى ذلك في قصائد متعددة له: كالشاعر ابن الطبيعة الشاذ [٣] عام (١٩٣١)، و "عبادة الشر" [٤] عام (١٩٣٣) ، و "ثورة النفس"[٥] عام (١٩٣٤) .

نلمس في هذه القصائد وغيرها شعور الجواهري بالإرهاق لأنه يحمل مثلاً قديمة ما عادت تلائم مجتمعه ، كما نقرأ ضجره وشكواه وإحساسه الحاد بالضياع والنسيان والفشل في كثير مما طلب سواء من مجتمعه ، أو من هؤلاء الحكام ، وتبعاً لذلك فإن الاضطراب هو المحصلة النهائية لرؤية الشاعر وموقفه على الرغم من سمات التمرد والعنف التي تلون أحاسيسه وعواطفه :

---

(١) ينظر ديوان الجواهري ١: ٥٢٠ من قصيدة "في الأربعين" .
(٢) المصدر السابق ٢: ٦٣ من قصيدة "الحزبان المتآخيان" .
(٣) ديوان الجواهري ٢: ٣١ .
(٤) المصدر السابق ٢: ١٩١ .
(٥) ديوان الجواهري ٢: ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نـــافقتُ إذ كـــان النفـــاق ضريبـــةً ... متحرِّقـــاً مـــن صنعتـــي مترمِّضـــا
ولكـــم قَلِقـــتُ مســـهَّداً لمواقـــفٍ ... حكمـــت علـــيَّ بـــأن أداري مُبغضـــا
ولَعَنـــت ربَّ الشـــعر فيمـــا اختـــار لـــي ... وبمـــا قَضَـــى ، ولَعَنـــت أحكـــامَ القَضَـــا
وصدَعـــت فيـــهِ بـــالصراحة مَـــرَّةً ... زمُـــراً تُجـــوِّد أن تقـــولَ فتُغمِضـــا [١]

وأدت الظروف السياسية والاجتماعية إلى ظهور موضوعات جديدة: "الظلم الاجتماعي" ، "الاقطاع" ، "حقوق الشعب" ، ونتلمس ذلك في قصيدة الأوباش [٢] أو (مسلخة) القضاء والنظامات ، ونلحظ في هذه القصيدة أن الشاعر بدأ يطلع على أيديولوجية صراع الطبقات ، ويدعو إلى العدالة الاجتماعية ، وإلى أخذ حقوق الفقراء المعدمين بالعنف . وهذه الأفكار الجديدة في مضامينها ظل الوعاء التقليدي بصوره وأساليبه هو الأساس عند شاعرنا . ففي قصيدة "الأوباش" نلحظ إحساسه بفساد الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ووقوفه إلى جانب الفقراء المعدمين "فيجد نفسه مع الناس" [٣] . ونجد أن قصيدته فرضت عليه تراكيب كانت راكدة في مخزونه الثقافي فأحيته ونبهت إليه مثل (نواميس يدبرها الخفاء) ، و (مكائد دبرتها الأقوياء) ، (الشرائع الباليات) ، (أضحوكة السيف المدمى) ونستدل من خلال هذه التراكيب على فساد الوضع الاجتماعي الذي يحتاج إلى الدماء لتخليصه من الفساد :

جَهْلِنَـــا مَـــا يُـــرَادُ بنـــا فقُلنـــا ... نواميـــسٌ يدبِّرهـــا الخفـــاءُ
فلمـــا أيقظَتْنـــا مـــن سُـــباتٍ ... مكـــائدُ دبَّرتهـــا الأقويـــاء
ونيـــس هنـــاكَ شـــكّ فـــي حيـــاةٍ ... تـــدوسُ العـــاجزين ولا مِـــراء
لجأنـــا للشـــرائعِ باليـــاتٍ ... لتَحمِينـــا وقـــد عـــزَّ احتمـــاء
فكـــانت قـــوَّةٌ أخـــرى وداءُ ... رَجَونـــا أن يكـــونَ بـــه الـــدواء
حثيـــثٌ ســـيرُهنَّ إلـــى ضعيـــف ... تلقَّفُـــه وعـــن أشِـــرٍ بطـــاء
تســـيرُ وشـــأنَها حتـــى إذا مـــا ... تصـــدَّت قـــوَّةٌ فبهـــا التـــواء
وقـــامَ الســـيفُ يُرهِـــب دفَّتيهـــا ... تؤيِّـــدُه ميـــولٌ وارتشـــاء
إذا لـــم تُرضِـــهِ منهـــا ســـطورٌ ... تولَّـــت محـــوَ مـــا فيهـــا الدِّمـــاء
فيـــا أضحوكـــةَ السَّـــيفِ المُدَّمـــى ... تفـــايضَ مِـــن جوانبـــكِ الغبـــاء [٤]

وبحكم شخصية الجواهري الحادة ، وبيئته النجفية ، وظروفه السياسية والاجتماعية ،

---

(١) ديوان الجواهري ٢: ٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق ٢: ٤٥.

(٣) ينظر علي علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق ٢٧٩ نقلاً عن مجلة الكلمة : العدد الثاني ١٩٧٢ ص ٤٦ "مقابلة مع الجواهري" .

(٤) ديوان الجواهري ٢: ٤٧ من قصيدة "الأوباش" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرفض أن يرى المثقفين جاهلين بشؤونهم الحياتية وهو دائم النقد لبعض هؤلاء :

وهـذا الـذي قـد فخّمتْـه شـهادةٌ ... خلاصتُهـا أنّ الفتـى قـارئٌ سـطرا
ويكفيـك منـه سـاعةٌ لاختبـاره ... لتعلـمَ منهـا أنـه لـم يـزل غِـرّا
وهَـبْ أنـه قـد أُلهِـمَ العلـم كلَّـه ... وحلَّـلَ حتـى الجوهـرَ الفـردَ والـذَّرا
وكـانَ "شكسـبير" خويـدم شـعره ... وكـانت لُغَـى الأكـوان تخدُمـه نـثرا
فهـل كـان حتمـاً أنني أنحنـي لـه ... وتصطـكُ منـي الـركبتانِ إذا مرّا [١] ...

وهناك ظاهرة جديرة بالحديث عنها خلال هذه الفترة هي ظاهرة "الغزل بالمرأة" وما تحمله في طياتها من صور للقيود الاجتماعية والسياسية التي يعيشها الشاعر ، وإن كانت في الظاهر تعبر عن غرض شعري قديم هو "الغزل" ، ولكن شاعرنا تجاوز الغزل التقليدي ليعبر عن الواقع الاجتماعي والسياسي ، وموقف الرجل من المرأة خلال هذه الفترة .

أمّا قصائده في موضوع المرأة على حسب تسلسلها الزمني فهي : جربيني [٢] عام (١٩٢٩) ، النزغة [٣] عام ١٩٢٩، سلمى [٤] أيضاً أو وردة بين أشواك عام (١٩٣٢) ، تانه في حياته [٥] عام (١٩٣٢) نشرت بعنوان عيشة في الجحيم أو فلسفة الحب، عريانه [٦] عام (١٩٣٢)، صورة للخواطر [٧] ، إفروديت [٨] عام (١٩٣٢) قصة منظومة ومنقولة عن الأدب الفرنسي ، ليلة معها [٩] (١٩٣٤) ، بنت بيروت [١٠] عام (١٩٤١) ، إليها [١١] عام (١٩٤٩)، انيتا[١٢] ١٩٤٩/٤٨، وخط الشيب [١٣] عام (١٩٥٧) ، وبائعة السمك [١٤] (٦٢-١٩٦٨) .

---

(١) ديوان الجواهري ٢: ٨٨ من قصيدة "المحرقة" .
(٢) ديوان الجواهري ١: ٤٨٩ .
(٣) المصدر السابق ١: ٤٧٧.
(٤) ينظر ديوان الجواهري : ٢: ١٠١.
(٥) ديوان الجواهري ٢: ١٠٧.
(٦) المصدر السابق ٢: ١١٣ .
(٧) ديوان الجواهري ٢: ١٥٣.
(٨) المصدر السابق ٢: ١٥٩ .
(٩) ديوان الجواهري ٣: ٢١١ .
(١٠) المصدر السابق ٣: ٤٩ .
(١١) ديوان الجواهري ٣: ١٢٧ .
(١٢) المصدر السابق ٣: ٣٥٢ .
(١٣) ديوان الجواهري ٤: ٢٧٧ .
(١٤) المصدر السابق ٥: ٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واللافت للنظر أن يكون "الدم" إحدى وسائله التعبيرية في هذا المجال . فهو يعتبر المرأة في بعض هذه القصائد لحماً ودماً خلقت للتمتع بها وليس للنظر إليها . غزله يعبر عن رغبة مكبوته لحاجة الرجل للمرأة ، وعن وصف حسي صارخ لجسدها دون أن نجد أثراً للحب الخالد والعواطف السامية التي عرفناها في الغزل العفيف وهو في غزله كان ثائراً على الأوضاع الاجتماعية وسجل في قصيدته كل خلجات نفسه ونزعاته وميوله وأهوائه وصوّرها فكانت لوحة جديدة في بيئة غارقة في التقاليد الدينية والاجتماعية :

جرّبيني من قبل أن تزدَريني ... وإذا ما ذممتني فاهجريني

ويَقينا ستندمينَ عَلى أنّكِ ... من قبلُ كنتِ لمْ تعرفيني

لا تقيسي على ملامح وجهي ... وتقاطيعه جميعَ شؤوني

أنا لي في الحياةِ طبعٌ رقيقٌ ... يتنافى ولَونَ وجهي الحزين (١)

وكانت ردود الفعل عنيفة تجاه هذه القصيدة على الصعيدين الرسمي والشعبي لكن الجواهري لم يعبأ بذلك وظل على منهجه الذي اختطه لنفسه ورضي به وحده ، ولا يعنيه سواه.

وتوالت قصائده في الغزل والظاهرة الملفتة للنظر في قصائده أنه يوظف صورة الدم توظيفاً رائعاً ليعبر من خلالها عن صورة حسية للمرأة على عادة الشعراء القدامى ، ونجد صدى لذلك في قصيدته "أفروديت" تلك المرأة الحسناء التي وهبتها الطبيعة صفات حسية كثيرة منها : "تمشت مهتاجة" ، "الحسن في الدماء غزيرا" ، "تحو حمّامها ترى من خلال الماء" ، "جسمها اللدن" ، و"الغدائر تنساب" و "عبدت نفسها" ، و "داعبت النهدين بالشعر" ، وهذه الأوصاف الحسية جعلتها تشعر بالغرور ، وتهيج الشعور وهذه المرأة هي كريزيس من بيت لحم وقعت أسيرة للحب العاجل ، وكانت ضحية من ضحايا البدن والقلب ، وصبرت على الرجل الغادر الذي أعطته كل ما تملك من أجل إرضاء جبروته ولكنه طلب منها أن تضحي بدمها إرضاء له وكانت نتيجة تضحيتها هو الموت .

وتمشّت مهتاجةً ... يتمشّى العُجْبُ

والحسنُ في الدماءِ غزيرا

نحو حَمّامِها تَرى مِن خلال الماءِ ... فيهِ

ما يَستثيرُ الغُرورا !!

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٤٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جسمَها اللدْنَ ... والغدائر تَنسابْ

كما أرْختِ العذارَى سُتورا !

وخريرَ المياهِ في السمعِ كالقُبْلةِ ... حرّانةْ

تَهيجُ الشُعورا ...!

عبدَتْ نفسَها ... فداعَبَت النَّهدين بالشَّعْر

غِبطةً وحُبُورا [1] ... !

وينظم قصيدته "وداع" ، وهي من قصائد أنيتا ، وقد نظمها في الأسبوع الأخير من اقامته في "باريس" قبل مغادرته إياها إلى العراق يوم ١٣ شباط ١٩٤٩ وكان الشاعر يصف أنيتا بصفات حسية كقوله :

إليَّ بصدرك ذاكَ الخضَّم

من العاطفات العُجاب الشيَم

من العاصفاتِ بلحمٍ ودَمْ

نلحظ أن عامل الثقافة والخروج والاختلاط الحرّ خارج ربوع الشرق أتاح للشاعر عمقاً عجيباً في تفهم العواطف الإنسانية ، وأصبح ذلك يجسد الشوق واللوعة والحسرة والحرمان، أصبح لتعبير وجه الأنثى معنى أعمق من المعنى الجنسي الذي كان يتركز في معاني الشعراء الأقدمين ، ث كانوا يشبهون المرأة بالشمس والقمر والبدر .

والشاعر عندما يصل إلى سن الكهولة نجده ينظم قصيدته (وخط المشيب) ، ركز من خلالها على المشاعرَ الأليمة تجاه الوطن ، وهو يعاني من فقده إياه لأنه لا يستطيع التعبير عن خوالج نفسه فيلجأ إلى المرأة كأنها وسيلته التي يبثها همومه وألمه ، زبقف أمامها عاجزاً ولكنه من خلالها يبث للقارئ ما يعانيه من رغبات مكبوتة إزاء أحداث الوطن السياسية ، وصورة الدم عنده ترخي بظلالها وتجعلنا نفهم المعنى السياسي للصورة .

مشى وَخْطُ المشيبِ بمَفْرِقَيْهِ وطارَ غُرابُ سَعْدٍ من يديه

تبدَّل غيرَ رونقه ولاحَت تضاريسُ السِنينِ بأخدَعَيْه

رماداً خِلْتُهُ لولا بقايا تَوَقَّد جمرتين بمُقلَتَيه

---

(١) ديوان الجواهري ٢: ١٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهـــذا مـــن بـــه فُتِنَـــتْ كعـــابٌ ومَـــن سَـــحرَ النَـــديَّ بأصغريـــه
أهـــذا تائهـــاً مَـــن نقَّلتْـــهُ علـــى الأحـــداقِ أحلـــى خطوتيـــه
ومـــن أصبـــى "فلانـــة" ! وهـــي خِـــدرٌ دمُ العشَـــاقِ يَصبـــغ جنبتيـــه [١]

وفي قصيدته "ليلة معها" يعبر عن الشخصية الأنثوية ، ويذكر أنها شخصية سامية وأنثى راغبة ، ولكن الرغبة مكبوتة بسبب البيئة الشرقية التي تفرض عليها القيود ، وهو يرمز من خلال الأنثى إلى جمال لبنان الذي أدهشه في أواخر الثلاثينات ، ولكنه يصطدم بالانتداب الفرنسي، فتحولت قصيدة الوصف إلى قصيدة للثورة والحركة من أجل الخلاص من الأنتداب الفرنسي، ويرمز لهذا الانتداب بالمرأة المسيحية الذي كان لها دور في سفك دماء كثير من أبناء الوطن:

فهُـنَّ فـي السَّـفح عَتْـبٌ رقَّ جانبُـهُ وهـن يزُفـرنَ فـوقَ الصخـرِ تهديـد
مـا بيـنَ عَيْـنٍ وأخـرى فـاضَ ريِّقُهـا أن تُلْفَـتَ العيـنُ أو أنْ يعطَـفَ الجيـد
هـذي "المسـيحيَّةُ" الحسـناءُ تـمَّ علـى شـرعِ "المسـيحِ" لهـا بالمـاءِ تعميـد
كأنَّهـا وعُيـونُ المـاءِ تَغْمرُهـا مُسْتنزَفُ الدَّمِ مـن عِرقَيْـهِ مفصـود [٢]

وفي قصيدته "بنت بيروت" يظهر من خلال وصفه لطبيعة لبنان حبه وتشوقه للبنان، ليجدها حرة طليقة غير واقعة تحت الانتداب الفرنسي ، فمن خلال شعر الطبيعة يبث الشاعر همومه وأشجانه بطريقة فنية مستمداً عناصرها من الواقع الذي يعيشه شعب لبنان .

وفي قصيدة "إليها" نجد صورة الدم تتأرجح بين الأسلوب القديم ، والأسلوب الحديث، لتعبر عن مشاعر الجواهري النفسية إزاء الفترة المظلمة محاولاً تخليص الأمة العربية من استعمارها وذلها :

تعـــالي نصُـــنْ مقلـــة يرتمـــي بهـــا شـــررٌ وفمـــاً يُرجِـــف
ونطلـــقْ مـــن الأســـر رُوحـــا تجيـــ شُ فـــي قَفَـــصٍ مـــن دمٍ ترسِـــف [٣]

نجد شعر الجواهري في الأربعينات يختلف عن الفترات السابقة ، بسبب المتغيرات

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ٢٧٧ .
(٢) المصدر السابق ٢: ٢٤٢ من قصيدة "وادي العرائش" .
(٣) ديوان الجواهري ٣: ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية التي حدثت في الوطن العربي ، وكان الجواهري من هذه الأحداث في الصميم سياسياً وصحفياً ومؤرخاً وشاعراً .

لقد حدثت مجموعة من المتغيرات في الحياة السياسية وكثرت الانقلابات كانقلاب بكر صدقي العسكري عام ١٩٣٦ . وتعددت الصحف والمنشورات داخل النجف وخارجها ، كانت المنشورات تبث الحركة والانتفاضة في نفس الشعب ، وتشكلت مجموعة من الأحزاب السياسية كجماعة الأهالي ، وجمعية الاصلاح الوطني كانت تضم مجموعة من المثقفين [١] ، بالإضافة إلى أحداث أخرى مرّ بها الوطن العربي ، وقيام الحرب العالمية الثانية ، واندلاع ثورات التمرد الوطني، وقيام اسرائيل باغتصاب أرض فلسطين وتشريد الشعب الفلسطيني ، وثورة يوليو وصعود الناصرية ، وثورة ١٤ تموز العراقية ، وبدايات تجسد الوحدة العربية .

تعددت مواقف الشاعر ، وتناقضت أحياناً نتيجة لهذه الأحداث السياسية ، ولكنه كان في صميم الأحداث يتفاعل معها ويصورها تصويراً دقيقاً بحيث تعبر عن الواقع الذي عاش فيه الشاعر .

وغيّرت الأحداث من فكر الشاعر وجعلته يصل في أشعاره إلى مرحلة النضوج الفني، ولكنه رغم ذلك لم يستطع الاستغناء عن الموروث الذي كان حافظاً لكثير من شعر شعرائه، وكان متشرباً لقيمه الفنية واللغوية .

يجعل الجواهري من ذكرى أبي العلاء المعري منطلقاً لكثير من القضايا التي يعيشها المثقف العربي ، وموقفه يحتاج إلى التأمل والفكر ، أكثر ما يحتمل من توتر عاطفي تخلقه لحظة آنية . فهو يضفي على شخصية أبي العلاء صفة الإنسانية . وتوسيع نطاق الشخص في أبي العلاء المعري إلى الإنسان بشكل عام ، وبات أبو العلاء في شعر الجواهري نموذجاً خالداً لحرية الفكر ، والتمرد على القيم البالية ، ومثالاً ممتازاً من التاريخ العربي يحسن بعثه وإزالة التراب عنه ، ليشخص في حاله مأساة الشاعر العربي :

على الحصير ... وكوزُ الماء يُرفُده ... وذهنُه ... ورفوفٌ تحمِلُ الكتبا
أقامَ بالضَّجَّةِ الدُّنيا وأقعدَها ... شيخٌ أطلّ عليها مُشفقا حَدِبا
بكى لأوجاع ماضيها وحاضرِها ... وشامَ مُستقبلاً منها ومرتقَبا
وللكآبةِ ألوانٌ ، وأفجعُها ... أنْ تبصرَ الفيلسوفَ الحُرَّ مكتئِبا [٢]

---

(١) ينظر علي علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق ٢٨٣ .

(٢) ديوان الجواهري ٣: ٨٤ من قصيدة "أبي العلاء المعري" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجد أن صورة الجواهري تضيف محوراً أساسياً خلال فترة الأربعينات وهو محور الجوع الذي يعانيه الوطن العربي نتيجة لأحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية ، ويخص فئة معينة هي فئة المثقفين الثابتين الدائمين الذين لا يفارقون ديوانه الشعري ، لأنه يجد فيهم خلاص الأمة من الاستعمار والإذلال .

ويتعدى الجواهري في شعره حدود العراق إلى مصر وتظهر النبرة الخطابية وهو يخاطب شباب مصر ، ليحشدوا قواتهم من أجل تخليص بلادهم من الاستعمار البريطاني المتمثل بقواعده العسكرية في السويس والاسماعيلية ، وأن فناء الشعب المصري في هذه المقاومة وفوزه على المستعمر سوف يخلص البلاد القادمة من الخضوع والإذلال ، ووسيلتهم الوحيدة للخلاص وتطهير البلاد من الاستعمار هو الدم ، ليكون الضوء والطريق والغاية والوسيلة لتخليص البلاد من الاستعمار البريطاني :

قل للشباب بمصرَ والدُّنيا ... لمن يُصغي تقولْ :
هذا أوانُ الجولةِ الـ ... ـكبرى تبارك من يجول
هل غيرُ أن يفنى لتَسـ ... ـعَدَ بعده الأجيالُ جيل ؟
دُفَعُ الدماء عن المـ ... ـوا طنِ حُرَّةً ثمنٌ قليل
ولدى البُطونِ الطاهرا ... تِ عنِ الذي يمضي بديل
إنْ لم تصولوا للذِّيـ ... ـدِ عن الحياضِ فمن يصول ؟
خوضوا دمَ المستعمري ... نَ فطالما خِيضَتْ وُحول
وتصيَّدوهم مِثلَما ... صِيدتْ لمُحترشٍ وُعول (١)

وقد تنبأ الجواهري بانتصار الشعب المصري على الانكليز ، وكان تأميم القناة سنة ١٩٥٦ وطرد المستعمر الانجليزي ، وبذا تحقق حلمه بأن الشعب المصري هو المالك الحقيقي لديار مصر وأرضه ونخيله ، ولا يستطيع العدو البريطاني الاستيلاء على خيراتها ، لأن الشعب المصري له بالمرصاد .

ومع انطلاقة المقاومة الفلسطينية في أواسط الستينات وتطورها في أوائل السبعينات نجد الجواهري ينظم قصيدة "الخطوب الخلاقة" ، ويدعو من خلالها الأمة العربية لتخليصها من الاستعمار الصهيوني الذي دنس الأراضي المقدسة ولا يكون تطهيرها إلا بالدم :

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنقِـذْ فلســطينَ مــردوداً بهــا حَــرَمُ ... علــى ذَويــه ، ومركــوزاً بهــا عَلَــم
ولَــبَّ فــي جَنَبــات القُــدس صارخــةً ... مــن قبــلُ أدركهــا فــي الــرُومُ مُعْتَصــم
وطهِّــرِ البيــتَ مــن رِجــسٍ يُلوثُّــهُ ... ولــــن يُطهِّــــره إلا دَمٌ ... ودم [١]

ويتوجه الجواهري إلــى الجزائـر ، وكـانت تخـوض بكـل بسـالة وقـوة معـارك الانتـداب الفرنسي ، ولقد فتحت للأمة العربية دربـاً طويـلاً فـي الكفـاح والنضـال مـن أجـل الخـلاص مـن الاستعمار والإذلال والخضوع ، وكانت صورة الجزائر دائماً حمراء ، لكثرة القتلى والاستشـهاد على أرضها ، وما طلبـه الجواهري مـن الفلسطينيين يطلبـه مـن الجزائريين ، ويقـول لهـم إن استقلالها مرتبـط بسـفك الدمـاء ، وخضـرة الأرض مرتبطـة بارتوائهـا بالدمـاء ، وصـورة الـدم تزيدها خصباً وضوءاً للأبناء . وكـانت الجزائـر دائمـاً حمـراء تخـوض المعـارك والقتـال حتـى استطاعت أن تتخلص من فرنسا التي تعلق في مخدعها صليب المسيح وكتاب الحقوق المقدس :

"فرنســا" ... ومــا أقبــحَ المدَّعَــى ... كِذابــاً ، ومــا أخبــثَ المُدَّعــى
فــداءٌ لمقصَلــةِ الثــائرين ... مجــازرُ للشــيِّب والرُضَّــع
لــك الويــلُ مــن رائــمٍ أطعِمــت ... دمَ الراضعيــن ولــم تشــبع
وحاديــةٍ أنزلــت ركبهــا ... خِداعــاً علــى مُذنِــبٍ مُســبع
فيــا عجبــاً مــن دَبــىً مُهلِــكٍ ... علــى الــزرعِ والضــرعِ مُســتودع
ولــصٌ يجــوسُ خِــلالَ الديــا ... ر فــي بــزَّة الأفقــة الأروع ...
ومســتذئبٍ يســتميلُ الرُعــاة ... لتلجــأ منــه إلــى مفــزع
لــكِ الويــلُ فــاجرةً علّقــتْ ... "صليــبَ المســيحِ" علــى المخــدع [٢]

ويجد الجواهري في المثقفين العرب وسـيلته الوحيدة لتخليـص الشـعوب مـن الاسـتعمار الذي يعيشون فيه لأنهم القوة الفاعلة في المجتمعات ، وهم الذين يعلمـون خبايـا الأمـور ولكنهـم مقيدون تقام عليهم الحدود التي تمنعهم من قول كلمة الحق :

---

(١) ديوان الجواهري ٥: ٢٥٥ .

(٢) المصدر السابق ٤: ٢٣٨ من قصيدة "الجزائر" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحكـــمٌ يُقيـــم علـــى العبقـــري حـــدوداً تقـــام عليـــه الحـــدود [١]

ونجده مرة أخرى مع عامة الشعب يدافع عنهم ويحثهم على الكفاح والمطالبة بحقوقهم، ولأخذ أجور عملهم وأن لا يتركوها للمستغلين الذين يستنزفون دماءهم ، موظفاً صورة الدم لبيان جشع المترفين واستغلالهم للكادحين من العمال :

فـــلا تســـتهينوا بـــدرب الكفـــاح فـــدونَ النهايـــة شـــوط بعيـــد
خـــذوا يومكـــم مغنمـــاً واحرصـــوا عليـــه ، وزيـــدوه حرْصـــاً ... وذودوا
ونمّـــــوا مكاسَـــــبكم لا يـــــرح ثميـــنٌ تـــأتّي لكـــم ... أو زهيـــد
ولكـــن مزيـــداً مـــن التضحيـــات ففيهـــنّ مـــن كـــلّ خـــير مزيـــد
فمـــا زال مســـتنقع الكـــادحين يغطيّـــــه للمســـــتغلين دود
فمـــا قُـــبروا كُلّهـــم ... إنّمـــا يَضيـــق بمـــن عـــاش هـــذا الصَّعيـــد
ولـــم ينـــتزف دمهـــم ... إنمـــا تفـــرّى وريـــد ليعفـــى وريـــد [٢]

ونجد محور الكفاح يتردد دائماً في شعر الجواهري من أجل مطالبة الشعوب بحقوقهم، ورفضهم للسلام الذي يضيع عليهم حقهم في أرضهم ، كي يعيشوا في أمن واستقرار مثل باقي الشعوب . ويتساءل دائماً كيف يرضى الإنسان على نفسه أن يعيش ذليلاً ، أسيراً ، تسفك دماؤه من قبل الأعداء ، وتلوث أرضه الخضراء بدماء الأبرياء ، وهو يقف حائراً قلقاً ، لا يدري ماذا يفعل ؟! ولا يكون أمامه إلا المهادنة ، والمصالحة مع الأعداء ، ونجد صدى حديثه في قصيدة "طيف تحدر" التي نظمت بمناسبة صدور بيان الحادي عشر من آذار التاريخي عام ١٩٧٠ بإحلال السلام في شمال العراق ، وإقرار الحقوق القومية للشعب الكردي في العراق :

مـــا أفظّـــع الإنســـانَ لـــم يدفـــع بـــه زخـــمُ الحيـــاةِ بموجهـــا الصخّـــاب
مـــا انفـــكّ رغـــم حضـــارةٍ مشـــبوهةٍ مُغـــرىً بذبـــحٍ ، مُولعـــاً بخـــراب
خـــزيـــان يمســـخ بقعـــة مخضـــرّةً بُقـــعَ الدمـــاءِ علـــى الرمـــادِ الكابي [٣]

نلحظ أن الجواهري يوظف صورة الدم التقليدية توظيفاً رائعاً ، لتتناسب مع أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية . وما يشغل الشاعر في الصورة الفنية ، هو كل ما له

(١) ديوان الجواهري ٥: ٢٠ من قصيدة "عيد العمال" .
(٢) المصدر السابق ٥: ٢١ من قصيدة "في عيد العمال" .
(٣) ديوان الجواهري ٦: ١٤ من قصيدة "طيف تحدر" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صلة وثيقة بأغراض الإنسان ، والجواهري يذكر في شعره العراق ، كما يذكر لبنان وسوريا ومصر وفلسطين ، ويعتبر فلسطين جزءاً من بلاد الشام وبلاد الشام واسطة بين مصر والعراق، ولذلك ارتبط تاريخ فلسطين بتاريخ العراق ومصر والشام .

وأصبحت صورة الدم التقليدية تعبر عن مأساة العراقيين والمصريين واللبنانيين ، والشاميين، والفلسطينيين ، وحتى الجزائريين فكل هذه البلاد عانت من الاستعمار بشتى ألوانه وأشكاله كالاستعمار البريطاني ، والفرنسي والصهيوني ، والذي شوهوا صورة الوطن العربي الخضراء وجعلوها بقعة حمراء كان الجواهري يوظف صورة الدم التقليدية تعبيراً عن أحداث الوطن الدموية ، التي سالت فيها دماء الأبرياء هذا من جانب ، ومن جانب آخر وظف صورة الدم التقليدية لتبث في نفس الشعب الثورة والكفاح والنضال من أجل الخلاص من الاستعمار، وقد تحقق للجواهري بعض ما كان ينشده ، وحصلت بعض البلاد على استقلالها كانتصار الشعب العراقي على الباخرة البريطانية ، وامتلاك مصر لقناة السويس . وستبقى أشعاره شلالاً متدفقاً بالوحي والإلهام من أجل الخلاص والتطهير للأراضي العربية :

أعيذُ القوافي زاهياتِ المطالعِ مزامير عزّافٍ ، أغاريدَ ساجعِ
لِطَافاً بأفواه الرُّواة نَوافذاً إلى القلبِ يجري سِحرُها في المسامعِ

وقد استخدم الجواهري أساليب تراثية للتعبير عن صور الدم التقليدية ، ومن هذه الأساليب : النبرة الخطابية ، والحوار ، والتكرار والإيقاع ، ولهذه الأساليب دور بالغ في الإقناع، وزيادة انتباه المتلقي ، وكانت جميعها تتناسب مع مناسبة القصيدة ، وتؤدي نغماً حاداً يؤثر على نفسية المتلقي ، ويحثه على الثورة والنضال ، وكثيراً ما كان الجواهري يلوّن صوره التقليدية بأحاسيسه ومشاعره وانفعاله إزاء القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الدم والدمع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة الدم حمراء قانية ، وهي مثار ألم وحزن يترتب عليه بكاء وعويل ، نتيجة الظلم والاضطهاد والعبودية والتعذيب بالسياط الذي يتعرض له الشعب من قبل المستعمر وأصحاب المناصب العالية . ومن نتائج التعذيب انهمار الدمع من العين ، وإصابة القلب بنزيف لا يبرأ إلا بالثورة والنضال وسفك الدماء وإهدارها في سبيل خلاص البلاد من القيود التي يفرضها المستعمر على الشعب ، فالدمع مكمل للدم ، وليس بعيداً أن يكون للترابط بين الدم وما يترتب عليه من موت وفناء ، وبين الدمع الذي يعد نتيجة لذلك ، دور في المعنى الدلالي والمعنوي وخاصة إذا ما عرفنا ما مرّ به الشاعر من أحداث وظروف ذاتية ووطنية . كان من آثارها في نفسه أسى انعكس على الشعر فكانت المزاوجة المطردة عنده بين الدم والدمع .

ونستشف من خلال بنية القصيدة الكلية صورة الشاعر الفنية بدلالتها وأبعادها ، فنجد أن الدم يخلق لدى المتلقي حالة تأثيرية وتفاعلية مع الحدث العام المستمد عناصره من الواقع . ولم يكتف الجواهري بالدم وحده ، فأضاف إليه صورة الدمع وقدرته على خلق حالة استفزازية تحريضية من أجل تفاعل الشعب مع الحدث العام ، المتعلق بهمومهم السياسية والاجتماعية والفكرية . فالدمع يرتبط تأثيره بعاطفة المتلقي ، ويخلق في داخله حاله تفاعلية يبثها الشاعر من خلال صوره الفنية . وتتشابك الصورة الدلالية للدم بالصورة المعنوية للدمع ، من أجل التحريض على الثورة والنضال والكفاح المسلح .

وشكلت صورة الدم والدمع في شعره لوحة فنية معبرة عن فترة الانكسار والإذلال والخضوع للاستعمار بشتى ألوانه وأشكاله . واتخذ الرثاء غرضاً شعرياً للتعبير عن تفجعه وعويله وحسرته على الوطن العربي ، ليبث في أبنائه روح المقاومة التي لا تقهر رغم رنة الأسى والخيبة التي يسببها المستعمر لأبناء الوطن .

ونجد صوره متتابعة ومتناسقة تهدف إلى خدمة فكرته الرئيسة ، وهي تحريك الشعب للنضال والكفاح ، فالغاية من صورته الفنية خلق الوعي لدى الشعب من أجل الخلاص من العبودية والإذلال ، فنجد الصراع قائماً بين (الشعب - والمستعمر) ، وهو صراع درامي ينتج عنه القتلى والجرحى والمرضى ، ولكنه يبشر بولادة جديدة تحقق للأمة النصر ، عن طريق الكفاح المستمر. وكان من نتائج الاشتباك بين الشعب والعدو ، استشهاد العديد من أبناء الوطن ونزف الدموع عليهم . وتتعدى صورته الفنية العراق إلى أرجاء الوطن ، فنجده يرصد لنا نضالات الجماهير العربية في سائر أقطار الوطن متغنياً ببطولاتها وأمجادها وتراثها ، وقد ربط بين ذلك وبين كفاح الإنسان في شتى أرجاء الأرض [١] ، من أجل الحصول على الاستقلال،

---

(١) ينظر عدنان حسين العوادي : لغة الشعر الحديث في العراق ، ٣٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتهي الجواهري بصورته الفنية "الدم والدمع" إلى وحدة الشعب وتضامنه وتكاتفه في سبيل تحريره من المستعمر .

وقد تتشابك صوره السابقة معاً لتعبر عن أكثر من محور داخل الصورة الواحدة ، ولعل مرد ذلك أن بعض الصور تكون نتيجة منطقية لصور أخرى يتحدث عنها الشاعر . فنجد من نتائج المواجهة بين "الشعب والعدو" استشهاد العديد من أبناء الوطن ، ومن هنا تتابع الصور بطريقة متناسقة ، لنستدل من خلالها على قدرة شاعرنا الهائلة في خلق صوره ، وتتابعها ، بطريقة تتناسب مع الحدث السياسي أو الاجتماعي أو الفكري .

تشكلت صوره الفنية بأساليب متنوعة تتناسب مع حالة الشاعر النفسية ، والجو العام للقصيدة ومنها : استخدام الأبحر الشعرية كبحر الكامل ، والوافر والبسيط والرمل والمتقارب والخفيف ، ويستخدم الجواهري هذه الأبحر كاملة أو مجزوءه على حسب مناسبة القصيدة، وقدرتها على إحداث إيقاع مناسب ، ومعبر عن معاناته الذاتية النابعة من معاناة الأمة . بالإضافة إلى استخدامه أسلوب التكرار ، والتضاد ، والجناس ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية، وأسلوب الحوار . ولهذه الأساليب دور كبير في خلق صورته الفنية ، وزيادة تأثيرها على وجدان المتلقي ، بالإضافة إلى استخدامه "عنصر الخيال" ، وما يرخيه على الصورة الفنية من ظلال وأبعاد دلالية ومعنوية ، تتناسب مع صورته الفنية ، التي تهدف إلى خلق الوعي لدى الشعب من أجل التحرك والثورة .

نجد الجواهري يتحسر على الشعب العراقي ، لأن أهله يتصفون بالرياء والنفاق والجهل، وحب الذات ، والخضوع لأصحاب المناصب والنفوذ القوي ، وهذه المظاهر الفاسدة التي ضيقت الخناق على الجواهري ، فانهمر الدم من عينيه مدراراً بعد أن استنفد دموعه ، وما عاد في العين ماء ، ويزداد الموقف تأزماً عنده حين يجد الباكين حوله من كل جانب ، وفي بكائهم تأكيد على المعاناة من جهة ، وعلى إدراك هول المأساة من جهة ثانية ، لكن الجواهري يرفض هذا الموقف الباكي الشاكي ، ولا يكون منه خلاص بل يجد فيه تكريساً وتأكيداً . ويرى فيه ضياعاً لـ :"حرمة الدمع المراق" الذي يكون وراءه فعل . وهو يستذكر الخنساء ويرفض منطقها لأن الدمع يخلق حالة استفزازية وتحريضية لأبناء الشعب ، ولكن الدمع لا يكفي وحده بل لا بد من اقترانه بالدم ، لأنه الوسيلة الحقيقية للخلاص من الظلم :

شتانَ فيما أرتنيه ... مَذاقُ صحبي من مَذاقي
حَلَبات آدابِ العراق ... بَكت على الخيل العِتاق
لم يبقَ لي غَيرُ المُخا ... تِل والمُنافقِ والمُتاقي
أفٌ لها من أوجهٍ ... قابلنَني سودٍ صفاق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــــا غِنـــــايَ فظـــــاهرٌ محـــــضٌ كأغنيـــــة السَـــــواقي
تتكسّـــــر النَـــــبَرات فـــــي الأ شـــــعار مـــــن ضيـــــقِ الخنـــــاق
نَزَفَـــــت دمـــــوعُ العيـــــن ثـــــم تَحَجَـــــرَّت هـــــذي المـــــآقي
ولكـــــثرة البـــــاكين ضـــــاعت حرمـــــةُ الدَمـــــع المُـــــراق [1]

ويضمن الجواهري في شعره من شعر الخنساء * ، ويلحظ الجواهري في كثرة الباكين ضياعاً للحق والحرمة ، لا عزاء وتخفيفاً عما هو فيه ، مما دعاه إلى أن يبحث عمن يسعفه ويقف إلى جانبه ، ولا يجد إلا شاعر العراق - عندئذٍ - جميل صدقي الزهاوي ، فيدعوه لنصرته والوقوف بجانبه للدفاع عن العراق وشعبه :

قم يا "جميل" فحامِني يا حاميَ الأدبِ العراقي [1]

ويرمز الدمع عند الجواهري إلى الموت والفناء الناتج عن مقاومة الظالمين والمستبدين ومن هنا يقترن الدم بالدمع ، لأن الدم هو المسبب الرئيسي لانهمار الدموع ، ونجد هذه الصورة من خلال مآتم العزاء التي أقيمت للسعدون ، وكان الجواهري من المشاركين فيها فيستذكر صورة انتحار السعدون نتيجة مطالبته باستقلال الأمة عن بريطانيا ، ورفضها لذلك ، وبعثت له كتاباً يجمع بين التهديد والتقريع والرفض لمطالبه ، وكان الشعب العراقي شاهداً على أقواله وأفعاله وعارفاً بفساد بعض حكامهم ومساندتهم للمستعمر الغاشم ، والجواهري شاهد على الفساد القائم ومتألم ومتحسر على الشعب ، ونلحظ ذلك من خلال لفظتي "الدمع ودواميا":

ثـــق أنَّ أبيـــاتي لســـانُ عواطفـــي شـــقْ أنَّ قلبـــي بينَهـــن مُـــذاب
الحـــزن يملؤُهـــا أســـىً ومهابـــةً ويُمدُّهـــا بـــالروح منـــه شـــباب
منســـابةً لطفـــاً وبيـــن ســـطورها حزنـــاً عليـــك مدامعـــي تنســـاب
مـــاذا عســـى تَقـــوَى علـــى تمثيلـــه بمصـــابِك الشـــعراء والكتـــاب
ضُمّـــوا القلـــوبَ إلـــى القلـــوبِ دواميـــاً ســـتكونُ أحســـنَ مـــا يكـــونُ كتـــاب [3]

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٤٢٣ ، ٤٢٤ من قصيدة جائزة الشعور .

* تقول الخنساء :

"ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي"

(١) المصدر السابق ١: ٤٢٤ من قصيدة "جائزة الشعور" .

(٣) ديوان الجواهري ١: ٥٠٥ من قصيدة "المجلس المفجوع" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالدمع منساب حزناً على الفقيد ، والقلوب دامية عليه ، فالشاعر يحدث ترابطاً لا انفصال فيه بين الدم والدمع ، وهو يصور حالة الحزن الشديد ، خاصة وهو يرثي قائداً فذاً ، آثر الموت على الحياة فحق له أن يسفح الدمع ، ويسفك الدم .

ثم يبين لنا معاناة الأمة إزاء الحدث ، ويعبر عنها بطريقة عفوية تتناسب ألفاظه مع كافة فئات الشعب ، فالدمع ينهمر من عيون الشعب بطريقة تلقائية مؤثرة في نفوس الآخرين ، ولم يكتفِ الجواهري بصورة الدمع بل أضاف إليها صوت البكاء والعويل والنواح الذي وصل إلى بيوت أهل العراق والغاية من مبالغة الشاعر ، حث الشعب على النضال والكفاح من أجل الحصول على الاستقلال :

مكـــــدودةٌ أنفســـــهُمْ حســـــرةً ... وبالبكـــــاء المـــــرّ يســـــترحون
وهكـــــذا الدمـــــع بريئـــــاً يُـــــرى ... وهكـــــذا الحـــــزنُ بليغـــــاً يكـــــون
قـــــارورة يُحفَـــــظ فيهـــــا دَم ... يعرفـــــه الخـــــائنُ والمخلصـــــون
يلقَـــــى بهـــــا تشـــــجيعة مخلـــــصٌ ... وعـــــبرة مخجلـــــة مـــــن يخـــــون (١)

وإذا كان الدم والدمع حاضرين في الأبيات ، إلاّ أن الفن كان غائباً فيها ، وهي أقرب للمباشرة منها للتصوير الذي عهدناه عند الشاعر .

وينزف الجواهري دماً ومصادره عديدة : فقر ، ظلم ، ومعاناة وقتل ، وهو بحاجة إلى من يغمد جراحه ، ويخفف من بلوائه وقد وجد هذا في شخص محمد باقر الجواهري الذي كان مهدئاً لروعه مواسياً له في كل الظروف والأحوال الصعبة ، فكان كالضمادة للجرح النازف ، حتى إذا ما ثكل به كانت جراحه نازفة ولا ضماد لها ، وما كان من الجواهري - وهذه حاله - إلا أن يسفح الدمع على وجنتيه من هول الصدمة ومن روعة مشهد الجنازة ، وهي مرفوعة على الأيادي ، وانظره في تصويره حين شبه القوم في مسيرتهم وكأنهم "مادوا" :

بقلبـــي أمْ بنعشـــكَ حيـــن مـــادُوا ... ودمعـــــي أمْ رثـــــاؤُكَ يُســـــتعاد
لقـــد كنـــتَ الضَمـــادَ علـــى جُروحـــي ... فهـــنّ النازفـــاتُ ولا ضمـــــاد (٢)

ويرمز الدمع إلى حالة الجواهري النفسية عند وفاة صديق عزيز عليه ، وخاصة عندما يكون مناضلاً يدافع عن حق الأمة ، ويسفك دمه في سبيل خلاصها من العبودية ، والإذلال

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٥٢٢ من قصيدة "في أربعين السعدون" .
(٢) المصدر السابق ٤: ١٣٣ ، ١٣٥ من قصيدة "أخاوَدي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجعل الجواهري الدمع الذي يسيل من الشعب مواسياً لهم ، لأنه يقلل من الهموم والأحزان ولكن صورته يزداد تأثيرها في نفوس الآخرين ، عندما يكون المتوفى شهيداً يعز على الأمة مثل حسن الظاهر وابن عمه محمد باقر الجواهري ، فتبث لدى الشعب حالة استفزازية من أجل النهوض والثورة . ويشير الدم النازف من الشهداء إلى مطلب الجواهري ، ويزيد من تأثير الصورة على وجدان المتلقي "الشهيد" ، لأنه يناضل ويكافح في سبيل خلاص الأمة :

حَمَلَتْ إليك رسالةَ المفجوعِ ... عينٌ مرقرقةٌ بفيضِ دموعي
لا تبخَسُوا قَدْرَ الدموع فإنها ... دفعُ الهموم تَفيضُ من يَنْبوع
للنفس حالاتٌ يلَذُّ لها الأسى ... وترى البكاءَ كواجبٍ مشروع
وأمَضّها فقدُ الشباب مُضرَجاً ... بدمائه من كفِ غير قَريع *
أأبا فلاح هل سمعتَ مَناحةً ... وَصَلَتْ إلى أسماعِ كلِّ سميع [1]

نجد الجواهري يأتي بصورته الفنية على عادة الشعراء القدماء في التفجع والعويل على المرثي ، لتعدد مزاياه ومحاسنه ، ونجد القصيدة موضوعة في قالب الرثاء ، وشاعرنا يعبر عن حزنه وألمه لوفاة حافظ لأنه من الأحرار المدافعين بأشعارهم عن حق الأمة ، ويقفون بالمرصاد للعدو الغاشم ، ونجده بذلك يقترب من الجواهري في ثورته وتمرده على المستعمر ، فكلاهما ثائر وناقم يسعيان للخلاص من الظلم والاضطهاد . وكان لوفاة حافظ تأثير كبير على نفسية الجواهري يعبر عنها بصورة "الدم والدمع" فالهدف منها خلق الحالة التحريضية من أجل معرفة حقائق الوطن ، بدلاً من العيش بزيف وخداع . وقد رسم شاعرنا صورته الفنية المستمدة عناصرها من الواقع بأدوات تشكيلية تتناسب مع الحدث العام ، وهو العزاء والرثاء فنجده ينهج نهج القدماء في خلق صورته الفنية فيأتي "بالحكمة" من أجل العظة للشعب للوقوف في وجه المحتل ، ولم يكتف الجواهري بهذا العنصر بل أضاف عنصراً إبداعياً آخر وهو عنصر "التضمين" ، فنجده يضمن بيتاً لحافظ إبراهيم ، ومنه نستشف الوئام والوفاق والانسجام بين شعر حافظ ، وبين شعر الجواهري وهو الوقوف بوجه المستعمر ومقاومته حتى يتحقق للأمة النصر :

نَعَوا إلى الشِعرِ حُرّاً كان يرعاهُ ... ومَنْ يَشُقُّ على الأحرارِ مَنعاهُ
فمٌ من الذهبِ الإبريزِ مَنطِقُهُ ... جاءتْ تُعزّى به الأشعارَ أفواه
اليومَ يبكيهِ دامي القلبِ طارَحَهُ ... بدامياتٍ قوافيهِ فواساه
وضيّقُ الصدرِ بالأيام غالطَه ... عنِ الحياةِ وما فيها فعزّاه

---

* القريع : الفحل المختار للضراب وهو الكريم .

(١) ديوان الجواهري ٢: ٥١ من قصيدة "دمعة على صديق" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حَسْبُ الزمانِ وحسبُ الناسِ منقصةٌ ... أنْ طالَ من حافظٍ في الشعر شَكْواه
ما للزمانِ ونفسٍ ريعَ طائرها ... ألم تكن في غِنىً عنها رزاياه
ودّعتهُ ودُموعُ العينِ فائضةٌ ... والنفسُ جياشةٌ والقلب أوّاه [1]

يستذكر الجواهري الأحرار من أبناء الوطن ويبين دورهم في الدفاع عن الأمة عن طريق أفكارهم الثورية التي تنشر في الصحف وتعبر عن مطالبهم في العيش بأمان واستقلال عن النفوذ الأجنبي ، ومن هؤلاء الأبطال : "جمال الدين الأفعاني" الذي يبث بالشعب الثورة والنضال والكفاح حتى يتحقق للأمة الاستقلال ، ونجده يقترب بأفكاره الثورية من شخصية الجواهري ، فكلاهما ثائر وناقم على الإنكليز يبثان أفكارهما من خلال كتاباتهما ، ويحث الشعب على تطبيب جراحه عن طريق المقاومة الباسلة التي تشفيه من الحزن والألم الناتج عن سيطرة المستعمر على البلاد واستيلائه على خيراتها :

جمالَ الدينِ كنتَ وكانَ شَرقٌ ... وكانت شِرعةٌ تَهَبُ الجهادا
فكَمْ في الشَّرقِ من بَلدٍ جريحٍ ... تشَكّى لا الجروحَ بل الضِّمادا [2]

فالجواهري يريد من الشعب التحرك والثورة ، بدلاً من الضعف والخنوع ، ونستدل على ذلك من صورة "الجروح" ، و "الضماد" الذي يعاني منه الشعب .

ويزداد تأثير الدمع على وجدان المتلقي عندما يكون ناتجاً عن مجازر الفرنسيين وقصفهم لأحياء دمشق مما ينذر بثورة عارمة تعم البلاد ، لأن أبناء الوطن رافضون للظلم وإن كلفهم ذلك إراقة دمائهم في سبيل خلاصهم من قيود المستعمر الفرنسي ، ونلحظ استخدام الجواهري لأسلوب الخطاب ليتفاعل المتلقي مع صورته الفنية ، وينظم أبياته على "بحر البسيط" ليتناسب إيقاعه القوي مع صورة الجواهري الفنية لحث الأبناء على الثورة والنضال :

جرى على الكأس والأنباءُ مفجعةٌ ... دمعٌ هو القلبُ نحوَ العينِ يَندفع
وارتاحَ للبثِّ "خِدنٌ" كاد يخنقه ... ذكرى "دمشق" وما تلقى ومَا يَقع
فقلتُ ليتَ "فرنسا" ها هنا لترى ... كيف القلوبُ على الأرزاءِ تجتمع
هذي مباهجُ "بغدادٍ" ونشوتُها ... وجداً عليكِ فكيف الحزْن والهلع

---

(١) ديوان الجواهري ٢: ١١٩، ١٢١ ، ١٢٢ من قصيدة "حافظ إبراهيم" .
في ديوان حافظ إبراهيم ٢: ١٢٠ ورد البيت
لبسته ودموع العين طيعه والنفس جياشة والقلب أواه
(٢) المصدر السابق ٣: ٩٩ ، ١٠١ من قصيدة "جمال الدين الأفعاني" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا المشـــاتقُ فـــي أعوادِهـــا ثمـــرٌ غضٌّ من الوطـنِ المفجـوعِ يُقْتطـع [١]

ويريد الجواهري من الشعب السوري مواجهة الفرنسيين بالأسلحة والمعدات الحربية ، من أجل الحصول على استقلالهم .

يتصور الجواهري صورة الوطن بعد إجرام المستعمر فيه وإعدام أبنائه ، وتشريد أحراره إلى خارج البلاد ، فهذه الصورة حية في نفس الجواهري ، يعبر عنها وهو في مغتربه بباريس فنجد "الدم" يرمز إلى معاناته الذاتية ، "والجرح" يرمز إلى معاناة الأمة ، فالدم يهدر دون وجود أشخاص يوقفون نزيفه . فالجواهري من خلال صورته الفنية أراد أن يخلق الوعي لدى الشعب من أجل تحريضهم على الثورة :

ليتَ "دمعَ" الفجرِ الحزينِ الباكي

لفراقِ الدجى بعينِ الورودِ

وظلالٌ من الدمِ المسفوح

بيد الصُبحِ في الفضَاءِ الجريح [٢]

ويسعى الجواهري من خلال صورته الفنية إلى تحقيق الاستقلال للأمة ، ويشير إلى ذلك بصورة الدم الذي يسيل من الأبناء من أجل نيل استقلالهم والدمع يكون حافزاً للثورة والنضال، فنجد أن صورة الدم والدمع تؤدي وظيفية دلالية واحدة ، وهي تحريض الأبناء على مواجهة المستعمرين ، والوقوف لهم بالمرصاد :

فصَّـد * دمـاً مغربيـاً لاكِفـاءَ لـه بيـن الدمـاء زكيـاتٍ ولا قَـوَد *

دمـاً يَسـيلُ علـى سـوحِ النـدى سَـرَفاً وإنـه مثـل دمـع العيـن يُقْتَصَـد

فصَّده تُنْجِـد بـه الصحـراءَ فـي غَدهـا عرقـاً بـأمس علـى الجـولان يُقْتَصَـدُ

يـا نـاثرين علـى البلـوى نفوسَـهُمُ طوعاً ، فهم كسرٌ في سوحها قِصَد *

يهـدون للشـرق أرواحـاً إذا عصفـت بهم وبالموت ريـحٌ قـرَّةٌ صَـرَدُ * [٣]

---

(١) ديوان الجواهري ٢: ٣٣٩ من قصيدة "إلى الشباب السوري" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٣٦١ ، ٣٦٢ من قصيدة "شهرزاد" .

* فصد دماً : أسل ، القود : الدية .

* قصد : كسر .

* ريح قرة صرد : ريح باردة .

(٣) ديوان الجواهري ٦: ١٩٦، ١٩٧ من قصيدة "الصحراء في فجرها الموعود" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رسم الجواهري لوحته الفنية بأدوات تشكيلية متعددة منها : تكرار لفظة الدم والغاية من تكراره هو بيان دوره الفاعل في تحقيق النصر للأمة . وتكرار قافيه "يقتصد" المأخوذة من الفعل الماضي "قصد" وعن طريق تكرارها يحدث إيقاعاً قوياً يتناسب مع غايته من القصيدة، وهي بث الثورة والنضال . فالصورة الفنية عند الجواهري تهدف إلى معنيين المعنى الأول : نستدل من خلاله على الموت والفناء ، وقد عبرت لفظة الدمع عن هذا المعنى . والمعنى الثاني نستدل منه على الثورة والنضال ، وقد عبر عن ذلك بلفظة "الدم".

ويرمز الجواهري بالدم إلى ويلات الاستعمار ، واستبداده في الحكم بالإعدام على أبناء الوطن ، وتشريده للأحرار خارج البلاد ، وسجن الأبرياء وتعذيبهم بالسياط ، وهذه المشاهد تبعث في النفس الحزن والألم ، فالشاعر يعبر عن همومهم وأحزانهم وآلامهم ، ويضيف لهذه الهموم معاناته الذاتية إزاء المستعمر الغاشم :

ومنها الذي يُبكي ويُضحِك أمرُهُ ... فيفترُّ ثغرٌ عَنْ جُفونٍ دوامعِ
ومنها الذي تدنو فتبعدُ نُزَّعاً ... شواخِصُهُ مِثْلَ السَّرابِ المُخادعِ
ومنها الذي لا أنتَ عنه إذا دنا ... براضٍ ولا منهُ بعيداً بجازعِ
حَوى السِجنُ منها ثُلَّةٌ وتحدَّرَتْ ... إلى القبر أخرى وهي أمُّ الفجائعِ
وباءتْ بأقساهُنَّ كَفّي وما جَنَتْ ... من الضُرِّ مَمّا تَتَّقيهِ مسامعي
ومكْبوتةٍ لم يشفَعِ الصَّفْحُ عندَها ... مددتُ إليها مِنْ أناةٍ بِشافِعِ
غَزَتْ مُهجتي حتّى ألانَت صفاتَها ... ولاثَت دمي حتى أضَرَّت بطَابعي [1]

نجد اضطراب الرؤية السياسية لدى الشاعر ، بالإضافة إلى الغموض وعدم التصريح بما يريد أن يقول ، ونستشف من القصيدة الظلم الواقع على الشعب من المستعمر والحكام ، ولكن شاعرنا لم يشر لذلك بطريقة واضحة ، ولكنه رمز إلى معناه بألفاظ متعددة منها: "السجن" ، "القبر" ، "ومكبوته" ، "ولاثت دمي" ، وعدم تصريحه بما يريد أن يقول بسبب القيود السياسية التي يفرضها المستعمرون والحكام على المثقفين والأدباء من أبناء الوطن. وأجد أن الغموض وعدم التصريح سمة هذه القصيدة إن صح لي التعبير.

ويعاني الشعب العراقي من الأسى والحزن الناتج عن كثرة الانقلابات العسكرية على الحكم العراقي ، وخاصة الانقلاب الذي قادة حكمت سليمان وحليفه بكر صدقي ، فالدم ناتج عن مقاومة المستعمر والوقوف في وجهه ، وأن كلف ذلك إهدار الدماء وسفكها ، ويهدف الدمع إلى خلق الحالة

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٣ من قصيدة :أجب أيها القلب" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستفزازية لتحريض الأبناء على الثورة والنضال ، من هنا ارتبط الدم بالدمع ليخلق الوعي لدى الشعب بويلات الحكام وما يسببونه للشعب العراقي من فقر وحاجة تدمي القلب والبصر :

فحاسبِ القومَ عن كلِّ الذي اجترحوا ... عما أراقوا وما اغتلوا وما احتَكروا
لـلآن لـمْ يلـغَ شـبرٌ مـن مَزارِعهـم ... ولا تَزحـزح ممّـا شـيَّدوا حجـر
ولـم يـزلِ لهُـم فـي كـلِّ زاويـةٍ ... مُنـوَّةٌ بمخـازيهم ومُفتَخـر
وتلـكَ للحـرِّ مأسـاةٌ مهيِّجـةٌ ... يَدمي ويدمـعُ منهـا القلـبُ والبصَـر [١]

ويضم الشاعر "التاج" للشارع ويمنحه دوراً وطنياً ، وغايته من صورته الفنية أن يتحد أبناء الوطن ، ويتعاونوا في سبيل تطهير البلاد من تدنيس العدو ويبث الدم النضال والكفاح في نفوس الآخرين ، ويخلق الدمع حالة تحريضية لدى الشعب من أجل استمرار الجهاد ومواصلته لتحقيق النصر ، ويشير إلى ذلك بالبيت الأخير من القصيدة :

حضَـنَ التـاجُ بنيـه فتعـالَى ... وتعـالى "حـارسُ التـاج" جَـلالا
وتعـالت أمـةٌ لـم تنحـرف ... عـن مـدى الحـق ولا زاغَـت ضَـلالا
وتحـدَّى مـن تحـدَّى مُعلنـاً ... أنـه يقبـل فـي الحـق الـنزالا
وانـبَرت كـفٌّ هـي الـبُرْء مَشَـى ... فشَـفَى مـن "مزمـن" داءً عُضـالا
تمسـحُ الـدمعـة سَـالـتْ حـرّةً ... فـوق جُـرحٍ فـاحَ بـالعِطـر وسـالا [٢]

وقد تحقق النصر عن طريق إلغاء معاهدة "بورتسموث" * وحصول البلاد على استقلالها الجزئي. وينظم الجواهري أبياته على "بحر الرمل" ليعطي إيقاعاً قوياً يتناسب مع "الحدث العام"، وهو قدرة الشعب العراقي على إلغاء معاهدة "بورتسموث" .

ويرمز الدمع إلى الضعف والخمول والركود الموجود عند أهل العراق لعدم مطالبتهم بحقوقهم الوطنية المشروعة من أجل العيش بأمان واستقرار على تراب الوطن ، ونجد الدم يقترن بالدمع لأن كليهما فقد قدرته على خلق الحالة التحريضية لدى الشعب من أجل الثورة والنضال :

---

(١) ديوان الجواهري ٢: ٣١٧ من قصيدة "تحرك اللحد" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٥١ من قصيدة "قف بأجداث الضحايا" .

* معاهدة بورتسموث بين بريطانيا والعراق غايتها وضع العراق تحت الانتداب البريطاني والاستيلاء على خيراته واذلال شعب البلد العراقي واخضاعه لبريطانيا فما كان من الشعب العراقي إلا أن قاتل في سبيل الغاء المعاهدة واستطاع الشعب العراقي بكفاحه ونضاله واستشهاد أبنائه في معركة الجسر الباسلة أن يلغي "معاهدة بورتسموث" ويحصل على استقلاله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحكِمو أسْر الشُّعوبِ تبدَّلت دُولٌ بهم فإذا هُم الأسراء
ناموا على الغَبَقِ اللذيذِ وأصبحوا فإذا الصبُّوحُ مدامعٌ ودماء
وإذا العبيدُ النائمونَ على العصا ناهُونَ في أوطانِهم أُمراء [١]

ويستخدم الجواهري "التضاد" في صورته الفنية بين "العبيد - الأمراء" ليخلق حالة استفزازية لدى الشعب من أجل النهوض والاعتداد بالقوة .

ويبين الجواهري من خلال صورته الفنية استبداد المستعمرين ، وبعض الحكام للشعوب وجعلهم يعيشون بقهر وظلم وعبودية ، بسبب تفرقهم وتشتتهم وعدم قدرتهم على النهوض والثورة ، فالدمع يرمز إلى معاناة الشعب العراقي نتيجة الظلم الواقع عليه من قبل المستعمرين والحكام :

مزّقوا ما استطعتُمُ من جلودٍ ورقّعوا
هلِ سوى أنّ اغينُاً بدمِ القلبِ تَدْمع
وعُراةً على الدُّروبِ حَيارى تَجَمَّع
أرْهبوهم لِيضرَعوا وخُذوهم وأوْجِعوا [٢]

نجد "سخرية الجواهري" واضحة في الأبيات الشعرية فهو يهزأ من المستعمرين ومن يساندهم من الحكام لأنهم يعملون على احتقار الإنسانية وإذلالها ، وهم يعرفون أن الإنسان خلق مكرماً معززاً ، ويعملون بعكس معاني الإنسانية .

ويبعث الدم الأحمر الرعب والخوف في نفس المستعمر لأنه ينذر بثورة عارمة تعم البلاد ، وتبشر بولادة جديدة يتخلص فيها الشعب من العبودية والإذلال ، ونستشف ذلك من خلال عبارة "صرخات الحقد تطوي المشرقين" ، فهي تشير إلى ثورة عارمة تعمّ البلاد ، بينما عبارة "ترَ ذوب الدم بين الأدمع" تبشر بولادة جديدة للشعب" :

أيُها الوحشُ تَسَمَّع تَسْمَعِ صَرَخاتِ الحِقد تَطْوي المشرقين
تَرَ ذوبَ الدَم بين الأدمعِ يرتمي مَن حَنَقٍ في المقلتين [٣]

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ١٥ من قصيدة "سرّ في جهادك" .
(٢) المصدر السابق ٤: ١٢٨ من قصيدة "ما تشاؤون" .
(٣) ديوان الجواهري ٤: ٥٨ من قصيدة "أيها الوحش" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلحظ تكرار الفعل المضارع "تسمّع" ، ليبث في الشعب اليقظة والنهوض من أجل الثورة على المستعمر.

ويشكو الجواهري همومه السياسية لجيش العراق من أجل إنقاذه من الحزن والأسى بقوته وبسالته وبذلك يكون قادراً على مواجهة المحتلين والوقوف لهم بالمرصاد وهو يسعى بشعره لأن يلبي الجيش مطلبه من أجل تحقيق الاستقلال لأبناء الشعب العراقي :

يـا جـامعَ الضديـن ليـلاً وادعـاً ... مكـراً وصُبحـاً مـن جـراح مثْخنـا
وإليـك يـا جيـشَ العـراق تحيـةً ... مـن دمعـة الشـاكي أرقَ وأثمنـا (١)

وتحمل صورته الفنية بعداً معنوياً خفياً الغاية منه تحريض الشعب على النضال والكفاح.

ويرثي الجواهري أبناء الوطن لأنهم يعيشون بذل وهوان للمستعمر ، ولا يطالبون بحقوقهم الوطنية في العيش على تراب وطنهم ، فالمستعمر يستولي على خيرات البلاد جاعلاً أبناءهم يعيشون عيشة فقر وحاجة ، لذلك ينزف الجواهري دماً ومصادره عديدة : ظلم ، إستبداد، عبودية، خضوع ، انكسار :

أبَـا الفُـرات تحيتـي ألَـمُ ... حَيْـثُ الحَنَـاجِرُ كـالجراحِ دَمُ
وَسَـلاميَ الدَّمْـعُ الـذي سَـفَحُوا ... فـأذاحَ رَغْـمَ الأدْمُـعَ النَّغَـمُ
هَـاتَنْ علـى الصَّخْـرا فوارسُـها ... فـالخَيْلُ لا سـرْجٌ ولا لُجُـمُ
وَغَـدَت سُـيُوفُ الهِنْـد غانيـة ... فـالنَّقْطُ يَشْـدو والرِّمـالُ فَـمُ (٢)

وترمز الصورة الفنية عنده إلى ضعف الشعب في استغلال خيرات بلاده .

وعندما يتصف الأبناء بالضعف والركود والخمول ، يصبح الدم غير فاعل لا يؤدي دوره في خلق الحالة التحريضية لدى الشعب ، بالإضافة إلى أن الدمع لا يؤدي وظيفته التعبيرية، وهو خلق الحالة الاستفزازية للثورة ، وبذلك تكون صورته الفنية صادقة بعيدة عن الزيف والخداع :

تسـاط بهـا الـروح قبـل الجلـود ... ويعتصـر الـدّم والأدمـع
أنـوف تراغـم منهـا "اليهـود" ... وعجلهـم الأصلـم الأجـدع
وشـمّ جبـاه كخفـق الصّقـور ... عظامـا تناثـر أو تضـرع *(٣)

---

(١) ديوان الجواهري ٤، ٣٠٠، ٣٠٦ من قصيدة "جيش العراق" .

(٢) ينظر الجواهري في العيون من أشعاره ٦٦١ .

* تضرع : تذل وتخضع .

(٣) ديوان الجواهري ٧: ١٣٩ من قصيدة "إلى المجد إلى القمة" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلحظ أن الصراع بين "الشعب والمستعمر" قائم لم ينتهِ بسبب عدم حصول معظم البلدان على استقلالها ، ولكن الشاعر قد وظف صورة "الدم والدمع" لتخلق حالة استفزازية وتحريضية لدى الشعب من أجل التحرك بطريقة أفضل ، ويبين لهم أن عدم انتصارهم لأنهم ضعفاء لا يتمردون ولا يتحركون ، ونجد حركة الشعوب بطيئة ، وإن تحركوا يكون الضعف هو الغالب ، وإن استطاعت بعض البلدان الحصول على استقلالها . وكان الجواهري صادقاً في حكمه على أبناء الوطن مبيناً الصورة الحقيقية لهم ، وهي عدم قدرتهم على مواجهة المستعمر وفي الأغلب يكن النصر حليف القوي ، وترمز الصورة الفنية بأبعادها ودلالتها لهذا المغزى . والجواهري يريد من الشعب عكس ما تبثه الصورة عن طريق إثارتهم واستفزازهم للثورة والنضال .

ثم يبين الجواهري المواجهة بين الشعب والحكام ، ويتضح لنا من خلال صورته الفنية فساد أصحاب المناصب العالية ، وعملهم لمصلحتهم الذاتية دون مبالاة بمصلحة الشعب ، وكان من نتائج فسادهم حصول اشتباك بين الشعب وأصحاب المناصب العالية .

وتعبر صورته الفنية عن الصراع القائم بين الشعب والحكام . ويرمز الدم إلى معاناته الداخلية إزاء الفساد القائم عند الحكام ، وتعصب بعضهم للأتراك ، وجعلهم يسيطرون على مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ، وابتعاد أبناء الوطن عن الوظائف الهامة مما يسبب لهم التخلف والخمول والركود ، ويطلب الحكام من الجواهري أن يساندهم بأشعاره ، ويؤيد فسادهم فالجواهري رافض لسياستهم الإستبدادية ، ومقاوم لها ونستشف هذه الأبعاد من خلال لفظة الدم لتكون دليلاً صادقاً على مواجهة الحكام ، ورفضه للخضوع والانكسار لهم . وحالة الجواهري من الحكام تشبه حالة "الحسين بن علي" من المتعصبين للخلافة فكلا مضطهد من قبل الحكام . فالجواهري يسعى من خلال صورته الفنية إلى خلق الوعي لدى الشعب من أجل الوحدة والتضامن بدلاً من التفرق والتشتت :

كأنّ يداً من وراء الضريـ ... ـح حمراء "مبتورة الإصبع"*
تمدُّ إلى عالمٍ بالخنو ... ـع والضيم ذي شرق مترع
تخبط في غاية أطبقت ... على مذئب منه أو مسبع
لتبدل منه جديب الضمير ... بآخر معشوشب ممرع
وتدفع هذي النفوس الصغا ... رَ خوفاً إلى حرم أمنع
ومن "تأثرات" عليك المسا ... ء والصبح بالشعر والأدمع
إلى أن أقمت عليه الدلي ... ل من مبدأ بدم مشبع [1]

ويرمز الجواهري بالدم إلى سياسة الحكام الإستبدادية ، وفرضهم القيود السياسية على

---

* مبتورة الاصبع هي يد الحسين وقد بترت اصبعه بعد مقتله .

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعراء ، وإلا نفوهم خارج البلاد ، وكان الجواهري من الشعراء المنفيين خارج العراق بسبب أشعاره الثورية التي تبين فساد الحكام :

إيـــه بـــيروتُ والقصيـــدُ عـــروقٌ ... يتفجـــرنَ بالأحاســـيس فصـــدا
تســـحقُ الدمـــعَ بســـمةٌ ويهـــزُ الـــ ... جـــرح جـــرحٌ ويمســـحُ الحـــزنَ ختـــدا
يتســـاقى بـــالضوء عطـــرٌ ويَنْـــدا ... حُ على الغيمـة ظلٌ ويفسحُ العمقَ بعدا
أنـــا بيـــروت قطعـــةٌ مـــن أديـــمٍ ... عـــربـــي دمـــاً ولـــحمـــاً وجلدا [١]

فالجواهري حزين ومتألم لسياسة الحكام ويبشر الشعب بقدرتهم على مواجهة الحكام، وتحقيق النصر ، لأن دمهم عربي والدم العربي يرفض أن يهان ويذل .

ولم يكتف الحكام بنفي الأدباء والكتاب ، بل لجأوا إلى تعذيب أبنائهم بالسياط ، وسجنهم في السجون ، والشعب صامد يتألم ويحزن دون وجود رد فعل من قبل أبناء الشعب ، ولكن السكوت يبشر بثورة تعمّ البلاد ، لأن الإنسان رافض للظلم والاستعباد وأن كلفه ذلك إهدار الدماء :

شَـــبِعتْ منكـــمْ ســـياط ودمٌ ... وقبـــورٌ وطوامـــيرٌ وســـجن
وحملتـــم ثقلُهـــا إذ غـــيرُكم ... كَـــلَّ منـــه كـــاهلٌ أو زلَّ متْـــن
وصـــبرتم وصبرنـــا واغتلـــى ... بـــدمٍ قلـــبٌ وبالدمعـــةِ جَفـــن
أفـــألان إذ انـــدكّ الخَنـــا ... وهـــوى ركـــنٌ من البغى وركـــن [٢]

نلحظ تأثير حرفي "الشين والسين" في القصيدة من حيث إعطاء الأبيات إيقاعاً سريعاً يؤثر في وجدان المتلقي .

ويحذر الجواهري أبناء الوطن من سياسة المستعمرين الخبيثة ومهادنتهم للشعب من أجل مصالحهم الذاتية ، وصورته هذه تستحق الرثاء والتفجع والعويل عليهم من أجل بيان فسادهم لأبناء الشعب ، ولا يكون خلاصهم إلا بالثورة والنضال والكفاح المستمر .

كـــم فـــوقَ رُدنـــي دمعـــةٌ ... بـــدَم أرقْـــتَ ... ولـــم يَجِـــفّ
ورذاذُ "سُـــمٌ" للصديـــ ... ق يُـــدافُ * فـــي "عَسَـــلٍ" بِلُطْـــف
كـــفٌّ تُصافِحُـــه بهـــا ... ختـــلاً ... وتَذبَحُـــه بكـــفّ
وتـــروحُ فـــي خُـــدَعٍ ، وفـــي ... ضَـــرَعٍ * ، وفـــي نَشْـــرٍ ، ولَـــفّ [٣]

---

(١) ديوان الجواهري ٥: ٢٦٤ ، ٢٦٥ من قصيدة "إيه بيروت" .

(٢) المصدر السابق ٤: ٣٢٩ من قصيدة "أزف الموعد" .

* يداف : يمزج .

* ضرع : توسل تخضع .

(٣) ديوان الجواهري ٧: ٧٩ من قصيدة "لغة الثياب" أو "حوار صامت" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويأتي الجواهري بأسلوب التناقض بين "تصافحه - وتذبحه" لبيان سياسة الحكام الجائرة.

ويحث الجواهري الشعب العراقي على النضال والكفاح ، من أجل الحصول على الاستقلال ، والتخلص من استبداد الحكام ، وسياستهم الباطلة ، ويأتي بصور متعددة لبيان أشكال متنوعة من الظلم الذي تعرض له أهل العراق ، فنجد المستشفيات تعمّ بالجرحى والمرضى والقتلى ، وعجز الأطباء عن علاجهم بسبب عمق جراحهم ، ونستدل من خلال هذه الصورة على حدوث اشتباك قوي بين "الشعب والمستعمر" من جهة ، وبين "الشعب والحكام" من جهة أخرى ، كان من نتائجه تضحية أبناء الوطن بدمائهم من أجل الخلاص من العبودية والاستبداد :

سبعونَ عاماً جُلّت في جَنَباتها ... تبكي حريباً أو تُسامرُ واصباً
ولأنتَ اثخنْت الفؤادَ من الأسى ... للمُثْخنينَ من الجراحِ تعاقبا
الحاضنينَ جراحَهمْ وكأنّهم ... يتحضنّون خرائداً وكواعبا
غُرَفُ الجنانِ * تَضَوّعَتْ جنباتُها ... بصديدِ هاتيكَ الجراح لواهبا [1]

ويشكو الجواهري همومه السياسية إلى إمرأة ريفية تدعى أم عوف ، ويجري معها حواراً جميلاً يتناسب مع "بيئتها الريفية" ، فنجد سلاسة الأسلوب وعذوبته ، بحيث يتناسب مع حياة الريف ويبين الجواهري من خلال صورته الفنية أن الوطن مجروح بسبب فساد الحكام وسيطرة المستعمر على خيراته وضعف أبنائه في مقاومة المستغلين ويتضح لنا من صورته الفنية الصراع القائم في المدينة بين الشعب والمستغلين ، من الحكام والمستعمرين :

يَدفنَ شَهْدَ ابتسامٍ في مراشفنا ... عَذْباً بعلقم دمع في مآقينا
يا أمَّ عوفٍ حُرمنا كلَّ جارحةٍ ... فينا لِنُسرجَ هاتيكَ الدواوينا
ولا ينمُّ بسنٍّ من يُضاحِكنا ... ولا يُرفُّ بجفنٍ من يُباكينا [2]

وكان من نتائج الاشتباك بين الشعب والعدو من ناحية ، والشعب والحكام من ناحية أخرى ، استشهاد العديد من أبناء الوطن في سبيل تحريره من الظلم والعبودية والاضطهاد الذي يتعرض له الأبناء ، فنجد صورة "الشهيد" تتكرر عند الجواهري من خلال صورته الفنية لتعبر على أن الشهيد رمز للموت والفناء ، لذلك نجد الدموع تذرف عليه ألماً وحسرة لفراقه وقد صور لنا الجواهري صورته الفنية تصويراً رائعاً مستمداً عناصره من التراث القديم ، ولكنه

---

* غرف الجنان : يراد بها غرفة المستشفى التي ضمت الجرحى والصرعى من شهداء يوم الوثبة .

(١) ديوان الجواهري ٣: ٣٩٦ ، ٣٩٧ من قصيدة "هاشم الوتري" .

(٢) المصدر السابق ٤: ١٩٩ ، ٢٠٥ من قصيدة "يا أم عوف" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضاف إليها أحاسيسه ومشاعره لتتعدى الصورة القديمة إلى صورة جديدة تعبر عن هموم الأمة:

فقلـــت مُســـلماً ودمـــي دمـــوع بيُـوتُ أحبّـــةٍ هـــذي الطُّلـــول (١)

ويتحول الدم إلى دمع ، ويقلل من تأثير الصورة على وجدان المتلقي ، لأن الدم قد اختفت دلالته وحلت محله دلالة الدموع التي تبعث الحزن والألم الناتج عن سفك الدماء وإهدارها ، واصبح "الدم" ذكرى يتذكر بها الإنسان ويلات الاستعمار ، وما يسببه من خراب ودمار ، وتشبه صورته الفنية "الدم والدمع" بدلالتها وأبعادها صورة "الأطلال" عندما يبتعد الحبيب عن حبيبته ، ويبقى يذكر ديارها ويحن إليها ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى ذرف الدموع . فالصورة الفنية عند الجواهري تحمل بعداً معنوياً أكثر منه دلالياً ، لتعبر عن فراق الأحبة من أبناء الوطن .

ويأتي الجواهري بصورة أخرى عن "الشهيد" ، ونجده يعطي للدلالة دلالة معنوية تؤثر تأثيراً قوياً على الوجدان ، ليكون رمزاً للنضال والكفاح ، وقد هيأ لهذه الدلالة بلفظه "الدمع" ليزيد من فاعلية الدم وتأثيره على وجدان المتلقي ، ونجد "للخيال" دوراً في خلق صورته الفنية لأنها نابعة من عقله وفكره وملونه بأحاسيسه ومشاعره المستمدة عناصرها من واقع الأمة :

أســـالتْ ثـــراك دمـــوعُ الشـــباب ونـــوَّر منـــك الضريـــحَ الـــدم (٢)

وسيبقى "الدمع" حافزاً للنضال والكفاح والثأر لدماء الشهداء الذي أسيلت هدراً دون ذنب، والدم سيساند الدمع للمطالبة بحقوق أبناء الوطن

وأبَـو سِـجامَ * الدمـع شـيمةَ نـاتحٍ فلهـم دمـاءٌ يغتليـنَ سِـجام (٣)

ولم يكتف الجواهري بعنصر "التصوير" بل أضاف إليه "عنصر الخيال" ليبين معاناته الذاتية إزاء وفاة أخيه جعفر . ليزيد من تفاعل الأمة مع الحدث العام من أجل الثورة والنضال، فنجد أن الدم والدمع سيسقيان تربة الشهيد حتى يأخذوا بالثأر له ، والسحاب ستحميه من التشقق، والجواهري يريد أن تبقى التربة معطرة بدماء الشهداء ، ودموع المخلصين للوطن .

---

(١) ديوان الجواهري ٧: ١١٦ من قصيدة "محمد البكر" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٦٦ من قصيدة "أخي جعفر" .

* السجام : الدمع الغزير .

(٣) ديوان الجواهري ٣: ٢٧٥ من قصيدة "يوم الشهيد" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكأنمـــا يُعطـــي الشـــقيقَ دمـــاً ان الشـــقيقَ بدمعـــة شَـــرِقا
وكأنمـــا انشـــقَّ الضريـــح لـــه بـ "رعى السحابُ ضريحَه وسَقَى" (١)

وستبقى صورة الدماء النازفة من الشهداء تلح على الشاعر لذلك تكثر ألفاظ الدم في شعره ، ويساند الدم الدمع ليزيد من تأثير الصورة على وجدان المتلقي ، وتبعث فيه الثورة والنضال ، ويبشر "الدم" بولادة جديدة يتخلص الشعب فيها من الإذلال والعبودية ، وبذلك يصبح الدمع صافياً نقياً من الشوائب ، يعبر عن فرحة الأمة بانتصارها على العدو الغاشم ، ومن هنا اقترن الدم بالدمع ليبشرنا بحياة جديدة أفضل من الحياة السابقة :

ذِكْـرَى تصيـحُ علـى المـدى آثارُهـا وتُشَـب جذوتُهـا وتذكـو نارهُـا
ويَضـاءُ مـن شَـرَرِ الفتيـة ليلُهـا حقـداً ويُشـرِق بالدمـاء نهارهـا
وتَجِـلُ عـن فيـضِ الدمـوعِ مخافـةً مـن أن يُشـابَ بمـائِهن أُوارهـا (٢)

وبالرغم من تفاؤل الجواهري في بعض معاني صورته الفنية ، إلا أننا نحس أنه متشائم عندما يقول "ويضاء من شرر الفتية ليلها حقداً" . ويغلب على صورته الفنية التفاؤل أكثر من التشاؤم .

وتبشر الدماء النازفة من الشهداء بالخصب والعطاء ، وبذلك تحمل معنى الحياة بدلاً من الموت ، لأنها تنذر العدو بأن الشعب قادر على مواجهته ، وتخليص بلاده من ظلمه واستبداده .

كـم طريـقٍ معبَّـدٍ بدمـاءِ لشـهيدٍ علـى عظـام شـهيد
كـم رؤوسٍ هـوت لـرأسِ شـموخٍ ونُفـوس شـقت لأجـل سـعيد
كـم كـؤوسٍ مـن الدّمـوع أُذيلـت نَخبـاً مُسـلَفاً لغَـرة عيـد
ربَّ مليـون جُثَّـةٍ فـي نُعـوشٍ مـن بُطـون الوحـوش عَـبر البيـد
كُـنَّ مَهـراً حـراً كريمـاً عزيـزاً لنُعـوشٍ تكَلَّلـت بـالورود (٣)

وتتعدى صورته الفنية "الدم والدمع" صورة الشهيد ، لتعبر عن معاناة الشعب الفلسطيني

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٣٠٤ من قصيدة "ذكريات" .
(٢) المصدر السابق ٤: ١٠٩ من قصيدة "ذكرى" .
(٣) ديوان الجواهري ٥: ٧٥ من قصيدة "أنتم فكرتي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونشعر من خلال قراءة قصائده في فلسطين بأنه ينتمي انتماءً قومياً لها ، ويعبر عن نضال أبنائها ، ودفاعهم عن وطنهم بكل ما يملكون من رصاص وحجارة وأسلحة ، مقابل الدبابات والمعدات المتقدمة من رشاشات وقنابل عند المستعمر الصهيوني . ونجد صورة أبناء فلسطين وهم يجاهدون ويقاتلون وتهدر دماؤهم في سبيل خلاص الوطن عالقة في ذهنه يعبر عنها من خلال قصائده الوطنية بشكل عام ، وقصائده الفلسطينية بشكل خاص ، فالجواهري يمتاز بقدرة هائلة في "الوصف" ، ويظهر هذا الغرض في قصيدته "يافا الجميلة" ليراها حزينة ومتألمة ، بسبب سيطرة المستعمر عليها واستيلائه على خيراتها ، وقد خص الجواهري "مدينة يافا" بقصيدة كاملة لأنها عروس الشاطئ ، ومنبع للخصب والعطاء ، يتدفق إليها الأبناء من أجل الراحة والاستجمام ، ويعز على الجواهري أن تحتل المدينة من قبل العدو الغاشم ، فهو يبث معاني الكفاح والمقاومة من أجل تخليصها من القيود الاستعمارية ، ونستدل على مطلبه من خلال مفردة "الدم" :

نظرتُ بمُقْلةٍ غطَّى عليها ... من الدمع الضليل بها حجاب
وسائلةٌ دَماً في كلِّ قلبٍ ... عراقيٌ جُروحُكم الرغاب * (١)

ويدعو الجواهري إلى التشبث بالأرض ولو كان ذلك بأقل الأدوات ليتحقق للأمة المجد والكرامة ، بدلاً من الذل والهوان ، ويبشر "الدم" بالنضال والكفاح ، لأن الشعب الفلسطيني سيبقى يناضل ويكافح حتى يتخلص أبناؤه من العبودية والاضطهاد ، وصورة الدمع عند الجواهري تبشر بالخلاص:

خذِي مَسعاك * مُثَّخنة الجِراحِ ... ونامي فوقَ داميةِ الصفاحِ
فانَّ أمَرَّ ما أذمَى كِفاحاً ... طُعونُ الخائفين مِن النجاحَ
وعُيونُ الفجرِ تذري الدمعَ طَلاً ... وتمسَحُه بمنديل الصباح (٢)

وشبه الجواهري الفجر بإنسان على سبيل "الاستعارة المكنية" ذكر المشبه الفجر ، وحذف المشبه به الإنسان ويوظف الجواهري "أسلوب الأمر" ليتناسب مع استمرارية النضال والكفاح .

---

* الرغاب : الواسعة .

(١) ديوان الجواهري ٣: ١٠٦ ، ١٠٧ من قصيدة "يافا الجميلة" .

* المسعاة : المكرمة في أنواع المجد والكرم .

(٢) المصدر السابق ٣: ١٣١ من قصيدة "ذكرى وعد بلفور" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرسم الجواهري الخط الذي سيسير عليه أبناء الوطن وهو الدم الذي سيغسل درن الغزاة، ويفتخر الشاعر "بالجراح وبالضماد" ، لأنها تعبر عن استجابة الأبناء وبدء مقاومتهم للمستعمر ، ونجد الجواهري حاقداً وناقماً على الزعماء ، لأنهم لا يساندون الشعب الفلسطيني ، ويطالبهم بالتضامن مع أبنائهم والابتعاد عن النفاق والخيانة لأن الشعب ثائر وناقم ولا يرضى بالظلم :

دَلالاً * في مَيادين الجِهادِ ... وتِيهاً * بالجِراح وبالضِّماد
وكنّا نستجيرُ إلى زعيمٍ ... كليلِ السيفِ لمَّاع النِّجاد
كذوبِ الدَّمع يسمُنُ في الرَّزايا ... ويَدْعُرُ وهو يَرْفُلُ في الحداد
وما كانَت فلسطينٌ لِتبقى ... وجيرتُها يُصاحُ بها : بَداد * (١)

ونجد ألفاظ الجواهري جزلة تعبر عن العزة والكرامة والمجد بعد الجهاد والنضال .

ويستذكر الجواهري صورة العراق وفلسطين وما فعله المستعمر فيها من نفي الأحرار وسجن الأبرياء ، وإعدام المقاتلين والمجاهدين ، وهذه الصور لا تغيب عن ذهن الجواهري وهو ينظم قصائده الوطنية ، فيأتي لنا بصورة "المسجد الأقصى" ، واعتداء اليهود عليه ، وسفكهم للدماء الأبرياء في داخله ، بالرغم من إجرامه بحق الفلسطينيين إلا أن الأبناء سيتحدون ويتعاونون في سبيل تحرير بلادهم منه ، قال الجواهري قصيدته مخاطباً بشارة الخوري عند زيارته العراق عام ١٩٤٧ :

جئتَ العراقَ ومن فِلَسْطين به ... وجعٌ مطبَّبُهُ يعودُ عليلا
والمسجدُ المحزونُ يُلقي فوقَه ... ليلاً على الشرق الحزينِ طويلا
ذهبت فِلسْطينٌ كأن لم تعترِف ... مِن كافليها ضامناً وكفيلا
والمسجدُ الأقصى كأن لم يرتفع ... فيه آذانٌ بُكرةً وأصيلا
واليوم يفخرُ "بالحيادِ" كفاخرٍ ... بالقتَل إذ لم "يُسلخِ" المقتولا (٢)

ويدعو الجواهري إلى وحدة الشعب وتضامنه وتكاتفه ، وقد رمز إلى مطلبه بصورة "الدم والدمع" من أجل تخليص الشعب من تفرقه وتشتته ، وجعلهم يقفون بالمرصاد للعدو،

---

* الدلال : النشوة والافتخار . التيه : الشموخ .

* بداد : النصيب من كل شيء .

(١) ديوان الجواهري ٣: ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣ من قصيدة "فلسطين" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٤٧ من قصيدة "تاغيت لبنانا" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكونون كالبنيان المرصوص في المواجهة ، وبذلك يتحقق لهم النصر ، ويعود السلام إلى بلادهم العربية :

وتساقتِ الدمَ والدموعَ أخوَّةٌ ألفتهما نَخْبٌ من الأنخاب (١)

ويتفاءل الجواهري بأبناء الشعب ، ويجعلهم قادرين على تحقيق النصر بقوتهم وعزمهم واعتدادهم بالأسلحة ، وبوحدتهم وتضامنهم ، وبذلك يبثون في العدو الرعب والخوف ، لأن الدم العربي يرفض أن يهدر دون وجود أشخاص يدافعون عنه بدمائهم ، وبذلك يتحقق للأمة الخلاص من قيود الاستعمار ، وأصحاب المناصب العالية :

وما غنّت لكُمْ منا قوافٍ يرقرقُ نَسْجَها دمعٌ مذاب
وما ضمَّ الثرى إلا حَقَنْتُمْ دماً يُشجي المصيب به المصاب (٢)

ونلحظ أن صورة "الدم والدمع" قد عبرت عن خمسة محاور رئيسة :

أولاً : الهزيمة وتبعاتها .

ثانياً : الشعب ورفضه للهزيمة ، بوصفه المحرك الرئيسي للثورة والنضال من أجل خلاصه مما لحق به من ضيم .

ثالثاً : الموقف الرسمي ممثلاً برموزه من النفوذ الأجنبي .

رابعاً : النزعة القبلية والطائفية وبقايا الحكم العثماني .

خامساً : انقسام المثقفين والأدباء إلى فريقين : فريق مهادن مسالم ، وفريق ثائر ناقم كان الجواهري من هؤلاء الثائرين الذين شاهدوا أحداث الوطن بل كان في الصميم من هذه الأحداث، يعبر عنها بصوره الفنية المستمدة عناصرها من الواقع السياسي والاجتماعي والفكري.

واتخذ الجواهري من الرثاء غرضاً شعرياً ، للتعبير عن تفجعه وعويله وحسرته على الوطن ، ليبث في أبنائه روح النهوض والثورة بعد الهزيمة والانكسار .

وقد اعتمد الجواهري في خلق صورته الفنية على التضاد والجناس ، بالإضافة إلى

---

(١) ديوان الجواهري ٦: ١٠ من قصيدة "طيف تحدر" .

(٢) المصدر السابق ٦: ١٧٠ من قصيدة "إلى وفود المشرقين" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التكرار والتشبيه والاستعارة والخيال . ويلجأ أحياناً إلى أسلوب المبالغة لزيادة تأثير الصورة الفنية على وجدان المتلقي . ونستطيع أن نقول أنه وفق توفيقاً كبيراً في رسم صورته الفنية، لتعبر بدلالاتها وأبعادها عن الصراع القائم بين "الشعب والمستعمر" من ناحية ، والشعب والحكام من ناحية أخرى ، وبذلك يكون الجواهري صادقاً وواقعياً في تعبيره عن أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصور الجواهري أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية تصويراً رائعاً ، مستمداً عناصره من الواقع المأزوم ، الذي يحتاج من أبناء الشعب الذين يمثلون القاعدة الجماهيرية للنهوض والثورة ، بدلاً من الضعف والانكسار والخنوع .

كان الجواهري يتألم ويتحسر على أبناء الوطن بسبب تفرقهم وتشتتهم ، مما سبب لهم الإذلال والاحتقار والعبودية من قبل المستعمر ، ناهيك عن الفقر ، والضنك ، والتعذيب بالسياط، والنار ، وسبي النساء ، وتشريد الأحرار خارج البلاد ، هذه الصور المؤلمة سببت للجواهري جرحاً ناغراً ، وخاصة عندما ينظر للدماء ، وهي تنزف من أبناء الوطن دون وجود أشخاص يوقفون نزفها . بالإضافة إلى كونه شاهداً على فساد أصحاب المناصب العالية ، وخوفهم على مصالحهم الخاصة ، دون مبالاة بالدم النازف من أحرار الوطن .

جاءت صورته الفنية "الدم حياً" نابعة من الواقع الذي يعيشه أبناء الوطن ، وتأتي صوره متتابعة ومتناقضة أحياناً ، لتعبر عن صورتين فنيتين : الصورة الأولى قاتمة تعبر عن سيطرة المستعمر البريطاني على خيرات البلاد ، بسبب ضعف أبنائه في الدفاع عن حقهم في العيش على تراب وطنهم . والصورة الثانية مضيئة ومشرقة تعبر عن نضال وكفاح الشعب من أجل الخلاص من العبودية والإذلال .

وقد وظف شاعرنا مجموعة من الأساليب الفنية التي كان لها دور كبير في إضاءة الصورة الفنية ، وتعدد دلالاتها ومعانيها ، ومن هذه الأساليب التضاد ، والتشبيه ، والاستعارة، والتكرار ، والوزن الشعري ، وتوظيف هذه الأساليب جميعاً لخدمة فكرة الشاعر الأساسية ، ألا وهي دعم معنويات الشعب المبعثرة من أجل النهوض والثورة .

ترمز مفردة الدم إلى معاناة الشاعر الداخلية إزاء الحكم العثماني ، وما سببه للشعب العراقي من ضعف وانكسار ، بسبب سيطرة الأتراك على مجلس الأعيان والنواب ، وتوظيف الفئات الجاهلة لتمثيل الشعب ، وهم لا يفقهون شيئاً في العلم ، ويعملون لمصلحة المستعمر، وهؤلاء سببوا للجواهري جرحاً ناغراً ، بسبب تخلفهم وانحلالهم وتفككهم ، فالصورة الفنية في شعره قاتمة ، تهدف إلى خلق الوعي لدى الشباب ، من أجل النهوض والثورة والدفاع عن حقوقهم في العيش على تراب وطنهم بأمن واستقرار :

لا غـرو أنْ سَـالَ قصيـدي دمـاً ... فـانّ قلبـي مثخـنٌ بـالجراح
يـا ظلمـةً قـدْ طبقّـتْ موطنـي ... دومـي : فشـعبي لا يُريـد الصّبـاح
الشـؤم قـد أوهـم أوطاننـا ... أنَ لَيْـسَ يُجـدي المـرء إلا النّيـاح
مـا لبـلادي فظّـةً روحُهـا ... بعيـدة عـن هـزة الارتيـاح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــن لـــي بشـــعبٍ واثـــق آمـــنٍ غُـــدُوُّهُ لغايـــةٍ والـــرَّواح
قـــد فـــوَّض الأمـــرَ لشُـــبانِهِ فكُلِّلَـــت أعمالُـــه بالنجـــاح
تَوَّجَـــةَ الوعـــيُ بألطافـــه بشـراً كمـا تُـوِّج زهـرُ البطـاح [١]

ونجد الجواهري يستخدم "أسلوب المبالغة" عندما يجعل الظلام يعمّ البلاد ، ولعل استخدامه لهذا الأسلوب لإيقاظ الشعب من النوم ، وحثهم على النضال والكفاح ، ويضيف إلى مفردة الظلام الشؤم ، فهو متشائم لأن الشعب راكد لا يتحرك ، وحاله هذه تجعل الأمة تبكي ألماً وحسرة لسيطرة المستعمر على خيراته ، وهو لا يبالي بما يحدث على تراب وطنه ، ولكنه يبقى خيطاً من الأمل موجودا في الشباب ، لأنهم أمل المستقبل يخلعون ثياب الذل والعار ، ويلبسون لباس الكرامة والمجد ، وأمل الجواهري بهؤلاء الشباب لتطبيب جراحه ووقف نزفه .

وما زالت الجراح مثخنة في قلب الجواهري ومملوءة قيحاً ، بسبب ركود الشعب العراقي وضعفه وانهزامه ، لأنه لا يتحرك ولا يثور ، ويفضل حياة اللهو والمجون على حياة القتال وسفك الدماء ، وهذه الصورة تبعث الحزن في نفس الجواهري ، لأنها تنذر بالهزيمة والخنوع للمستعمر ، فهو يصور واقعه تصويراً رائعاً ، ويجعل حاله شبيهاً بحالة السكران ، وما يبدو عليه من ضعف يؤدي إلى سقوطه ، فالشعب العراقي ضعيف لا يقوى على مواجهة العدو الغاصب ، بسبب تفرقه وتشتته وعدم اعتداده بمقومات القوة :

ومـــلء القلـــب إذ حبســـت لســـاني ظـــروفٌ مغرمـــاتٌ باجتيـــاحي
جـــراحٌ لـــم تَفِـــضْ ، فملئـــن قَيحـــاً وبعـــضُ الشـــر لـــو فـــاضت جراحـــي
وقـــد أُغرِقـــتُ فـــي الأحـــزان حتـــى ســـئمتُ مَنـــادمي وَذَممـــتُ رَاحـــي
ومـــا سَـــكرانُ يقتحِـــمُ البلايـــا كمُقتحِـــمِ البليـــةِ وهـــو صـــاحي [٢]

وقد وفق الجواهري باستخدام ألفاظه الدالة على معاناته الداخلية كالجرح والحزن ، ونجد أن الجرح ينتج عنه الحزن والألم . ويأتي الجواهري بالمتناقضات كاستخدامه "سكران ، "صاحي" ، والهدف منهما خلق الوعي لدى الشعب من أجل النهوض والثورة لتخليص القلب من الجراح ، ويشير بشعره إلى النهوض والثورة واشعال النار :

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٤١٠ من قصيدة "النفثة" .

(٢) المصدر السابق ١: ٤٤٣ من قصيدة "الأدب الصارخ" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقـــدَّمْ للقوافـــي واقتَحِمْهـــا فقـــد يُرجـــى التقـــدُّمُ بالكفـــاح
أقـــولُ لهـــا دعـــي زَنَـــدي فـــإني أخـــافُ عليـــك بـــادرةَ اقتداحـــي
وكـــلُّ حقيقـــةٍ ســـتبينُ يومـــاً وكـــل تصنّـــعٍ فـــإلى افتضـــاح [١]

ويشتعل الجواهري حقداً وغيظاً على هؤلاء الجامدين ، الذين لا يتحركون ولا يأبهون بأحداث الوطن ، وبالرغم من ذلك ستبقى أشعاره تحث الشعب على النضال والكفاح من أجل الخلاص .

ويستذكر الجواهري الماضي من أجل أخذ العبرة والعظة ، فقد قتل ملك الإفغان "أمان الله" نتيجة مؤامرة دبرتها بريطانيا لوقوفه ضد تغلغلها في أفغانستان ، والشعب العراقي لا يثور على العدو الغاصب ، ويسوده التفرق والتشتت ، مما أدى إلى هزيمته وخنوعه:

علـــى أنـــي وإنْ أدمـــى فـــؤادي ليومـــك مـــا أضيـــقُ بـــه ذراعـــا
أحمّلـــك الملامـــة فـــي أمـــورٍ بِطـــاءٍ قـــد مشـــيتَ بهـــا سِـــراعا
وقـــد كـــانت أنـــاةٌ منـــكَ أولـــى وإنْ كنـــتَ المجـــرَّبَ والشـــجاعا
"وخـــيرُ الأمـــر مـــا اســـتقبلتَ منـــه وليـــسَ بـــأنْ تتّبعـــهُ اتباعـــا "
"ولكـــنَّ الأديـــمَ * إذا تفـــرَّى بلـــىً وتعيُّبـــاً غلـــب الصَّناعـــا [٢]"

ويبين الجواهري حالته النفسية نتيجة اخضاع فلسطين للانتداب البريطاني ، والاستيطان الصهيوني ، ويشتعل حقداً وغيظاً لما يفعله المستعمر بأبناء الوطن ، من قتل واعدام ونفي ، ولكن أشعاره ستسجل معاناة الشعب الفلسطيني للأمة ، وتبعث فيهم الثورة والنضال والكفاح :

لـو اسـتطعتُ نشـرتُ الحـزنَ والألمـا علـى فِلسْـطينَ مسـوداً لهـا علمـا
فمـــا لقلبـــيَ جياشـــاً بعاطفـــةٍ لـو كـان يصدقُ فيها لاستفاضَ دما [٣]
حسـب العواطـف تعبـيراً ومنقصـةً أنْ ليـس تضمـنُ لا بُـرءاً ولا سِـقما
مـا سـرني ومَضـاءُ السـيفِ يُعوزنـي أنـي ملكـتُ لسـاناً نافثـاً ضَرمـا
دم يفـور علـى الأعقـابِ فائـرُهُ مهانـةٌ ارتضـي كفواً لـه الكلمـا

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٤٤٤ من قصيدة "الأدب الصارخ" .

* الأديم : الجلد الذي يغلّف جسم الإنسان .

(٢) المصدر السابق ١: ٤٥٩ من قصيدة "أمان الله" .

(٣) ديوان الجواهري ١: ٤٧٣ من قصيدة "فلسطين الدامية" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وستبقى أشعاره الثورية التحريضية أقوى من السيف ، لأن السيف غير ملطخ بالدماء، ولكن شعره يفور دماً من أجل النهوض والثورة .

ويستخدم الجواهري "أسلوب النداء" من أجل الاستغاثة بأبناء الوطن ، لإنقاذ فلسطين من الدماء النازفة ، فمن خلال مفردة "الدم" يدعو الأمة العربية إلى الوحدة والتضامن والتكافل من أجل النهوض والثورة ، وتخليص البلاد من العبودية والاذلال :

يا جارتا : أنت سرٌّ في ضمائرنا ... وأنت بين العُروق الثائرات دم
عِشنا وإيّاكِ أحقاباً مناوبةً ... نَنسَلُّ منك على رفقٍ وننسَجم
حلّي بنا تجدي من أزمةٍ قِدَماً ... عَفّى على رسمِها من أزمةٍ قِدَم (١)

فالجواهري يجعل فلسطين حية في ضمير الإنسان العربي ، يرفض أن تذل وتهان من قبل المستعمر ، وسيبقى يكافح ويناضل من أجل تخليصها من الاستعمار .

ويستذكر الجواهري انتحار السعدون ، وما سببه في نفسه من جرح غير ملتئم يحتاج إلى العلاج ، وأنجح طريقة لعلاجه هو سفك الدماء واهدارها من أجل تخليص البلاد من الخضوع والانكسار ، وإلا بقي الظلام يعمّ البلاد ، واللص يسلب الأراضي العربية :

جُرحٌ تَذُرُّ عليه غيرَ راحمةٍ ... كفُّ السياسة مِلحاً كيفَ يلتئم
تأبى ليومِك أن تنسَى ظُلامتَه ... مظالِمٌ خَصمُنا فيها هو الحَكَم
يُغري بتهييجه نقضٌ يجدُّ إذا ... ما كادَ حبلٌ من الآمال ينبرِم (٢)

نجد أن الجواهري من خلال صورته الفنية متشائماً بسبب عدم قدرة أبناء الوطن للأخذ بالثأر من المستعمر البريطاني . الذي كان سبباً في انتحار السعدون في ظاهر أمرها لكنها تنقلب إلى ايجابية إذا كانت مصدر استفزاز وإثارة له .

ويرفض الجواهري الضعف الموجود عند الشعوب ويطلب منهم التحرك والثورة للثأر لدم السعدون ، مستخدماً ألفاظاً معينة لبث الكفاح والنضال : "كالهتاف" "والصراخ" وتدل هاتان اللفظتان على أن الشعب العراقي يعاني من الركود والخمول ، فالجواهري يريد إيقاظ الشعب العراقي ، وتنبيهه للفساد الموجود عند الحاكمين ، ويبين للشعب أن فقرهم وجوعهم كان الحكام وراءه ، لأنهم

---

(١) ديوان الجواهري ٥: ٢٥٤ من قصيدة "الخطوب الخلاقة" .

(٢) المصدر السابق ١: ٥١٩ من قصيدة "في الأربعين" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينهبون خيرات البلاد ويتخمون البنوك بالأموال ، وسيبقى الجواهري من خلال صورته الفنية يبين الفساد الموجود ، ويحث أبناء الشعب العراقي على الكفاح والنضال ، من أجل أخذ حقهم من هؤلاء الفاسدين ، وبذلك يكون الدم المراق سبيلاً لحياة أفضل ، لأنه من المستبعد أن تذهب الدماء هدراً . نعم قد لا يتحقق النصر على الفور ، لكنه لابد أن يتحقق في نهاية الأمر ، وسيبقى المعين والحاضر والمنبه والمثير للشعب ، وسيبقى المخيف للأعداء والمتسلطين الذين يحسبون حسابه في كل حين :

هتفتُ وما أنفك أهتِف صارخاً ... ولو حرّموا مسّي ولو حلّلوا دمي
ولو فتشوا قلبي رأوا في صميمه ... خلاصةَ هذا العالم المتألم
إذا تُرك الجُمهور يمضي لشأنه ... ويسلُك من أهوائه كلَّ مَخْرِم *
فقد أُتخمت شمُّ "البُنوك" وأشرقت ... بأموال نَهّابٍ فصيحٍ وأعجم
مضت هدراً تلك الدماءُ ونُصِّبَتْ ... ضِخامُ الكراسي فوق هامٍ محطَّم
ولما استَتَمَّ الأمرُ وارتدَّ معشَرٌ ... خلاء أكُفٌّ من نِهاب مقسَّم (١)

نجد في قصيدته "معرض العواطف" نقداً ذاتياً للشاعر لجوانب الحياة سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية ، ونلحظ من خلال أبياته الاضطراب والحيرة والقلق في نفس الجواهري، فهو غير راض عن الفساد الموجود من قبل أصحاب المناصب العالية ، وعملهم لخدمة مصالحهم الذاتية دون مبالاة بالشعب العراقي ، بالإضافة إلى بقايا النفوذ التركي في البلاد وما سبب لها من ضعف وترهل اداري ، هذه الصور حية في نفس الجواهري يبعثها من خلال قصائده فنحس بقلقه وحسرته على الوطن ، ونستشف تلك الرؤية من خلال عبارة "الجرح النازف":

وهنا التي فاضت بجرح ناغرٍ ... مَضَت السنونَ الجارحاتُ وما مضى
وهنا التي فتّشتُ عن شَبحٍ لها ... فإذا به مثل الخضاب * وقد نضا *
سيسوء بعضاً ما أرى إثباتُه ... ويُسرُّ بعضاً ما أرى أن يُرفَضا (٢)

ويبقى جرح الجواهري ينزف من الفساد الموجود حتى ينظم قصيدته "كفارة وندم" اعترافاً صريحاً من الشاعر بأن المفسد يستحق الذم ، ولو كان من أصحاب المناصب العالية ، لأن بعضهم يمثل الفساد الموجود ، وقد

---

* المخرم : الطريق .

(١) ديوان الجواهري ٢: ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ من قصيدة "يدي هذه رهن" .

* نضا الخضاب : نصل وزال .

(٢) المصدر السابق ٢: ٢٥٦ من قصيدة "معرض العواطف" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبر عن صورته الفنية بألفاظ معينة منها: "الزائفون" و "الجريح" و "آهة شاعر" ، وعلى الإنسان أن يميز بين صورتين : صورة الجواد ، وصورة الزائف ، ولا يكون التمييز إلا عن طريق معرفة موقفهم من أحداث الوطن الدامية :

أقولُ وقد كلَّ الجوادُ فلم تَجُلْ ... مسوَمةٌ غالوا بهنَ عِراب
ولاح مَحكٌ للرجال فلم يكن ... هنالك إلاّ زائفون كِذاب
هو الشعرُ موجوعاً ينابيعُ رحمةٍ ... وخلواً من القلبِ الجريحِ سَراب
أللناس زاد غير آهةِ شاعرٍ ؟ ... وغيرُ الدم المنزوفَ منه شَراب [١] ؟

والجواهري ناقم على الحكام وأصحاب المناصب العالية ، ومن يساندهم من فئات الشعب ، لأنهم يسعون إلى الفساد ، والجواهري يسعى إلى الاصلاح ، ونستشف ذلك من خلال قصيدته "كما يستكلب الذيب" ، والجواهري غير مبال بهؤلاء الفاسدين ، لأنه أرفع شأنا منهم، وأشعاره تشعل فيهم الغيظ والحقد والكراهية له ، لأنه يسعى إلى الإصلاح وهم يسعون إلى الفساد ، وحاله يشبه حالة المتنبي عندما رفض الانصياع إلى الحكام والقادة ، وأراد أن يكون حراً في شعره يسلط الضوء على فساد مجتمعه وتخلفه وانغماسه في اللهو والملذات ، فكلاهما غير مبالٍ بما يقال :

تسعونَ كلباً عوى خلفي وفوقَهُمُ ... ضوءٌ من القمرِ* المنبوح مسكوب
ممَّن غَدَتْهُم قوافيَّ التي رضعتْ ... دمي فعندَهُمُ من فيضه كَوب
وقبلَ ألفِ عوى ألفٌ مما انتقصَتْ ... "أبا محسَّد" * بالشَّتم الأعاريب [٢]

والجواهري من عشقه للمتنبي أحب اسم "محسد" وكأنه يريد أن يكون المحسد لا يأبه بما يقال عليه من كلام صادر من الضعفاء والجهال .

وينظم الجواهري قصيدته "خبث للشعر أنفاس" ليبين معاناته الداخلية إزاء الفساد الموجود ، فالصورة قاتمة تحتاج إلى نبراس ليضئ طريق الحق والصواب ، بدلاً من تضليل الحقيقية والبعد عنها . فالجواهري يريد من الشعب اشعال النار من أجل النهوض والثورة، وتخليص البلاد من الفساد الموجود :

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ١٧٩، ١٨٢ .

* القمر : هنا الشاعر .

* أبو محسد : هو أبو الطيب المتنبي .

(٢) ديوان الجواهري ٤: ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتشـــــعِلُ مِـــــن دمِ القلـــــبِ وقـــــد أعـــــوزَ نـــــبراس *
وتكتـــبُ فـــي غضـــونِ الوجـــهِ إذ لـــــم يُلـــــفَ قِرطـــــاس
أجـــلْ : يـــا مبضعـــاً يَجْـــرَحُ بالرحمـــــــــة إذ ياســـــــو
تَرفَّـــــق إنَّ جُـــــرحَ القـــــومِ قتّـــــــال وحسّـــــــاس [١]

ويفتخر الجواهري بالجيش الأحمر ، لأنه استطاع بقوته وبسالته النابعة من التدرع بالأسلحة النارية والسيوف ، أن ينتصر على العدو الألماني ، ومن شدة النضال أصبحت السيوف ملطخة بالدماء ، لأن الشعب السوفياتي رافض للخنوع والاذلال ، وسيبقى يقاوم في سبيل خلاص الوطن من العبودية . وتحقق للشعب السوفياتي ما أراد وانتصر على الألمان ورفع رايته البيضاء مروية بالدم تعبيراً عن فداء ونضال وكفاح أبناء الوطن من أجل استرداد حقهم بأمان على تراب وطنهم :

بـــلادٌ مُفـــدّاةٌ وجيـــشٌ مظفـــرُ وقـــائدُ جيـــشٍ فـــي البـــلاد موقّـــرُ
وفتـــحٌ مُبيـــنٌ يقصـــر الشـــعر دونَـــهُ وللنـــثرُ عمـــا يعجـــز الشـــعر أقصـــر
وحـــراس حـــق يرقـــب الكـــون كلّـــه مصـــيراً علـــى أيديهـــم يتقـــرر
إذا خَطـــروا فـــالبيضُ تُنظـــفُ بالدّمـــا تحيـــيّ خطـــاهم والجمـــاجمُ تنشـــر [٢]

فالغاية من صورته الفنية خلق الوعي لدى الشعب من أجل الدفاع عن الحق وحمايته والدفاع الحقيقي يكون عن طريق سفك الدماء وإهدارها .

وعاين شاعرنا الدماء النازفة من الأبطال وهي تعطر الكون برائحتها الزكية ، معبرة عن نضالهم واستبسالهم في المعركة دفاعاً عن أرضهم ، والذين استطاعوا ببسالتهم استرداد قلعة سواستبول * من الغزو الألماني ، ولم يتحقق لهم مرادهم إلا بعد سقوط آلاف الضحايا والقتلى والجرحى .

---

* النبراس : الضوء .

(١) ديوان الجواهري ٤: ١٧٣ ، ١٧٤ من قصيدة "خبث للشعر أنفاس" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٥٩ من قصيدة "يوم الجيش الأحمر" .

* قلعة سواستبول: احدى القلاع السوفياتية التي استردها الاتحاد السوفياتي من الغزو الألماني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جُـــرْحٌ بليـــــغٌ فـــــي الفـــــؤا ... د ولطمـــــةٌ فـــــوق الخـــــدود
فأقرُّهـــــا فـــــي أي أنـــــ ... ـصِيـــــةٍ ومصطلـــــحٍ وطيـــــد
مـــــن هـــــذه الأروا ... ح ثـــائرةٌ علـــى ضَنْـــكُ الجلـــود
ممـــــا يُحشِّـــــده نضـــــا ... لُـــكَ للفضيلـــــة مـــــن جُنـــــود
مـــــن هـــــذه الأشـــــلاء نـــــا ... فحـــةُ الأريـــج علـــى الصعيـــد [١]

وجاءت هذه الأبيات على "مجزوء الكامل" ، بألفاظ رشيقة سهلة بعيدة عن التعقيد والتوغر ، وبذلك يتضح ما يريد أن يبثه الجواهري من معاني المقاومة والثورة والكفاح ، والهدف من صورته الفنية اثارة الشعب من أجل الثورة .

ويبقى الجواهري يبث في الشعب السوفياتي القوة والعزم من خلال أشعاره الثورية من أجل استرداد بلادهم ، ويدعو الشرق إلى أخذ العبرة والعظة من الشعب السوفياتي ، ويصف لهم بسالته وشجاعته في الحرب ، وكيف أن أعضاءهم تتساقط متناثرة دفاعاً عن الحق والوطن .

ردي يـا خيـولَ اللـه منْهلـك العَذْبـا ... ويـا شـرقُ عُـدْ للغـربِ فـاقتَحم الغَرْبـا
ويـا شـرقُ هَـلْ سَرَّ الطّواغيـت أنَّهـا ... فويقَـكَ أشـلاءٌ مبعـثرةٌ إربـا
فقلـتُ : وبعـضُ القـولِ عُتبـى وبعضُـه ... عتـابٌ ، وشرُّ القـول عتـبٌ بـلا عُتْبَـى
أسـاءَت صنيعـاً أمَّـةٌ مسـتكينةٌ ... صبـورٌ على البلـوى إلـى أمَّـة غُضْبـى
وأن تَشْـهَدَ الأشـلاء تنقـضُّ حولَهـا ... وفـي دَمِهـا الفرسـانُ مخضوبـةً خَضْبَـا
واخـوا بنـا شـعباً وهـاتَتْ أخـوَّةٌ ... اذا كنتَ تلقى عندها الفردَ لا الشعبا [٢]

فالخطاب موجه إلى الشرق من أجل النهوض والثورة على المستعمر الغاشم ويبين لهم أن النصر يكون حليفهم إذا خضبت الفرسان بالدم ، كناية عن بسالتهم وشجاعتهم . ويأتي الجواهري بأسلوب التناقض من أجل بيان حالة الضعف وحالة القوة عند الإنسان ، وأن الظلم سيؤدي بالنهاية إلى ثورة ونضال وكفاح ، من أجل الخلاص من العبودية ونجد صدى ذلك في عبارة "أمة مستكينة" "وأمة غضبى" .

ويستثمر الجواهري التاريخ العربي المجيد الذي لم يرض بالذل والهزيمة ، حيث كانت الجزائر تخوض معارك الحرية ضد العدو الفرنسي ، واستطاعت ببسالتها وقوتها استرداد بلادها

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٧١ من قصيدة "نشيد العودة" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٦٣، ٦٤، ٦٨ من قصيدة "تونس" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من العدو الفرنسي ، وكانت الدماء تنزف نزفاً من الأحرار ، وتكلل جهادهم واستبسالهم بتحقيق النصر للشعب الجزائري وأصبحت ذكراها على كل لسان ، وتطوف صورتها المشرقة في كل العيون :

"فرنسا" وما اقبحَ المدَّعَى ... كِذاباً ، وما أخبثَ المُدَّعي
فداءٌ لمقصَلةِ الثائرين ... مجازرُ للشُّيب والرُّضَّع
لك الويلُ من رائمٍ أطعِمتْ ... دمَ الراضعين ولم تشبع
وحاديةٍ أنزلتْ ركبها ... خِداعاً على مُذنبٍ مُسبع [١]

ويستخدم الجواهري كلمة "الرائم" لتدل على المعنى المعكوس ، فالمعروف أن الرائم في الأصل هي الأم التي تعطف على ولدها ، أما في البيت فالجواهري يبين لنا أن الفرنسيين وهم المحتلون ويفترض فيهم أن يكونوا عطوفين على الشعب المحتل أصبحوا على عكس ذلك يقتلون، ويشنعون ، ويسبون النساء ، ويقتلون الأطفال الرضع ، وهذه كلها يرفضها المناضل الباسل الذي لا يرضى بالذل والهوان . وجاءت أبياته على بحر "المتقارب" بتفعيلاته القصيرة المعبرة بسهولة عن صورته الفنية بعيدة عن التعقيد والتوغر .

ويخص الجواهري في شعره فئة المثقفين الذين يدعون إلى النضال والكفاح ويكون مصيرهم القتل والسبي والنفي ، نتيجة دعواهم ويأتي الجواهري بالتناقض "ركود" و "هبوب" لبيان أن الظالم يتبع أهواءه ورغباته ومصلحته ، فإذا تعرض هؤلاء المثقفون له قتلهم وأعدمهم، وإذا ابتعدوا في كتاباتهم عن مجازرهم وظلمهم ، رضوا عنهم وقربوهم منهم :

ومواكبُ الأحرار في ... صَخَبِ الطُّغاةِ لها دبيبُ
وعواصفُ الظلم الفظيع ... لها ركودٌ أو هبوب
ومَعينُ فكر في معين ... نِ دم يَصبُّ ولا نضوب
ومشرّدون على المبا ... دئ حُقروا فيها وعيبوا [٢]

وسيبعث الدم النازف من الشهداء الرعب والخوف في قلوب المستعمرين ، لأن الأبناء المخلصين يضحون بأغلى ما يملكون في سبيل الحصول على استقلالهم ، ولو كان دمهم المهدور قليلاً إلا أنه يعبر عن نضالهم وكفاحهم :

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ٢٣٨ من قصيدة "الجزائر" .

(٢) المصدر السابق ٣: ١١٣ من قصيدة "ألقت مراسيها الخطوب" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـــومَ الشَـــهيد : تحيـــةٌ وســـلامٌ بـــك والنضـــال تـــؤرِّخُ الأعـــوامْ
بـــك والضحايـــا الغُـــرِّ يزهـــو شـــامخاً علـــمُ الحســـاب وتَفخـــر الأرقـــام
أو أنَّ بـــالنّزر * اليســـير مـــن الدمـــا ســـيُبَلُّ مـــن عطَشـــى الطُغـــاة أوام * [١]

ويبقى دم الشهيد حياً في نفس الأمة العربية ، لأنها ترفض الظلم والهوان وستبقى تناضل حتى تثأر لدماء الأبرياء التي تهدر هدراً دون ذنب :

دَمَ الشـــهداء لا تذهَـــبْ هبـــاءً ولا تجمُـــدْ بقارعـــةٍ ضَياعـــا
ولا تشـــكُ الظِمـــاء فـــان فينـــا دمـــاءً ســـوف تشـــربُها تِباعـــا
ولا تَخَـــلِ الجفـــاءَ فلـــم تُغَيَّـــب يـــدٌ ترعـــى ، ولا ذمـــم تُراعـــى [٢]

ولا يستطيع الجواهري أن ينسى صورة الدماء ، وهي تنزف وما تبعثه هذه الصورة من ألم وحسرة في النفس ، لأنها تهدر هدراً دون وجود أشخاص يدافعون عنها ، ولكنها تبشر بولادة جديدة ، يتخلص الشعب فيها من الضعف والخضوع ، وستبقى الدماء تسيل في قصائد الجواهري حتى يستطيع أبناء الوطن الحصول على استقلالهم :

هـــي صُـــورة حمـــراءُ مـــن شَـــجني تُدمـــي الـــيراع وتُرعـــب الوَرَقـــا
لـــيَرَى الذيـــن تجـــاهَلوا برَمَـــاً أســـيانَ : كيـــف يُكـــابد الحُرَقـــا [٣]

ويبين الجواهري للشعب العراقي نتائج ضعفه وانكساره وعدم تحركه للثورة والنضال ، ومن هذه النتائج أن الظلام قد عمّ البلاد ، والمستعمر استولى على الأراضي العربية ، مخرباً البلاد ، مشرداً العباد ، فيما الشعب العراقي ساكت لا يتحرك ، وتظهر هذه الصورة البائسة للمجتمع العراقي في قصيدة "أطبق دجى" ، وهي قصيدة تحريضية بصيغة الأمر تهدف إلى النهوض والثورة ، والمطالبة بالحقوق المهضومة من الحكام ، وأصحاب المناصب العالية . وقد كرر الجواهري الفعل "أطبق" مراراً في قصيدته وتكراره يدل على شيئين هما : الاطباق الحقيقي على أهل السلطة ، وثانيهما اطباق تحريضي يهدف إلى استفزاز الجمود ، وتحريك الشعب للنضال والثورة . وبالإضافة إلى التكرار يستخدم أسلوب "النداء" من أجل تنبيه

---

* النزر : القليل .

* الأوام : شدة العطش .

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٦٩ ، ٢٧٠ من قصيدة "يوم الشهيد" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٩٤ من قصيدة "دم الشهيد" .

(٣) ديوان الجواهري ٣: ٣٠٢ من قصيدة "ذكريات" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعب العراقي على الفساد الموجود من قبل الحكام ، وأصحاب المناصب العالية . ونلحظ أن ألفاظ "الدجى" و "الدمار" و "الضباب" تدل على حالة بائسة يعيش فيها أهل العراق فهم يعيشون في فقر وضنك ومستغلون من قبل أصحاب المناصب العالية والنفوذ القوي ، وبالرغم من هذه الحالة الشاقة البائسة إلا أنهم لا يتحركون ، ويرمز الجواهري إلى خمولهم وركودهم "بالدم الجامد" ، وفي النهاية يريد الجواهري من الشعب العراقي اليقظة والفطنة من أجل حماية أرضهم من العدو الغاشم :

يـــا مَـــن مشـــتْ بدمائهـــا فيـــه الحنـــاجرُ والحِـــراب *
يـــا مَـــن يضـــجُ مـــن الشـــرو رِ المـــاخرات * بـــه العُبـــاب *
يـــا مَـــن تضيـــقُ مـــن الهـــوا م الزاحفـــاتَ بِـــه الشِـــعاب *
كـــن سِتْـــرَ مُجرمـــةٍ تـــهـــاوَتْ عـــن جـريمتِهـــا الثـبـــاب (١)

ويستذكر الجواهري نضال وكفاح الشعب المصري وكيف أن أرض مصر كانت ترتوي بدماء الأحرار المناضلين في سبيل الوطن ، ويقف الشعب المصري لهؤلاء الشهداء وقفة إجلال وتكريم لأنهم رفضوا الذل والعار واستبدلوا به القتال والشهادة في سبيل الوطن :

مـــن عَهـــد "زغلـــول" يـــرفُ وتحتـــه لمُكـــابدي وَهـــج الوغـــى أفيـــاء
إن الجهـــادَ صحيفـــةٌ مخضَوبـــةٌ جَمَـــدت عليهـــا للشُّـــعوبِ دمـــاء
هـوت العُـروشُ علـى مَـدَبِّ سُـطورِها وتصـــاغرت لحروفِهـــا الكُـــبَراء
حمـــراءُ صارخـــةٌ ومِـــنْ لمـــحَ الســـنا للتضحيـــات فإنهـــا بيضـــاء (٢)

فمصر بلد الثوار والأحرار الذين استطاعوا بقوتهم وعزمهم استرداد قناة السويس من المستعمر الانكليزي . وكان الجواهري يذكر في شعره الثائر والمصلح سعد زغلول ، لأنه من الوطنيين المخلصين لمصر .

ويعتبر الجواهري نفسه جزءاً من الشعب المصري ، ويفتخر بانتسابه لمصر ، لأنها بلد الأحرار الذين لا يرضون الذل والعار ، والتاريخ شاهد على نضالهم وكفاحهم في سبيل استرداد حقهم في العيش على تراب ، وطنهم ، وسيبقى الشهيد رمزاً للبسالة والنضال متكلّلاً ضريحه

---

* الحراب : آلة قصيرة من الحديد محددة الرأس تستعمل في الحرب .
* الماخرة : السفينة .
* العباب : أول الشيء .
* الشعاب : الطريق .
(١) ديوان الجواهري ٣: ٤٠٩، ٤١٠ من قصيدة "أطبق دجى" .
(٢) المصدر السابق ٤: ١١ من قصيدة "سرّ في جهادك" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالورد ، لأنه حقق للشعب المصري الكرامة والعزة :

أنـا ضيفُ مصرَ . وضيفُ طه ضيفُهـا ... مـا بعـدُ ذلـكَ للمُفـاخِرِ مَفخـر
أنـا ضيفُ مصـر . فلـن أثقّـل فوقهـا ... ظِلّـي بمألُكـةٍ تُعـاب وتُنكـر
أنّـا وإيّـاكم كمـا احتـاجتْ يـدٌ ... ليـدٍ وإن كَـذَبَ الدعـاةُ وزوّروا
أنّـا إذا أنَّ الجريـحُ بـأرضكم ... ناغـاهُ مجـروحٌ يئـنُ ويزفِـر
وإذا استقى نخـب الجهـاد شـهيدُكم ... فلـه هنـاك مهلّـلٌ ومكـبر
مـا روعـةُ التـأريخ لـو لـم يسـقه ... دمُهُـم بـه يزكـو ومنـه يُزهـر [١]

ويطالب الجواهري الشعب العراقي بدم الشهيد عدنان المالكي الذي أهدر هدراً نتيجة مؤامرة دبرتها بغداد لقتله ، لأنه من الأحرار الذين يرفضون الذل والعبودية ، والجواهري من خلال صورته الفنية يريد أن يفضح الحكام وأصحاب المناسب العالية :

عجِبتُ للقـوم فـي أمـري أهـمْ سـندٌ ... للظلْـمِ ؟ أم هـم علـى الثُّـوار ثُـوار ؟!
يـا سـادتي إن بعـضَ العتـبِ منْبَهـةٌ ... لغـافلينَ ، وبعـضَ الشـعر أشـعار
أنـا "العـراقُ" لسانـي قلبُـه ودمـي ... فـراتُه ... وكيانـي منـه أشطار [٢]

ويبين الجواهري أن سلطة حكام العراق استبدادية تشبه في الجور والظلم ، حكم الحجاج والسفاح وأراقتهم للدماء هدراً دون ذنب ، غايتهم من ذلك اذلال الشعب العراقي ، وعدم نهوضه وتقدمه :

وفككتَـهُ مـن ربقَـةٍ لـم يرضَهـا ... فـي جَـوْرِه "الحجّـاج" و "السـفاح"
عـانى بهـا الأسـيانُ والآسـى معـاً ... وتململـل المَجـروح والجـرّاح
أرأيـتَ كيـف الحـاكمونَ بـأمرهم ... ذابـوا - وقد وعت الجمـوعُ - وسـاحوا
إن افسحـوا أجـلاً فـإن وراءَهُـمْ ... شَـغباً وأحـلامُ الشَعُـوب فِسـاح [٣]

يخاطب الجواهري "أم عوف" ويشكو لها همومه السياسية والاجتماعية والفكرية "، وقد وجد شاعرنا في حياة الريف الرقة والبساطة ، بعكس حياة المدينة الصاخبة المملوءة بالفوضى والضجيج والأنانية وحب السيطرة ، ويتصف أبناؤها بالتفرق والتشتت ، فيهدف الجواهري من خلال حواره إلى الوحدة والتضامن والتكافل ، من أجل العيش بأمان واستقرار على تراب الوطن . وتتحول قصيدته الوصفية إلى قصيدة للثورة والكفاح والنضال :

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ .

(٢) المصدر السابق ٤: ٢٧٤ من قصيدة "ذكرى المالكي" .

(٣) ديوان الجواهري ٤: ٣١٧ من قصيدة "باسم الشعب" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـا أمَّ عـوفٍ ومـا يُدريـكِ مـا خَبـأت ... لنـا المقـاديرُ مـن عُقبـى ويُدرينـا
أنّـى وكيـف سـيُرخى مـن أعنَّتنـا ... تَطوافُنـا ... ومتـى تُلقـى مَراسـينا ؟!
أزرى بأبيـات أشـعارٍ تقاذَفُنـا ... بيـتٌ مـن "الشـعر المفتـول" يؤوينـا
عِشـنا لهـا حِقبـاً جُلّـى ندلّلُهـا ... فتجتوينـا... ونَعليهـا فتُدنينـا
تقتـاتُ مـن لحمنـا غضّـاً وتَسـغِبنا ... وتسـتقي دَمنـا محضـاً وتُظمينـا
يـا "أمَّ عـوف" حُرمنـا كـلَّ جارحـةٍ ... فينـا لنُسـرجَ هـاتيكَ الدواوينـا
لـم يـدرِ أنـا دُفنـا تحت جاحِمها ... مطالـعٌ يتملاّهـا بـراكينـا [1]

ويدعو الجواهري في شعره إلى السلم الذي يحقن الدماء ، ويمنع نزفها وكان الجواهري يؤازر المؤتمرات التي تدعو للسلم فقد عقد مؤتمر للسلم عام ١٩٥٩ ، وكان الجواهري من مؤيدي المؤتمر يطالبهم بالسلم العادل الذي يحقق الأمن والاستقرار للشعوب العربية لا السلم الذي يحقق الذل والهزيمة والانكسار ، ويطالب أبناء الوطن بالتضحية والفداء ، من أجل العيش بأمان واستقرار :

وينعِقُ "البُوم" في "روما" على يده ... دم "المسيح" على الزّيتون ينعصر
تـأبى الحضـارةُ أن يجتاحَهـا أشِـرٌ ... وأن يُذبـح مَـن أبنائهـا بَطـر
وأن تمـوت لتبقـى طغمـةٌ ، زُمَـرُ ... وأن تُبـادَ ، ليهنـا غـاصبٌ أُسَـرَ
أعـز مـا عندكـم إذ كـان عندكـمُ ... أعـزّ منـه تـرابٌ مـن دمٍ عطـر [2]

قال بعض النقاد أن "طغمة" من العامي القبيح [3] ، وهذه اللفظة تكثر عند كتاب الصحافة والمشتغلين بالسياسة ، وقد وجدتها في المعجم بصيغة الجمع لتدل على أراذل الطير والسباع الواحدة ، ويقال لا ينطق منه بفعل ولا يعرف له اشتقاق [4] .

واستطاع الجواهري من خلال صورته الكلية أن يعبر عن الطبقة المحرومة ، وما تعانيه من ظلم واضطهاد ، نتيجة سيطرة الطبقة الغنية على أموال البلاد ، ونجد الجواهري يساند الفقراء ويدعهم من خلال شعره ، ويحثهم على النضال والكفاح من أجل العيش بكرامة وعزة ، ونجد صدى ذلك في قصائد متعددة منها: "عالم الغد" [5] ١٩٤٣-١٩٤٤ ، و "عيد أول

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ١٩٩ من قصيدة "يا أم عوف" .
(٢) المصدر السابق ٤: ٣٣٦ ، ٣٣٧ من قصيدة "أنشودة السلام" .
(٣) ينظر عبدالله الجبوري : الجواهري ونقد جوهرته ، ٤٥ .
(٤) ينظر ابن منظور : لسان العرب م١٢ : ٣٦٨ .
(٥) ديوان الجواهري ٧: ١٧٣ .

٤٩٦٧٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيار" [١] عام ١٩٥٩ ، "وفي عيد العمال" [٢] عام ١٩٦٠ وجاء بالشعر الحر الذي يلتزم القافية بدل الشعر العمودي ، ولعل السبب في ذلك عزف شاعرنا على أكثر من وتر في بناء القصيدة بالإضافة إلى أن الشعر الحرّ قريب من كافة فئات الشعب ، وخاصة الطبقة الفقيرة الكادحة .

يقول الجواهري :

وأصونَ الاقطاعَ والارباحا

ولا سقي هذا الزنيمَ الوَقاحا

من دم العامل المليء جراحا

ولأبقى الأجيرَ والفلاحا

والنفوس التي تفُيض صلاحاً [٣]

ويذكر العمال بالشهداء الذين رووا الأرض بدمائهم ، لأنهم يطالبون بحقهم في العيش على تراب وطنهم ، وهذه الصورة تبعث في نفوس العمال الأمل ، لأن الأبناء استطاعوا بنضالهم وكفاحهم أن يحصلوا على استقلالهم وحريتهم ، وهذا ما يسعى إليه العمال للتخلص من الشقاء والعناء :

عن سُبع مليون سَقوا بدمائهم ... شجرَ الخلاص اليانعَ الثمرات

من فتيةٍ كسنا الفداء وصبيةٍ ... كدم الشهيد ، صوامتٍ خفرات

فاشمخ برفرفة الخفوقِ فإنه ... لا بدَّ خفَّاق لستَّ جهات

كم خاضَ أهلُك من لظى مشبوبة ... يا عيدَ موعودين بالجنَّات

يا عيدَ مَنْ في كفّهم مِنَحُ الدُنى ... ويُقطعون الليلَ بالحسَرات [٤]

ووسيلتهم الوحيدة للخلاص هو الكفاح والنضال والثورة من أجل وقف استنزاف دمائهم:

فلا تستهينوا بدربِ الكفاحِ ... فدونَ النهاية شوط بعيد

ولم يُنتزَفْ دُمهمْ ... إنما ... تفرّى * وريد ليعفى وريد [٥]

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ٣٤٣ .

(٢) المصدر السابق ٥: ١٧ .

(٣) ديوان الجواهري ٧: ١٧٧ من قصيدة "عالم الغد" .

(٤) نفس المصدر السابق : ٤: ٣٤٨ من قصيدة "عيد أول أيار" .

* تفرّى : تشقق .

(٥) ديوان الجواهري ٥: ٢١ ، ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتفاعل الجواهري بالجيل الجديد ، لأنه يعتبر أمل المستقبل ، قادراً على القتال والتضحية بالدماء واشعال النار في سبيل حماية وطنه . ويحث الجواهري الشباب أن يتصدوا لنوائب الأيام ، بالمعدات والأسلحة والعزم والاصرار ، لأن الدهر بحاجة إلى المناضل القوي الشجاع الذي يعمل على تخليص الأمة من الذل والعبودية ، وسيكون النجاح حليف الأقوياء :

اجمعوا أمركُمُ فالدهرُ جمرٌ ودمٌ لا خمرةٌ تجري ودَنَ *
يعمل الجيلُ لجيلٍ بعده ولقرن بعده يتعب قرن
يبسط العاني إلى العاني يداً ويُفكّ القِنَّ إذ يُعتَقُ قِنَ *
ويظَلُّ الليلُ يطوي سرّه ريثما يُعلِنُ صبحٌ ما يكُنَ
ريثما ينتظمُ الكونَ غدٌ يطردُ الفجرُ به ليلاً يعنَ
يطردُ البؤسَ به رفقٌ وعدل والحزازاتِ مصافَاةٌ وأمن

أزِفَ الموعدُ ... والوعدُ يعنّ
والغدُ الحلوُ لأهليهِ يجنّ (١)

ويستخدم الجواهري أسلوب التضاد من أجل بيان الصراع في حياة الإنسان من ذل إلى عزة ، ومن بؤس إلى نعيم ، ومن ظلم إلى حرية ، ومن هذه المتضادات "الليل" "والصبح" ، "ويطوي" ويعلن ، "ينظم ويطرد" ، والغاية من المفردات المتضادة خلق الوعي لدى الإنسان بظروف الحياة وتقلبها وانها لا تبقى على حالة واحدة .

ويعبر الجواهري عن سخطه على الشعب العراقي بصورة الدم والجرح المملوء قيحاً، بسبب تركهم له وحيداً في المنفى دون أن يقدموا له العون والمساعدة ، ويدل هذا الموقف على تفرق أبناء العراق ، وتشتتهم وعدم اهتمامهم بالأحرار ، والمدافعين عن حقوقهم ، فالجواهري يلوم الشعب العراقي على موقفه السلبي منه ، فهو المدافع عن حقوقهم من خلال أشعاره الثورية:

يستقي من دمِ الفؤاد جريحاً ويغذّي جراحه بالصديد *
بَخِلتْ أن تُفيء الظلَّ منه وحنت فوق كلِّ وغدٍ وغيد *
بالرهط الآداب فيها اذا ما أنـ جاب عنهم حساب يوم عتيد *
أخلدوا سُنّةَ الذليل إلى العيـ ش ونامُوا على وساد الوعيد (٢)

---

* الدّن : وعاء ضخم للخمر .

* القن : العبد .

(١) ديوان الجواهري : ٤: ٣٣١ من قصيدة "أزف الموعد" .

* الصديد : القمح .

* الوغيد : يريد الحقير .

* بالرهط الآداب : يقصد اتحاد الأدباء العراقيين ، العتيد : يريد الشديد ، الوعيد : الوعد .

(٢) المصدر السابق ٥: ٧٧ من قصيدة "أنتم فكرتي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويخاطب الجواهري نهر دجلة ويجعل منه بطلاً ثورياً على سبيل التشخيص بالاستعارة المكنية ، ذكر المشبه نهر دجلة وحذف المشبه به وهو البطل الثوري ، وغايته من الاستعارة المكنية هو أن أبناء العراق يسفكون دماءهم في سبيل تطهير بلادهم من تدنيس أقدام العدو ، ويتحول نهر دجلة من العطاء والخصب إلى النضال والكفاح بسواعد أبنائه الشرفاء :

ما أن تزالَ سياطُ البغي ناقعةً ... في مائك الطُهْر بين الحين والحين
ووالغاتٌ * خيولُ البغي مُصْبحةً ... على القُرى آمناتٍ والدهاقين
يا دجلةَ الخير : كم معنىً مزجتُ له ... دمى بلحمي في أحلى المواعين
ألفيته فَرْطَ ما ألوى اللواةُ به ... يشكو الأمرين من عَسْفٍ ومن هُون
أجرَّه الشوك ألفاظٌ مُرصّفةٌ ... أجرَّها الشوك سجعٌ شِبهُ موزون[1]

نجد ألفاظه رشيقة جميلة تتناسب مع حديثه عن نهر دجلة ، فكأن الألفاظ نابعة من احساس الجواهري بجمال نهر دجلة لخيراته وعطائه لأهل العراق .

ويرى الجواهري التناقض في الحياة البشرية سلم وحرب ، ذل وعزة ، شجاعة وخمول، سعادة وتعاسة ، موت وولادة ، فقر وغنى ، وفاء وخيانة ، وهذه المتناقضات انعكست في ديوانه الشعري لتدل على أن الجواهري كان واقعياً في شعره ومعبراً عن قضايا المجتمع الإنساني:

يا نديمي : وربّ ديوانِ شعرٍ ... سلتُ فيه دماً ، وفكراً ، وروحا
وتمازجتُ مثل كأسٍ وخمرٍ ... أتبنّى جمالَه والقبيحا
كنتُ منه وكان منّي كشطرٍ ... لِصَقٍ شطرٍ فيما يُناجي ويُوحى

أتملأهُ خاسراً وربيحاً
وأعاني جروحه والقروحا [2]

وأن الدم في شعره نابع عن الجراح والآلام التي تسببها المشاهد المتناقضة . وتتحول حروفه في ديوانه إلى دماء ، نتيجة الظلم والفقر والجوع والحروب ، التي يعاني منها الوطن . وستبقى حروفه تسيل دماً ، حتى تجد من يسعفها ويخلصها من النزيف :

---

* والغة : تشرب الدم . مصبحة : تغير صبحاً .

(١) ديوان الجواهري ٥: ٨٧ ، ٩٣ من قصيدة "يا دجلة الخير" .

(٢) المصدر السابق ٥: ١٥٥ من قصيدة "يا نديمي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــي دمـــي تمشـــي الحـــروف دمـــاً وسُـــدى تهفـــو علـــى قلمـــي
يتهـــاوى الفكـــرُ منســـجماً عَـــبْرَ حـــرف غـــيرِ منســـجم [١]

وتفيض أشعار الجواهري ألماً وحسرة على أبناء الوطن الذين لا يتحركون ولا يأبهون بأحداث الوطن الدامية ، وستبقى أشعاره تنزف دماً حتى يثور الأبناء ويكافحوا ويناضلوا من أجل استرداد حقهم في العيش على تراب وطنهم .

ويرمز الجواهري بالدم إلى الوحدة والتضامن من أجل تخليص البلاد من وطأة الاستعمار ، وستبقى الدماء النازفة من الأبرياء تشعل في نفس الشعب الثورة والنضال ، وتبث فيهم القوة والعزم والتصميم من أجل الخلاص ، والدماء المهدورة ستنير الطريق للشباب من أجل مواصلة الكفاح والنضال :

قـــل للشـــباب وهـــم عـــرو قُ حميـــــةٍ تَتَفصَّـــــد *
ومســـارجٌ فـــي كـــلّ دا جيـــــةٍ تُضـــاء وتُوقـــد
يـــا خـــيرَ مـــن تُثْنـــى عليـــ ـــه عُـــرىُ الرجـــاء وتُعقـــد
وأحـــقَّ مـــن يدعـــى إذا دُعيـــت "تَـــزال" ويُقصـــدُ
لمُـــوا الصُّفـــوف وحشَّـــدوا وخـــذوا الطريـــق وأبعـــدوا
واســـتهدفوا المرمـــى البعيـــ ـــدَ وشـــخِّصوه وسَـــدِّدوا
طُـــرُقُ الكفـــاح مذلَّـــلا تُ بالدمـــــاء تعبّـــــد [٢]

ويبشر الدم المراق بولادة جديدة لأنه يروي الأرض بدماء الأبرياء ، فالجواهري متفائل بالدم ، لأنه يبشر بانتهاء عصر الظلم ، والعيش بعزة وكرامة :

ومـــن دَمٍ طُـــلَّ * بهـــا ســـاربٍ تفتَّحـــت لـــلزَّهر أكـــمام
قـــد يـــأكلُ المحكـــومُ مـــن لَحْمِـــه فيـــه وقـــد تُؤْكَـــل حُكّـــام
أيَعْمَـــرُ المرِّيـــخُ مـــن همّـــةٍ فـــي الأرض أن تُـــزرَعَ ألغـــامُ [٣]

---

(١) ديوان الجواهري ٦: ١٢١ من قصيدة "سائلي عما يؤرقني" .

* تتفصد : تسيل فيها الدماء غزيرة .

(٢) المصدر السابق ٦: ٨٧ من قصيدة في "يوم التأميم" .

* طلّ : هدر أي لم يؤخذ بثأره .

(٣) ديوان الجواهري ٦: ١٤٢ من قصيدة "على الرصيف" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبقى الدم عند الجواهري رمزاً للنضال والفداء والمجد ، تنبث بواسطته الأرض القاحلة، وتكتسي خضرة عندما ترتوي بدماء المخلصين ، وبذلك تكون صورة الدم رمزاً للخصب والميلاد :

ودقّت مساميرُ خجْلى عَطاشَى بكفِّ المسيح فطارت رشاشا
بقايا دمٍ للعُصور التوالي
تُخضّب بالمجد هامَ الرجال (١)

ويرفض الجواهري الدم الذي يعبر عن الذل والعبودية ونستدل على هذه الصور من "عصر الدماء" التي تنذر باستعمار البلاد . ويستخدم الجواهري "أسلوب القسم" ليدل على أن الشعب العربي يرفض الذل والهوان :

عَصَرَ الدماءَ من الوجو ه وردّها صُفراً نحافا
وأشاع فيها وحشةً كالليل تأبى الإنكشافا
هوت المحاجرُ بالعيو ن كأنّ فيهن انخسافا
وتضرّت * الرغباتُ منـ ع العاطشِ العذبَ النطافا
قسماً بودك وهو حا فة مؤمن يأبى انحرافا
أن لم نَدِنْ بالانطلا ق ولم نُصفّ الارتسافا * (٣)

ويصف الجواهري في قصيدته "يا بن الفراتين" النفوس المعذبة التي تناضل وتقاتل وتهدر دماءها من أجل العيش بأمان واستقرار ، وهذه النفوس المعذبة قد تعرضت للأذى من

---

(١) ديوان الجواهري ٥: ٢٠٧ ، ٢٠٨ من قصيدة "سلاماً عيد النضال" .

* تضرّت : صارت ضاربة أي توحشت . النظاف : الصافي .

* الارتساف : العبودية .

(٣) المصدر السابق ٥: ٣٣٢ من قصيدة "رسالة مملحة" أرسلها الشاعر من "براغ" في شهر أيار عام ١٩٦٩ من مشارف "سلوفينسكي دوم" وتعني بالعربي "البيت السلوفاكي" إلى صديقه مهدي عماش وزير الداخلية يتشوق بها إليه ويحاوره فيها على أثر الحملة التي شنها على "الميني جوب" في العراق ويرفض الجواهري من خلال قصيدته الذل والاستعمار ، وصديقه "عماش" لا يرضى أن يعيش الشعب العراقي بذل وانكسار وخضوع وظهر ذلك من خلال قصيدته التي أجاب فيه الجواهري ومطلعها :

وفي له ندراً فوافى بخريده كرمت نطافا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل الحاكمين وأصحاب المناصب العالية ، لأنها رافضة للذل والعبودية ، وتسعى إلى التخلص من الاستعمار بشتى ألوانه وأشكاله ، وستبقى النفس تتحمل المكاره والشدائد من أجل الانتصار، والفوز بحياة كريمة ، وكان "بحر البسيط" مناسباً لصورته الفنية :

ويســـتقي دمَهـــا جيـــلٌ ويُنكرهـــا ... ويفتَـــدي روحهـــا خلـــقٌ وتعتفـــد *

وأنهـــم خرجـــوا منهـــا بـــأفئدةٍ ... مـــن الأذى والأســـى والحـــب تفتـــأد *

وأنهـــم وقـــد التـــاثت * عقـــائدُهمْ ... زَيْفـاً ومحضـاً أدانـوا كـل مـا اعتقـدوا

يـــا ابـــن الفراتيـــن لا تحـــزن لنازلـــة ... أغلـى مـن النـازلات الحـزنُ والكمـد (١)

ويأتي الجواهري "بصورته الفنية" لينتفد الحكام والمحكومين ويبين أن للجرح فماً على سبيل التشخيص ، لأنه يتحدث عن الألم والحسرة الموجودة في نفوس الناس ، لأنهم لا يستطيعون مواجهة الظالم . فالجواهري يطلب من شعبه التمرد والثورة من أجل أخذ حقه من الظالمين :

أأبـــا مُهَنَّـــدَ والجِـــراحُ فَـــمُ ... وَفَمـــي بِـــهِ مِـــنْ جُرْحـــه وَرَمُ

مـــاذا سَـــيَبْقَى لأمـــري حُجِبَـــتْ ... عَنْـــهُ الـــرُؤى - والـــرأيُ - والكَلْـــم

أأبَـــا مُهَنَّـــد رُبَّ عَافِيَـــةٍ ... خَرْسَـــاء يُحْمَـــدُ عِنْدَهَـــا السَـــقَم (٢)

والجواهري ناقم في شعره على طبقات المجتمع بسبب سيطرة الطبقة الغنية على مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ، بينما تعيش الطبقة الفقيرة عيشة فقر وضنك وحاجة، وهذه الفروق تسبب للجواهري جرحاً نـاغراً ، يبقى يؤلمه حتى يستطيع تخليص الفقراء من عبوديتهم للطبقة الغنية بواسطة أشعاره الثورية :

قـــلَّ صـــبري علـــى زمـــانٍ ألـــدَّ ... وخُطـــوبٍ ألبسَـــتْني غـــيرَ بُـــردي

وتقـــاليدَ لا تطـــاقُ ونـــاسٍ ... لا يُجيـــدون غـــير لُـــؤمٍ وحِقْـــد

حملـــتْ همَّهُـــمْ ورُحْـــتُ غريبـــاً ... عنهـــمُ حـــاملاً همومـــي وحـــدي

---

* تعتفد : تغلق بابها على نفسها فلا تسأل أحداً حتى تموت جوعاً .

* تفتأد : تصاب بفؤادها .

* التاثت : اختلطت .

(١) ديوان الجواهري ٥: ٣٥٠ من قصيدة "يابن الفراتين" .

(٢) الجواهري في العيون من أشعاره ٦٦٣ من قصيدة "أأبا مهند" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

افتنجـــو مـــن هـــذه الغـــير الســـو دِ خلايـــــا دم وقطعـــــةَ جِلْـــــد
أكلـــتْ قلبـــيَ الهمـــــومَ وهـــدَت كـــلَّ حولـــي واستنزفت كـــلَّ جهـــدي
فـــتراني وليـــس غـــيرُ اطـــلابِ لكفـــافٍ مـــن المطـــاليبِ عنـــدي
بـــدلاً مـــن تقلبـــي فـــي نعيـــمٍ ســـابغ الظـــلِّ ذي أفـــانينَ رَغْـــد
هـــذه العيشـــةُ الرفيهـــةُ لا عـــرِكُ زمـــانٍ مـــلان بـــالنحس نَكْـــد
مـــا عسـى تبلُـــغُ القناعـــة مـــن نفـــسٍ طـــروبٍ لغيرهـــا مســـتعِد [١]

ونجد لفظة الدم تتكرر في قصائد الجواهري التي قيلت في المرأة وهي على حسب تسلسلها الزمني : "سهام" ، و "حييتهن بعيدهنه" ، و "صرفت عيني" [٢] ، ولعل الجواهري من خلال حديثه عن المرأة يثير قضية هامة هي حق الفنان في التعبير عن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وهو بذلك يريد الخروج على العادات والتقاليد التي فرضتها عليه بيئته النجفية والجواهري يعترف بذلك "... ليس عندنا حجر سياسي على الأفكار فقط ، بل هناك حجر فني وأخلاقي فأنا مثلاً أستطيع أن أكتب عن المرأة كما يكتب أي شاعر فرنسي" [٣]. ويفرض المجتمع النجفي على الشاعر الحجر السياسي والحجر الأخلاقي . ولكن يبقى السؤال إلى أي مدى يستطيع الشاعر التعبير عن حبه للمرأة ، وهل يكون صادقاً في تعبيره ؟! أم أنها مجرد نزوة تأتيه ويريد أن يعبر عنها ؟! ونرى من خلال الديوان الشعري أن شاعرنا يميل إلى الملذات واللهو والمجون ، وصورة المرأة لا تفارقه في شعره:

أنـــا لا أحِـــبُ ســـهامَ لحظِـــك إنهـــا بدمـــي مخضبـــةٌ وإن لَـــمْ تشـــعُرِي [٤]

ويساند الجواهري المرأة في أشعاره الثورية ، ويحث على تخليصها من العبودية والاذلال ، لأنها مربية الأجيال على الفداء والتضحية والاخلاص للوطن :

وفجـــرتُ أشـــربُ مـــن دمـــي ظمـــأ عُـــروقَ وريـــد هنّـــه
منهـــنَّ مَحْـــضُ العاطفـــا تِ فهـــنَّ محْـــضُ قصيدهنّـــه
وقبســـت مـــن ســـجع الحمـــا م الرجـــعَ مـــن تغريدهنّـــه
السيـــــدات الأنســـــا تُ فقـــل بحـــال مَسُودهنّـــه

---

(١) ديوان الجواهري ٢: ١٠٧ من قصيدة "تائه في حياته" .
(٢) المصدر السابق ٤: ٣٥١ ، ٥: ١٦٩ ، ٦: ٢٥ .
(٣) علي علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، ٢٨١ .
(٤) ديوان الجواهري ٤: ٣٥١ من قصيدة "سهام" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حييتهنّ بعيدهنّه

من بيضهنّ وسُودهنّه [١]

والمرأة عند الجواهري مبعث للجمال واللذة ، ويصورها من خلال شعره تصويراً حسياً، مستخدماً لفظة "الدم" ؛ لأنها رمز للحياة والخصب والعطاء :

عن كلّ ما جرت الدماءُ به ... مادقّ من شيءٍ وما عَظُما
عن دورةِ الوجه التي انسجمت ... وجمال هيكلها الذي انسَجَما [٢]

نلحظ أن الجواهري وظف صورة الدم توظيفاً رائعاً في شعره من خلال البناء الكلي للقصيدة ، فنجدها ترمز إلى أحداث الوطن الدامية الناتجة عن تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية ، بسبب خمول الشعب وركوده ، وعدم مطالبته بحقوقه المشروعة ، من أجل العيش بأمان على تراب وطنه .

ونستشف من خلال صورته الفنية "الدم حياً" معاناة الشاعر الذاتية ، لأن الوضع في الوطن العربي ينذر بالشؤم ، بسبب سيطرة المستعمر على أجزاء كبيرة من الأراضي العربية، بمختلف الأساليب التي يتبعها ، وكانت بحوره الشعرية تتناسب مع معاناته الذاتية إزاء أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية ، منبهاً الشعب العراقي على الفساد . فالجواهري أراد من خلال صورته الفنية أن يبث معاني المقاومة والبقاء بأساليب مختلفة ومن أهمها، التكرار الملحوظ عند شاعرنا لمفردة الدم ، فمرة يرمز بها إلى الذل والعبودية والاحتقار . ومرة أخرى يرمز بها إلى النضال والكفاح والثورة ، ويتشابك – أحياناً – المعنيان ليرسم لنا صورة الواقع المأزوم الذي يحتاج النظرة المتأملة من أبناء الوطن .

وكان شاعرنا يكرر أسلوب الخطاب ، ليبث في أبناء الوطن الوعي واليقظة لأحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية . بالإضافة إلى ذلك كثر عنده أسلوب "التضاد" فكأنه من خلال هذا الأسلوب يبين الصراع القائم داخل النفس الإنسانية ، فهي ترفض الظلم والهوان، ولكنها قد ترضى به لأسباب تتعلق بمصالحها الذاتية وإن رفضها للمستعمر يكون نتيجة اذلالها واعدامها ونفيها خارج البلاد .

واستطاع شاعرنا في النهاية أن يرسم لنا معاناته الداخلية النابعة من معاناة الأمة ، فكان صادقاً معبراً عن الواقع بصورتيه السلبية والايجابية .

---

(١) ديوان الجواهري ٥: ١٧٣ من قصيدة "حييتهن بعيدهن" .

(٢) المصدر السابق ٦: ٢٨ من قصيدة "وصرفت عيني" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدم يتكلم بعد عشر

قبـــل أن تبكـــيَ النُبـــوغَ المُضاعـــا ... سُـــبةً مَـــن جـــرَّ هـــذه الأوضاعـــا

سـبةً مـن شـاء أن تمـوت وأمثـالُك ... همّـــاً وأن تروحـــوا ضَياعـــا

سـبةً مـــن شـــاء أن تعيـــشَ فلـــولٌ * ... حيـث أهـلُ البـلاد تقضـي جياعـا

داونِـــي إنّ بيـــن جنبـــيَّ قلبـــاً ... يشـــتكي طـــولَ دهـــره أوجاعـــا

ليـتَ أنـي مـع السـوائم * فـي الأرض ... شـرودٌ يرعـى القَتـاد * انتجاعـا

لا تـــرى عينـــيَ الديـــارَ ولا تســـمعُ ... أذنـــي مـــا لا تُطيـــق اســـتماعا

جُـل معـي جولـةً تُريـك احتقـار الشـعب ... والجهـــلَ والشـــقاءَ جِماعـــا

تجـد الكـوخَ خاليـاً مـن حُطـام الدهـر ... والبيـــتَ خاويـــاً يتداعـــى

واسـتمع لا تجـدْ سـوى نَبضـاتِ القلـب ... دقَّـت خـوفَ الحسـاب ارتياعـا

فلقـد أقبلـت جُبـاةٌ تسـومُ الحَـيَّ ... عنفـــاً ومهنـــةً واتضاعـــا

إن هـذا الفـلاحَ لـم يبـقَ إلا العِـرضُ ... منـــه يُجلّـــه أن يباعـــا

بعـد عشـر مشـت بِطـاءً ثقـالا ... مثلَمـا عاكسـت ريـاحٌ شـراعا

عرفتْنَـــا الآلامَ لونـــاً فلونـــاً ... وأرتنـــا الممـــاتَ ســـاعاً فســـاعا

اختبرنـــا ، إنّـــا أســـأنا اختبـــاراً ... واقتنعنـــا إنـــا أســـأنا اقتناعـــا

وندمِنـــا فهـــل نكفّـــر عمّـــا ... قـــد جنينـــا اجتراحـــةً وابتداعـــا

لـــو ســـألنا تلـــك الدمـــاء لقـــالت ... وهـــي تَغلـــي حماســـةً واندفاعـــا

مـــلأ اللـــه دُورَكُـــم مـــن خيـــالي ... شـــبحاً مرعبـــاً يَهُـــزّ النخاعـــا

وغدوتـــم لهـــول مـــا يعـــتريكم ... تُنكـــرون الأبصـــار والأســـماعا

تحسـبون الـورى * عقـاربَ خضـراً ... وتَـرَون الـدَّروب مـلأى ضِباعـا

---

* الفلول : الجحش أو المهر يفطم أو يبلغ السنة .

* السوائم : كل إبل أو ماشية ترسل للرعي ولا تعلف .

* القتاد : نبات صلب له شوك كالإبر من الفصيلة القرنية ، ويسمى في السودان الخشاب ومنه يستخرج أجود الصمغ.

* الورى : الناس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والليـــالي كلحـــاءَ لا نجـــمَ فيهـــا ... وتمـــر الأيـــام ســـوداً سِـــراعا

ليتكـــمْ طِرتُـــمْ شَـــعاعاً جـــزاءْ ... عـــن نُفـــوس أطرتموهـــا شَـــعاعا

بالأمـــــاني جذّابـــــةٌ قدْتُموهـــــا ... للمنيّـــات فـــاتجذبنَ انصياعـــا

وادعيتـــم مســـتقبلاً لـــو رأتـــه ... هكـذا لـم تضـع عليـه صُواعـا *

ألهـــذا هَرقتُمونـــي * وأضحـــى ... ألـفُ عـرض وألـف مُلـك مُشـاعا

أفوحـــدي كنـــتُ الشّـــجَاعةَ فيكـــمْ ... أولا تملكـــون بعـــدُ شُـــجاعا

كـــلُّ هـــذا ولـــم تصونـــوا رُبوعـــاً ... سِـلتُ فيهـا ولـم تُجيـدوا الدفاعـا

إنّ هـــذا المتـــاعَ بخســـاً ليـــأبى اللـــه ... أن تفصِـــدوا * عليـــه ذراعـــا

قـــل لمـــن سِـلتُ قانيـــاً تحـــت رجليـــهِ ... وأقطعتـــه القُـــرى والضّياعـــا

خـــبرّوني بـــأنّ عيشـــة قومـــي ... لا تســـاوي حـــذاءك اللماعـــا

مشـــت النـــاس للأمـــام ارتكاضـــاً ... ومَشـــيْنا إلـــى الـــوراء ارتجاعـــا

فـــي ســـبيل الأفـــراد هُوجـــاً ركاكـــاً ... ذهـــب الشـــعب كلُّـــه إقطاعـــا

طعنـوا فـي الصميـم مـن يركـنُ الشـعبُ ... إليـــه ونصبّـــوا القُطّاعـــا

شـــحنوهم مـــن خـــائنٍ وبـــذيءٍ ... ومُريـــبٍ شـــحنَ القِطـــارِ المتاعـــا

ثـمّ صبّوهـمُ علـى الوطَـن المنكـوب ... ســـوطاً يلتـــاع منـــه التياعـــا

خَمـدت عبقريـةٌ طالمـا احتيجـت لتُلقِـي ... علـــى الخطـــوب شُـــعاعا

وانـــزوت فـــي بُيوتهـــا أدبـــاءُ ... حَطَمـــت خِيفـــة الهـــوان اليراعـــا

مـــلءُ دور العـــراق أفئـــدةٌ حَـــرّى ... تَشـــكّى مـــن الأذى أنواعـــا

وجهـــودٌ سُـــحِقن فـــي حيـــنَ ترجّـــت ... منهـــا البـــلاد انتفاعـــا

فكأن الأحرار طرّاً علـى هذي النكايات * ... اجمعـــوا إجماعـــا

---

* الصواع : لغة في الصاع الذي يكال به ، وقيل هو إناء يشرب فيه . يريد لما ابهت له واهتمت به .

* هرقتموني : أرقتموني ، أسلتموني ، والدم هو الذي يتكلم .

* تفصد الدم : سال .

* النكايات : المصائب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثــأري أنفســاً حُبســن علــى الضيــم وكيلـــي للشـــرّ بالصـــاع صاعـــا

واســـــتعيني بشـــاعرٍ وأديـــب وأزيحـــي عمّـــا تريـــنَ القِناعـــا

لا يُـــراد الشـــعورُ والقلـــمُ الحـــرّ إذا كـــان خائفـــاً مُرتاعـــا

هيِّجـوا النـار أنهـا أهـون الشـرّين وقعـاً ولا تهيجـوا الطباعـا

إنَّ هـذي القـوى لهُـنَ اجتمـاعٌ عـن قريـب يهـدّد الاجتماعـا

عصفـت قـوّةُ الشـعوب بأرسـى أمـم الأرض فـاقتُلِعن اقتلاعـا

أنه هذا الصراع يا دمُ بين الشعب والظلم قـد أطلـت الصراعـا [1]

(١) ديوان الجواهري ٢: ٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدم يتكلم بعد عشر

يصور الجواهري في قصيدته "الدم يتكلم" الصراع الموجود بين المعتدي والشعب ، ويبين من خلال صورته الفنية غاية كل منهما ، فالمعتدي يريد الاستيلاء على خيرات البلاد، والشعب يسعى إلى الخلاص من الإذلال والعبودية ، ويبقى الصراع قائماً بين (الجاني - والضحية) حتى نهاية صورته الفنية .

يأتي الجواهري بصور متعددة ومتناسقة مستمداً عناصرها من الواقع العراقي ، فنجده يشير إلى الحكم العثماني ، وما سبب للشعب العراقي من جهل وتخلف وانحطاط ، لأنهم جعلوا بغداد حلقة اتصال ثقافية تركزت فيها المدارس الرسمية التي تقوم بالتتريك ، ومقابل ذلك أخذت النجف بمدارسها الدينية والفكرية دور القلعة التي تعمل على حفظ البلاد من التتريك [١] . وفرضت بريطانيا على مدينة النجف حصاراً عانى منه الشعب العراقي ، فأصبح التجار يحتكر أقوات الناس ، وجعلوهم يعيشون عيشة ضنك وفقر وحاجة . وكان نجم البقال أحد الثائرين على مجازر الانكليز فقام بقتل الحارس والحاكم البريطاني "مارشال" انتقاماً وثائراً لسياسية الانكليز الاستبدادية في بغداد ، والفلاحون أداة الثورة ، لأنهم أكثر فئة مستغلة من قبل الطبقة الحاكمة . وجاءت معاهدة بورتسموث التي كانت تنال من هيبة العراق ، لأنها معاهدة جائرة تكبل فيها العراق لمدة ٢٥ عاماً بقواعد عسكرية تخدم بريطانيا . والشعب العراقي رافض لهذه المعاهدة، وناقم على المستعمر وكان من نتائجها اشتباك بين المستعمر وأبناء الوطن ونزف دماء الأحرار، والشعب يهتف ويصرخ وينادي ، ليكن الدم الغالي شاهداً على الظلم الواقع في شوارع العراق ومبيناً اشتعالها بالنار والرصاص ثورة على معاهدة بورتسموث .

ويبين الجواهري من خلال صورته الكلية أن الدم لم يتحرك بالطريقة الكافية في أعماق الشعب ، لأن أهل العراق ضعفاء عاجزون لا يتحركون بسبب خوفهم من المستعمر البريطاني .

وغاية الجواهري من خلال صوره المتعددة خلق الوعي لدى الشعب لما يحدث على تراب وطنهم ، من أجل النهوض والثورة .

وفي النهاية توظف صورة "الدم متكلماً" من خلال بنية القصيدة الكلية ، لتبث العزم والإرادة في نفس الشعب العراقي ، من أجل الخلاص من براثن الاستعمار .

نجد الجواهري يستخدم أساليب فنية متعددة للوصول إلى الهدف المراد ، وهو النهوض والثورة ومن هذه الأساليب أسلوب الخطاب ، فهو يخاطب الضحية كي تثور والثورة يجب أن

---

(١) ينظر محمد مهدي الجواهري : ذكرياتي ١: ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسبق عملية الندب ، لأن الدموع قد تشفي لكنها لا تجدي في الحالات كلها ، فكان الشاعر يؤمن بأهمية الدمع لخلق الحالة التحريضية للإنسان ، إلا أن هذا الدمع لا يوصل الإنسان إلى مرحلة مهما صغرت من مراحل التطور الانتقالي نحو الأفضل . فالدمع هنا وسيلة تعبيرية للعاجز عن العمل إذا استخدمت في مقدمة الحلول التي يتطرق لها الإنسان .

فالحالة البنائية تكمن في عملية فضح القيم التي ينتهجها العدو ، مستخدماً أساليب القمع والإرهاب ، من أجل تحقيق مراده وهو الاستيلاء على البلاد . فالجواهري يجعل مكاشفة بين الجاني والضحية ، ويبين صورتين متناقضتين لهما فالشعب ضعيف ، والجاني قوي وكأن الجاني هو المسيطر في صورته الفنية .

قبل أن تبكيَ النُّبوغَ المُضاعا ... سُبَّ من جرَّ هذه الأوضاعا
سبَّ من شاء أن تموت وأمثالُك ... همَّاً وأن تروحوا ضياعا
سبَّ من شاء أن تعيشَ فلولٌ ... حيث أهلُ البلاد تقضي جياعا
داوني إنَّ بين جنبيَّ قلباً ... يشتكي طولَ دهره أوجاعا
ليت أني مع السوائم في الأرض ... شرودٌ يرعي القَتاد انتجاعا
لا ترى عينيَ الديارَ ولا تسمعُ ... أذني مالا تُطيق استماعا
جُلْ معي جولةً تريك احتقار الشعب ... والجهل والشقاء جماعا
تجدِ الكوخَ خالياً من حُطام الدهر ... والبيتَ خاوياً يتداعى
واستمع لا تجد سوى نَبضاتِ القلب ... دقت خوفَ الحساب ارتياعا
فلقد أقبلت جُباةٌ تسومُ الحَيَّ ... عنفاً ومهنةً واتضاعا
إنَ هذا الفلاَّحَ لم يبقَ إلا العِرضُ ... منه يُجلّه أن يباعا

ويجعل الجواهري الدم هو الرافض للظلم والعبودية ، بدليل الثورات التي قامت في العراق كثورة النجف ، وانتفاضة الشعب العراقي ، واقتحامه لمقر الحاكم البريطاني "مارشال"، وقتلهم له عام ١٩١٩. وكان العدو يعلق المشانق في الكوفة من أجل قمع انتفاضة أهل العراق، ووقف تحركهم ، ولكن الدم المهدور منهم ظلماً سيغلي في نفوسهم من أجل الثأر لأبنائهم الشهداء:

بعد عشر مشت بطاءً ثقالا ... مثلّما عاكست رياحٌ شِراعا
عرّفتنا الآلامَ لوناً فلوناً ... وارتنا الممات ساعاً فساعا
اختبرنا ، إنّا أسأنا اختبارا ... واقتنعنا ، إنا أسأنا اقتناعا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وندمنـــا فهـــل نكفّـــر عمّـــا ... قـــد جنينـــا اجتراحـــةً وابتداعـــا
لـــو ســـألنا تلـــك الدمـــاءَ لقـــالت ... وهـــي تَغلـــي حماســـةً واندفاعـــا
مـــلأ اللـــه دُوركـــم مـــن خيـــالي ... شـــبحاً مرعبـــاً يَهُـــزّ النخاعـــا
وغدوتـــم لهـــول مـــا يعـــتريكم ... تُنكـــرون الأبصـــار والأســـماعا

ويتكلم الدم عن ضياع البلاد ، والاستيلاء على الأراضي ، والشعب صامت لا يثور والجواهري هو الشجاع الذي يسلط الضوء عبر قصائده الوطنية على فساد الحكام وأصحاب المناصب العالية ، فكان الجرئ الذي لا يهمه مالاً ولا نفوذاً يقف في شعره إلى جانب الفقراء، يساندهم من أجل الكفاح والنضال ، لأخذ حقوقهم من المستغلين الذين لا تساوي حياتهم "الحذاء اللماع" :

تحســبون الــورى عقــاربَ خضــراً ... وتَــرَوْن الــدّروب مــلأى ضِباعــا
والليـــالي كلحـــاء لا نجـــمَ فيهـــا ... وتمـــرّ الأيـــام ســـوداً سِـــراعا
ليتكـــم طِرتُـــمُ شَـــعاعاً جـــزاءً ... عـــن نُفـــوس اطرتموهـــا شَـــعاعا
بالأمـــاني جذّابـــة قُدتموهـــا ... للمنَيـــات فـــاتجذبنَ انصياعـــا
وادعيتـــم مســـتقبلاً لـــو رأتـــه ... هكـــذا لـــم تضـــع عليـــه صُواعـــا
ألهـــذا هَرْقتُمونـــي وأضحـــى ... ألـــفُ عـــرض وألـــفُ ملـــك مُشـــاعا
أفوحـــدي كنـــتُ الشّـــجاعةَ فيكـــم ... أو لا تملكـــون بعـــدُ شُـــجاعا
كـــلُّ هـــذا ولـــم تصونـــوا رُبوعـــاً ... سِلتُ فيهـــا ولـــم تُجيـــدوا الدفاعـــا
إن هـــذا المتـــاعَ بخســـاً ليـــأبى اللـــه أن ... تفصِـــدوا عليـــه ذراعـــا
قـــل لمـــن سِلتُ قانيـــاً تحـــت رجليـــهِ ... واقطعتـــه القُـــرى والضّياعـــا
خـــبّروني بـــأنّ عيشـــة قومـــي ... لا تســـاوي حـــذاءك اللماعـــا

وتبقى العلاقة قائمة بين الخصوم (الشعب - وجلاديه) ، لنرى صور متجددة لهذه العلاقة، لأن كلا من ندي العلاقة يصرّ كي يصل إلى هدفه الذي رسمه في ذهنه . فالجلادون تتمحور صورهم وتتجدد من خلال سفك الدماء ، والقتل ، والتخريب ، والدمار ، والضرائب وهتك الأعراض ، وغيرها من القرائن الدامغة لإدانة العدو الجبار ، بينما تتجدد حالات الرفض والثورة لدى الجماهير ضد العدو بدءاً من العصيان ، ووصولاً إلى الثورة المؤكدة في انجاح روح المثابرة للوصول إلى الهدف المنشود (الحرية) ليكون الدم أحد قرائنها :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشـــت النـــاس للأمـــام ارتكاضـــاً ... وَمَشـــينا إلـــى الـــوراء ارتجاعـــا
فـــي ســـبيل الأفـــراد هُوجـــاً ركاكـــاً ... ذهـــب الشـــعب كلُّـــه إقطاعـــا
طعنـــوا فـــي الصميـــم مـــن يركـــنُ ... الشـــعب إليـــه ونصَّبـــوا القطاعـــا
شـــحنوهم مـــن خـــائن وبـــذيءٍ ... ومُريـــبٍ شـــحنَ القِطـــار المتاعـــا
ثـــم صبّوهُـــم علـــى الوطـــن المنكـــوب ... سَـــوطاً يلتـــاع منـــه التياعـــا
خمـــدت عبقريـــةٌ طالمـــا احتيجـــت ... لتُلقـــي علـــى الخطـــوب شُـــعاعا
وانـــزوت فـــي بُيوتهـــا أدبـــاءٌ ... حَطمـــت خيفـــةَ الهـــوان اليراعـــا
وجهـــودٌ سُـــحِقن فـــي حيـــنَ ترَجـــت ... منهـــا البـــلادَ انتفاعـــا
فكـان الأحـرار طَـرّاً علـى هـذه النكايـات ... اجمعـــوا إجماعـــا
أثـــأري أنفســـاً حُبســـن علـــى الضيـــم ... وكيلـــي للشـــرّ بالصـــاع صاعـــا
واســـتعيني بشـــاعر وأديـــب ... وأزيحـــي عمّـــا تريـــن القناعـــا

فالدم عند الجواهري غالي الثمن ليس رخيصاً ، ولو أنه لم يكن فاعلاً في القصيدة بالصورة الكافية لسيطرة القوي على الضعيف ، إلاّ أنه يبقى عزيزاً لأنه ابن العاطفة الصادقة المتولدة بعد تفاعل النفس مع الحدث ، حتى يتيقن العقل بمدى فاعلية المشاعر ، لتتوحد كل الحواس والأجهزة في جسم الإنسان لتصل إلى حالة رفض مؤكدة ، والتي تظهر بصورها المختلفة ، ليكون الدم حالة للتتويج الكلي ، بعد التيقن الذهني والنفسي ، لنرى قيمة الدم عند الشاعر ، ومثل هذا ينمّ عن ذكاء فاعل في خلق صور تتابعية مهما كلفت الشاعر من مشقة وعناء في خلقها وتتابعها ، فصورة الدم متجددة تستفيد من الذاكرة ومكتنزاتها والنفس وبواعثها من أجل الثورة والنضال . لنرى في النهاية الدم وكأنه يحكي لنا قصة الرافضين والثائرين واسطورة الأمل المنشود أبداً :

لا يُـــراد الشـــعورُ والقلـــمُ الحـــرّ ... إذا كـــان خائفـــاً مُرتاعـــا
هيِّجـــوا النـــار أنهـــا أهـــونُ الشـــرّين ... وقعـــاً ولا تَهيجـــوا الطباعـــا
إنَّ هـــذي القـــوى لهُـــنَّ اجتمـــاعٌ؟ ... عـــن قريـــب يهـــدّد الاجتماعـــا
عصفـــت قـــوّةُ الشـــعوب بأرســـى ... أمـــم الأرض فاقتُلعـــن اقتلاعـــا
أنـــه هـــذا الصـــراع يـــا دمُ بيـــن الشـــعب ... والظلـــم قـــد أطلـــت الصراعـــا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمتبع لهذه القصيدة يجد أن الشاعر قد وفق في استخدام الأساليب الفنية التي يهدف من خلالها إلى الثورة والنهوض والتقدم ، ومن هذه الأساليب التكرار ودوره في خلق الوعي لدى الشعب من أجل تنبيههم على الفساد الموجود ، وأسلوب الخطاب وما يبعثه في نفس الشعب من عزم وقوة من أجل الخلاص ، وصيغ الأمر لنرى من خلالها إرادة الشاعر ، وتصميمه للوصول إلى هدفه المنشود وهي الثورة ، والتفاعل معها ، وشاعرنا يريد أن تكون الأمور تتابعية وليس فوقية ، لأن الخطاب في القصيدة مفتوح لا محدد ، لذلك نجد طرائق التغير مختلفة، لأن ثقافات الناس وتوجهاتهم مختلفة .

ومن هنا نقول أن للدم قيمة معنوية ومادية لدى الشاعر ، لأنه يريد أن يخلق من خلاله حالة تفاعلية مع الحدث لها قيمتها كي تتوحد المشاعر بعد الادراك العقلي ، واليقيني للحدث .

وتبقى صورة الدم في شعر الجواهري هي الشاهدة على الظلم الموجود في العراق ، لأنه عندما يسيل من أبناء الوطن المخلصين يكون دليلاً قوياً للمستعمر بأن الشعب رافض للظلم والعبودية والاحتقار ، ويأتي شاعرنا بصوره الفنية من الواقع الذي يعيش به أهل العراق بشكل خاص والوطن العربي بشكل عام ، والهدف من صوره هو خلق الوعي في نفس المتلقي من أجل النهوض والثورة. مستخدماً لفظة "الدم" بدلالتها وأبعادها النفسية ، لتبث معاني البقاء والمقاومة التي لا تقهر فنرى الدماء تغلي في كفني عمر وبكر ، من أجل المطالبة بحق الشعب العراقي من أن يحكم نفسه بنفسه ، ويصبح الدم يرمز إلى فساد مجلس النواب وسيطرة بريطانيا عليه ، فصورة الفساد تخلق لدى الشعب حالة استفزازية من أجل الثورة على مقاييس الحكم في العراق . فالجواهري يأتي بالصور العقلية لتكون دليلا وبرهاناً على الواقع القائم في العراق ، وبذلك تكون صورته الفنية أقرب للتصديق ، لأن شاعرنا مستند على أدلة وبراهين عقلية مستمدة من الواقع الذي يعيش فيه :

دم الأخويـــن فـــي الكفنيـــن يغلـــي ... خطـــاب لـــو وَعَـــى قـــومٌ خطابـــا
ســـيعلمُ مـــن يخـــال الجَـــوَّ صفـــواً ... بـــأنَّ الجـــوَّ مملـــوء ضبابـــا
ومـــن ظـــن المجـــالسَ عـــامراتٍ ... بمـــدح أنهـــا شُـــحِنَتْ سِـــبابا
ويعـــرفُ مـــن أراد صميـــمَ شـــعبي ... رُمَّيـــاً أيَّ شـــاكلةٍ أصابـــا
ويُـــدركُ أيـــنَ صفُـــو المـــاء عنـــه ... وريقُـــهُ إذا وَرَدَ اللصابـــا *
ولـــو عَرَفـــت بلادي مـــا أرادَت ... بهـــا النُـــواب لـم ترد انتخابا (١)

ونجد الجواهري من خلال قصيدته يستخدم أسلوب المباشرة بالحديث دون تعقيد وتوغر،

---

* اللصابا : كل مضيق في الجبل أو الوادي .

(١) ديوان الجواهري ١: ٤٣٥ من قصيدة "ضحايا الانتداب" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنه يخاطب الشعب من مختلف الثقافات .

والدم الذي يسيل من السعدون دليل آخر على رفض أبناء العراق للظلم ، فقد كان السعدون يطالب باستقلال الأمة عن بريطانيا ، ولكنه وجد في النهاية أن بريطانيا يتغلغل نفوذها في جميع أنحاء العراق ، والحكام يساندونها ويؤازرونها ، فما كان منه سوى الانتحار ليكون انساناً شجاعاً رافضاً للظلم والعار ، ومخلصاً لأبناء الوطن ، فالجواهري يأتي بصوره من المجتمع العراقي ، لتكون قريبة من ذهن الشعب ، وبالتالي تبث فيه الثأر والانتقام لدم السعدون:

ولقد يَعِزُّ على المليك وشعبِهِ ... والمشرقينِ نجيعُك المتدفِّع
لا يرتضي الوطنَ الذي فَدَيتَه ... بالنفس أنَ تدمي لكفك اصبَع
هبَة العروبة للبلادِ أهكذا ... مُستدمياً متظلِّماً تسُترجع
تأريخُ شعب سُوِّدَت صَفحاتُهُ ... فاتى فبيَضهَنَّ هذا المصرع
قد يدفع الدمُ ما يحيق بأهله ... فإذا صدقتُم بادعاءٍ فادفَعوا [1]

ويأتي الجواهري بالصور العقلية ، لتكون فكرته أقرب للتصديق ودليله أثواب الشهداء الملطخة بالدماء ، لتكون شاهدة على فساد المجلسين الأعيان والنواب ، وبيان أن انتخاباتهم مزورة وبعيدة عن الحقيقة ، والجواهري يحث الشعب على التحلي بالقوة والعزم والاصرار من الناحية المعنوية ، والاعتداد بالسلاح والمعدات الحربية من الناحية المادية وبذلك يكون الشعب العراقي رافضاً للظلم :

تأبى المروءةُ أن يُقدَّسَ خائنٌ ... أو أن يطولَ على البريءِ حساب
من أجل أن ترعَوا مبادئ مُحسنٍ ... لتَكنْ أمامَكُمُ له أثواب
متضرجات بالدماء زكيةٌ ... فيهنَّ للجرحِ البليغِ خطاب
فيهنَّ من تلك الرَّصاصة فَتْحة ... هي للتفادي أن وَعَيتم بَاب
ليكُنْ أمامَكُمُ كتابٌ صارخٌ ... فيه ثوابٌ يُرتجى وعِقاب
فيه الوصيةُ سوفَ تحنوا رأسَها ... عَجَباً بها الأجيالُ والأحقاب
أوحى "الزعيمُ" إلى الجزيرةِ كلّها ... أنْ ليسَ يُدرك بالكلام طِلاب
يا هذه الأممُ الضِعافُ تَرويَاً ... لا تنهضي صُعُداً وأنت زِغاب *
لا تقطعي سبباً ولا تتهوَّري ... نَزَقاً * إذا لم تكمُل الأسباب
لا تقرَبي ظُفُرَ القويِّ ونابَه ... إن لم يكنْ ظُفُرٌ لدَيك وناب [2]

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٤٩٩ ، ٥٠٠ من قصيدة "إلى السعدون" .

* الزغاب : الفرس الأبلق بمعنى الأمة الضعيفة .

* النزق: الوثوب والتقدم .

(٢) المصدر السابق ١: ٥٠٤ من قصيدة "المجلس المفجوع" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والكتاب الذي بعث به لابنه علي سيكون دليلاً على وفاء السعدون وانتحاره دفاعاً عن الأمة ، من أجل نيل استقلالها : "الأمة تنتظر الخدمة والانكليز لا يوافقون" .

ويريد الجواهري من أبناء الأمة أن يكون دمها فاعلاً ومحركاً للثورة والنضال ، وإلا بقي المستعمر يتغلغل في البلاد العربية ، ويستشهد الجواهري بفلسطين واخضاعها للانتداب، ويبين للقارئ كيف أنها مجروحة ومتألمة لتقسيمها والاستيلاء عليها من قبل المستعمر الغاشم منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ ، ومؤامراتهم التي كانت تنسج ضد فلسطين والأمة العربية ، وهدف الجواهري من خلال قصيدة فلسطين الدامية بث الوعي في نفس الشعب لقضايا أمته الهامة ، وكان الجواهري عبر قصيدته يتكلم بلغة "الدم" ، وما تبعثه هذه المفردة من نضال وكفاح من أجل تخليص فلسطين من الاستيطان الصهيوني ، والجواهري بمفردة الدم يوحد المشاعر العربية، ويجعل الشعوب حادة ومتألمة لما يحصل لفلسطين . ويبشر السكوت الآني للشعوب بثورة عارمة تعمّ البلاد :

ثارَ الشبابُ ومن مثلُ الشباب إذا ... ريعَ * الحمى * وشُواظُ الغَيْرَة احتداما
يأبى دمٌ عربيٌ في عروقِهمُ ... أن يُصْبِحَ العربُ الحرُّ مهتضماً
في كل ضاحيةٍ منهم مظاهرةٌ ... موحدين بها الأعلامَ والكلما
أفدي الذينَ إذا ما أزْمةٌ أزَمَتْ ... في الشرق حُزْناً عليها قصَّروا اللمما
ووحَّدَتْ منهُمُ الأديانَ فارقةٌ ... والأمرَ مختلفاً والرأيَ مُقْتَسَمَا
لا يأبهون بارهابٍ إذا احتدموا ... ولا بِمِصَرْعِهِمْ إن شعبهُم سَلما (١)

ويأتي الجواهري بصيغ الأمر والنداء من أجل تحريض الشعوب على الثورة والنضال، واستطاع الجواهري أن يصل إلى مراده ، ولبت سوريا النداء وشاطرت أبناء فلسطين مأساته وحزنه لإخضاعه تحت الانتداب وويلاته من قتل للأطفال والرضع ، وتشتيت الأبناء خارج البلاد ، والدم هو المتكلم عن هذه المجازر :

---

* راعاه : لاحظه وراقبه .

* الحمى : الدفاع عن الوطن .

(١) ديوان الجواهري ١: ٤٧٥ من قصيدة "فلسطين الدامية" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اســـمعي يـــا جلـــقّ ! إن دمـــا ! فـــي فِلَسْـــطينَ ينـــادي جِلَّقـــا
اســـمعي : هـــذا دمٌ شـــاعت لـــه نخـــوَةٌ مهتاجـــةٌ أن يُهرَقـــا
شـــدَّ مـــا احتـــاجت إلـــى أمثالـــه أمـــمٌ يعُوزُهـــا أن تَعتَقـــا
شـــاهدٌ عـــدلٌ علـــى الظلـــم إذا كـــذَبَ التـــاريخُ يومـــاً صدقـــا
احملـــي مـــا اســـطَعْتِ مـــن حبّاتـــه واجعليهـــا لعيـــونٍ حَدَقـــاً
يســـقطُ الطفـــلُ علـــى والـــده وارداً مـــورِدَه معتنقـــاً
وتمـــرّ الأمُّ غضبـــى ســـاءها فـــي ســـباق مثلِـــهِ أنَ تُســـبَقا
نَسَـــقٌ للمـــوت لـــم نســـمعْ بـــه ليتنـــا نَعْـــرِفُ هـــذا النســـقا
هكـــذا تُعْلِـــنُ صرعـــى أمـــةٍ أن شـــعبا مـــن جديـــدٍ خُلِقـــا [1]

ونجد الجواهري من خلال صورة الطفل يستدر عاطفة الشعوب ، من أجل النهوض والثورة. ويؤكد مراده في نهاية البيت بأن الأمة العربية ستبشر بحياة جديدة عن طريق الكفاح والنضال .

ويبقى الجواهري يستدر العاطفة الإنسانية من أجل النهوض والثورة ، ويذكر أبناء الشعب "بيافا" عروس البحر الأبيض المتوسط قبل النكبة ، وما حلّ بها بعد النكبة ، حيث إنها تئن من الجرح الذي سببه المستعمر لها فالجواهري يقارن بين ماضيها وحاضرها من أجل حث الشعب على الثورة والنضال ، بكلمات قليلة تشتمل على معاني جزلة وفي النهاية يؤكد أن الأمة العربية واحدة وأن الحدود التي يقيمها المستعمر سوف تتلاشى :

وســـائلةٌ دَمـــاً فـــي كـــلّ قلـــبٍ عراقـــيٌّ جُروحُكـــم الرغـــاب *
يُزَكينـــا مـــن المـــاضي تُـــراثٌ وفـــي مُســـتَقْبَل جَـــذلٍ نِصَـــاب
قَوافِـــيَّ التـــي ذوَّبـــتُ قـــامَتْ بِعُـــذري إنَّهـــا قلـــبٌ مُـــذاب
ومـــا ضـــاقَ القريـــضُ بـــه ســـتمحو عواثِـــرَهُ صُدورُكـــم الرّحـــاب
لئـــنْ حـــمَّ الـــوَداعُ فضِقـــتُ ذَرْعـــاً بـــه واشـــتفَّ مُهجتـــي الذَّهـــاب
فمِـــنْ أهلـــي إلـــى أهلـــي رجـــوعٌ وعـــنْ وطنـــي إلـــى وطنـــي إياب [2]

---

(١) ديوان الجواهري ٢: ٣٤٢ من قصيدة "يوم فلسطين" .

* الرغاب : الواسعة .

(٢) المصدر السابق ٣: ١٠٧ من قصيدة "يافا الجميلة" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرمز الدم إلى اجرام المستعمر الصهيوني في أبناء فلسطين من قتل واعدام ونفي وتشريد ويستخدم الجواهري "أسلوب النداء" من أجل دعوة الشعوب إلى الوحدة والتضامن، لتخليص فلسطين من الاحتلال :

حماةُ الدارِ من عشرينَ عاماً ... تقضت فاتنا يومَ التنادي
دعانا وعدُ بلفورٍ وثنّى ... وثلّثَ صائحُ البلدِ المُذاد
ونادَتنا بألسِنَةٍ حدادٍ ... دِماءٌ في قرارةِ كلِّ وادي
ومَوْجاتٌ من الكَرْبِ الشدادِ ... تَراوَحُ بانتقاصٍ وازدياد [١]

ويستغيث الجواهري بالزعيم المصري جمال عبد الناصر ، لإنقاذ فلسطين من الظلم الذي وقع عليها ، ويبارك سعي أبنائها من أجل الخلاص ، ولا يكون الخلاص إلا بالدم . ويكرر الجواهري لفظة الدم في القصيدة من أجل بيان دوره الفاعل في تطهير البلاد من تدنيس أقدام العدو الغاشم . ويستخدم الجواهري "أسلوب الأمر" لتحريض الزعماء على الثورة :

أنقذْ فلسطينَ مَردوداً بها حَرَمُ ... على ذَويه ومركوزاً بها عَلَم
ولَبِّ في جَنَبات القُدسِ صارخةً ... مَن قبلُ أدركها في الروْمُ مُعْتَصم
وطهّر البيتَ من رجسٍ يُلوّثهُ ... ولن يُطهِّرهَ إلا دَمٌ ... ودم
ولن يطهّرَه الا مُخايرةٌ ... أن يُعَبَد اللهُ أو أن يُعْبَدَ الصنَم [٢]

ويريد الجواهري من خلال صورته الفنية أن يخلق الوعي لدى الشعوب ويبين لهم أن وقوع فلسطين تحت الانتداب نتيجة منطقية لحالة الوضع السياسي العربي المأزوم الذي مثلته الأنظمة الحاكمة ، فهم يتهاونون في القضايا الهامة ولا ينظرون إليها بصورة جادة ، فالجواهري يريد أن تتحول الهزيمة إلى نصر بقيادة الزعماء المخلصين .

ويصف الجواهري هدير الدم وهذا الوصف يدل على غزارة الدم المهدور ، بسبب عدم وجود أحرار يوقفون هديره ، وكأنه ينادي الأمة العربية من أجل انقاذ فلسطين من الاستيطان الصهيوني ، ولم يكتف الجواهري بصورة الدم بل أضاف إلى صورته الفنية صوراً متتابعة ومتناسقة ، لبيان معاناة الشعب الفلسطيني ، فنجده يأتي بصورة السجين والسياط التي تلتاع عليه التياعاً ، فالجواهري لم يكتف بتسجيل معاناته الذاتية ، بل أضاف إليها معاناة الشعوب ، وتمتاز

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٣٢٢ من قصيدة "فلسطين" .

(٢) المصدر السابق ٥: ٢٥٥ من قصيدة "الخطوب الخلاقة" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورته الفنية بالعمق والشمولية والإيحاء من خلال البنية الكلية للقصيدة :

أطِـــلْ مكثـــاً فســـوفَ يُـــزاحُ ليـــلٌ ... تَلْفَـــكَ منـــه والدُّنيـــا سُـــجوف *
ومِـــنْ هـــذي الكُـــوى * ســـيطلُّ فجـــرٌ ... ضَحـــوكٌ يمـــلأ الدُّنيـــا كشـــوف
ولـــم تَـــزلِ الدُّنـــى مـــن ألـــفِ ألـــفٍ ... يُصـــرَّفُ مـــن أعنَّتهـــا "الرَّغيـــف"
تمرَّغـــتِ الخـــدودُ مصَعـــراتٍ ... بـــه ، واســـتَرْغمتْ منهـــا الأنـــوف
وظـــلَّ ابـــنُ "المطـــاحنِ" * مشـــمَخِراً ... عليـــه الهـــامُ مـــن فَـــزعٍ عُكـــوف
يـــدورُ الفِكـــرُ جبَّـــاراً عنيـــداً ... بحيـــثُ يـــدورُ والقلَـــمُ الرَّهيـــف
يَقِـــضُّ مضـــاجعَ البـــاغينَ منـــه ... لكـــلِّ منامـــةٍ طيـــفٌ يطـــوف
وأنـــى عرَّســـوا * أســـرى إليهـــم ... يُطيـــلُ عذابَهـــم وجـــهٌ مُخيـــف
تَخـــافُ شُـــذاةَ غضبَتـــهِ ألـــوفٌ ... وتســـتجدي مودَّتَـــهُ ألـــوف
وتَســـتاقَ الجيـــوشُ مُســـخَّراتٍ ... لهـــا مـــن خـــوفِ زحفتِـــه زُحـــوف
وكـــم جـــرَتِ الدمـــاءُ لهـــا هديـــرٌ ... علـــى حبَّاتـــه وبهـــا نزيـــف
وكـــم ألـــوى بهـــا هـــذا النَّحيـــفُ ... وهـــذا المســـتبدُّ بنـــا العنيـــف (١)

يشير الجواهري إلى فئة معينة من المعذبين وهم الفقراء الذين لا يجدون قوتهم اليومي، وهم أكثر فئة مستعبدة من قبل الحكام والنفوذ القوي ، ويفضل الجواهري حياتهم على حياة المترفين الذين يعيشون في القصور والجواهري من خلال صورته الفنية يحث الشعب على الثورة والنضال من أجل الخلاص من العبودية .

ويضيف الجواهري إلى صورة الدم صورة الشهيد ، فقد شاهد الجواهري الدماء وهي تنزف من الشهداء دفاعاً عن الوطن ، فما كان من الجواهري إلا أن نظم قصيدة "أخي جعفر"، لتلقى في الحفل الكبير المقام في الحيدر خانة في بغداد احتجاجاً على توقيع معاهدة "بورتسموث" بين العراق وانكلترا . ويشاهد الجواهري أخاه جعفر والدماء تنزف من جسده الطاهر ، وصورة أخيه لم تفارق الجواهري وهو ينظم قصيدته ، فجاءت صورته الفنية مفعمة بالدم لنستدل من خلالها على هول الصدمة في نفس الجواهري ، وأحياناً يلجأ شاعرنا إلى أسلوب التكرار فيأتي

---

* السجوف : الظلمة .

* الكوى : العمل .

* ابن المطاحن : الرغيف .

* عرسوا : نزلوا (في آخر الليل) .

(١) ديوان الجواهري ٣: ٣٣٠ من قصيدة "أطل مكثاً" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باللفظ المتكرر كلفظة الدم ، وأحياناً يأتي بشطر البيت فقد يكون التكرار دون قصد أو تكرار بقصد لبيان انفعال الشاعر إزاء استشهاد أخيه جعفر ، ومن معه من الشهداء . يقول الجواهري: "أحب أن أخبرك يا "جعفر" بأشياء ... وأشياء ... هي التاريخ كله ، وهي البشرية كلها هي الحياة بنقائضها! سأصبها قريباً في مسمعك بكل خشوع وأدب ووقار ، تليق بك أيها الجدث الطاهر ... ولكنها بكل صراحه ممزقة ! تليق بأخيك ... سأصبها يا أخي على مسمعك بكتاب مصبوغ بدمك، ملتهب بما في قلبي من شرر يقدحه هذا "الدم" على مر الدهور ، وكر الأزمان" [١] .

ويخص الجواهري بصورته الفنية طبقة الكادحين ليشير إلى الحرمان الذي يعاني منه الفقير من قبل الطبقة الغنية . ويعقد الجواهري علاقة بين الجرح والفم ، ويجعل للجرح فماً يتكلم عن مآسي الشعب العراقي من قبل رؤساء الاقطاعيين ، واستغلالهم للفلاح العراقي وسيطرتهم عليه :

أتَعْلَمُ أم أنتَ لا تَعْلَمُ ... بأنَّ جِراحَ الضحايا فمُ
فمٌ ليس كالمُدعي قولَةً ... وليس كآخَرَ يَسترحِم
يصيحُ على المُدْقِعينَ الجياع ... أريقوا دماءكُم تُطعَموا
ويهتِفُ بالنَّفر المُهطِعين * ... أهِينوا لِئامكُم تُكْرَموا [٢]

والجواهري مستنكر ومندهش لحالة الشعب العراقي ويأتي بأسلوب الخطاب لبيان ما يرتكبه العدو من إجرام في حق الشعب العراقي ويبين شاعرنا أن وسيلة الخلاص هو الدم لأنه يحرض الأبناء على الثورة والنضال :

أتعلَمُ أنَّ رِقابَ الطُغاة ... أثقَلَها الغُنْمُ والمأتَم
وأن بطونَ العُتاةِ التي ... مِن السُحتِ * تهضِمُ ما تهضم
وأن البغيَّ الذي يدَّعي ... من المجد ما لم تَحُز مريم
ستَنْهَدُّ إن فارَ هذا الدمُ ... وصوتَ هذا الفمُ الأعجم
فيالكَ مِن مَرهمٍ ما اهتَدى ... إليه الأُساة وما رهموا
ويالكَ من بَلسمٍ يُشتَفى ... به حينَ لا يُرتجى بَلسم
ويالكَ من مَبسِمٍ عابسٍ ... ثغور الأماني به تَبسِم [٣]

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٥٦ .

* المهطع : الذليل .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٥٩ من قصيدة "أخي جعفر" .

* السحت : المال الحرام .

(٣) ديوان الجواهري ٣: ٢٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبعث الدم النازف من الشهداء القوة والعزم في نفس الشعب ، لأنه يعبر عن رفض الأحرار للظلم والعار ، ويتمنون الشهادة لأنها تحقق للإنسان الحياة الكريمة ، وهي مطلب الأبطال المخلصين الذين يقتحمون أزيز الرصاص لتحقيق ما يبتغون من حياة كريمة أو استشهاد يخلصهم من الذل والعار .

أتعلمُ أنَ جراحَ الشهيد ... من الجُوع تَهضِمْ ما تلهم
تَمصُّ دماً ثُمَ تبغي دما ... وتبقى تُلَحُ وتستطعِم
فقُل للمقيم على ذُلّه ... هجيناً يُسخر أو يُلجَم
تقَحَّمْ ، لُعِنْتَ أزيزَ الرَّصاص ... وجَرَّبْ من الحطّ ما يُقسَم
وخضْها كما خاضَها الأسبقون ... وثُن بما افتتحَ الأقدم
فإمّا إلى حيثُ تبدو الحياة ... لعينيْكَ مَكْرُمَةً تُغْنَم
وإمَّا إلى جَدَثٍ لم يكُن ... ليفضُلَه بيتُكَ المُظلِم [١]

ونجد أن الحروف التي يكررها الجواهري تتناسب مع هدفه المراد ، وهو التحريض على الثورة والنضال والكفاح ، كحرف القاف والخاء والضاد ، فهي تبعث في النفس الإرادة والقوة والعزم . بالإضافة إلى دورها في أحداث الإيقاع المتناسب مع بنية القصيدة الكلية .

والدم هو المجيب لهؤلاء الظالمين الذين سفكوا دماء الأبرياء ، والدم سيحقق لهم المجد والكرامة بدلاً من الذل والهزيمة :

يقولون من هم أولاء الرِّعاعُ ... فأفهِمُهُم بدَمٍ مَنْ هُم
وأفهِمْهُمُ بدمٍ أنَّهمْ ... عبيدُكَ أن تَدْعُهم يَخْدموا
وأنَّك أشرفُ من خيرِهم ... وكعبُك من خدِّهِ أكرم [٢]

ويلح الجواهري أن الفئة الكادحة ستأخذ بثأرها من المستغلين وإن طال الزمن ، لأن الظلم يبشر بولادة جديدة يتخلص الناس من العبودية والاذلال .

ويعقد الجواهري حواراً بينه وبين جعفر نلتمس من خلاله العاطفة الجياشة التي تربط الأخوين ، واستخدامه للخيال ليزيد تأثير الحدث على الشعب من أجل الثورة والنهوض ، فنجد الدماء تعم الأفق . ولصورته الفنية دلالاتها وأبعادها لأنها تبشر بالثورة والانتقام لدم جعفر وأن

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٦٠ من قصيدة "أخي جعفر" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٦٠ من قصيدة "أخي جعفر" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجيل سيأخذ له حقه من المستعمر الغاشم :

أخـــي "جعفـــراً" لا أقـــولُ الخَيـــال ... وذو الثـــأرِ يَقْظـــانُ لا يَحلـــم
ولكـــن بمـــا ألهِـــمَ الصـــابرون ... وقـــد يقـــرأ الغيـــبَ مُســـتَلهِم
أرى افقـــاً بنجيـــع الدمـــاء ... تنَـــوّرَ واختفـــت الأنجُـــم
وحبـــلاً مـــن الأرض يُرقـــى بـــه ... كمـــا قـــذفَ الصـــاعدَ السُـــلَّم
إذا مـــدّ كفـــاً لـــه نـــاكث ... تصـــدّى ليقطعَهـــا مُـــبْرم
تكـــوّر مـــن جُثّـــثٍ حولـــه ... ضِخـــامٍ وأمجادُهـــا أضخـــم
وكفـــاً تُمـــدُّ وراء الحجـــاب ... فتَرسُـــمُ فـــي الأفـــق مـــا تَرسُـــم
وجيـــلاً يَـــروحُ وجيـــلاً يجـــئ ... ونـــاراً إزاءَهمـــا تُضـــرَم [1]

ويكرر الجواهري لفظة "الدم" ثلاث مرات مرة بصيغة الجمع ، ومرتين بصيغة المفرد، وتكراره لهذا المفرد يدل على أن الدم هو الوسيلة الحقيقية للخلاص من العبودية ، ولم يكتف بالتكرار بل جاء بالصفة "المطلول" ، لبيان أن الدم المراق سيبشر بثورة تعمّ البلاد ، والجواهري من خلال صورته الكلية يحرك الشباب من أجل الانتقام لدم جعفر الجواهري :

وأنّ الدمـــاءَ التـــي طلَّهـــا ... مُـــذلٌّ بشُـــرطتهُ مُعـــرم *
تَنَضّـــحُ مـــن صـــدرك المُســـتطاب ... نزيفـــاً إلـــى اللـــه يَســـتظلِم
ســـتبقى طويـــلاً تَجُـــرُّ الدمـــاء ... ولَـــنْ يُـــبردَ الـــدمَ إلاّ الـــدمَ
وأنّ الصـــدورَ التـــي فلَّهـــا ... وأبـــدعَ ـــ فـــي فلّهـــا مُجْـــرم
ونـــثَّر أضلاعهـــا نَـــثْرةَ ... شـــتاتاً كمـــا صُـــرّفَ الدرهـــم
ســـتَحضُنُها مـــن صُـــدور الشـــباب ... قُســـاةٌ علـــى الحـــقِ لا ترحـــم [2]

والدم الذي ينزف من جعفر سيكون دليلاً صادقاً على بسالة الرجال وخوضهم للمعارك في سبيل خلاص البلاد من الظلم ، وسيشارك الأبطال أهل العراق والشام ، لأن المشاعر الإنسانية تتوحد في الأحزان فكيف إذ كان المتوفى شهيد يناضل ويكافح من أجل استرداد حق الأمة من المستعمر البريطاني . فموتهم سيبعث الحياة من جديد لأن أبناء الوطن رافضون

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٦٢ من قصيدة "أخي جعفر" .

* المعرم : يريد من العارم أي الشديد المتجبر .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٦٣ من قصيدة "أخي جعفر" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للخنوع والانكسار ، والجواهري يلح من خلال صورته الفنية على صورة الشهيد ، لأنه رمز للنضال والكفاح ويكون الدم النازف منه باعثاً ، لمعاني المقاومة التي لا تقهر :

أخـــي "جعفـــراً" إنّ عِلـــمَ اليقيـــن ... أنبيـــــك إن كنـــــتَ تســـــتعلِم
صُرْعَـــتَ فحـــامتْ عليـــك القلـــوب ... وخـــفَّ لـــك المـــلأُ الأعظـــمَ
وسُـــدَّ الـــرُواقُ ، فـــلا مخـــرجٌ ... وضـــاقَ الطريـــقُ فـــلا مَخـــرم *
وأبلـــغَ عنـــك الجَنـــوبُ الشَّـــمال ... وعـــزَّى بـــك المُعـــرقِ * المشـــئم *
وشـــقَّ علـــى "الهـــاتف" الهـــاتفون ... وضـــجَّ مـــن الأســـطرْ المِرقَـــم *
تعلَّمـــت كيـــف تمـــوتُ الرِجـــال ... وكيـــف يُقـــامُ لهـــمْ مـــأتَمَ
وكيـــف تُجـــرُّ إليـــك الجمـــوعُ ... كمـــا انجـــرَّ للحَـــرمِ المُحـــرِم
ضحِكـــتُ وقَـــد هَمْهَـــمَ الســـائلون ... وشـــقَّ علـــى السَـــمع مـــا هَمهمـــوا *
يقولـــون مِـــت وعنـــد الأُســـا ... ةِ غـــيرَ الـــذي زَعَمـــوا مزعـــم
وأنـــت مُعـــافى كمـــا نرتجـــي ... وأنـــت عزيـــزٌ كمـــا تعلـــم
ضحكـــت وقلـــت هنيئـــاً لهـــم ... ومـــا لفّقـــوا عنـــك أر رجَّمـــوا
منهـــم يبتغـــون دمـــاً يشـــتفي ... بـــه الأرمـــدُ العيـــنِ والأجـــذم *
دمـــاً يكـــذب المخلصـــونَ الأبـــاة ... بـــه المـــارقينَ ومـــا قسَـــمَّوا
وهـــم يبتغـــون دمـــاً تلتقـــي ... عليـــه القلـــوب وتســـتلئم *
إلـــى أن صَدَقْـــتَ لهـــم ظنهـــم ... فيـــالك مـــن غـــارمٍ يغنـــم [1]

ويجعل الجواهري الدم مركزاً لصوره الفنية ، ونقطة تتداعى إليها صور القصيدة ، لأنه

---

* المخرم : طريق في الجبل يريد به أي طريق .
* المعرق والمشئم : يريد العراقي والشامي .
* المرقم : القلم .
* الهمهمة : الكلام الخفي .
* الأجذم : المجذوم المصاب بالجذم .
* تستلئم : يريد تتجمع .
(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٦٣ ، ٢٦٤ من قصيدة "أخي جعفر" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو الوسيلة الحقيقية للخلاص ، فعندما يهدر يبث في الشعب الثورة والنضال ، والدماء التي تنزف من الشهداء تعطر تربة الوطن ، لأنها نزفت في سبيل خلاصه من الاستعمار :

فمـــا كَـــدم الشـــهيد إذا تنـــادى كثـــيرٌ نـــاصروهُ اذا تَداعـــى *
ومـــا تَهَـــب الصنـــائع للبَرايـــا كمـــا يَهَـــبُ الشـــهيد لهـــا اصطناعـــا
انَفقِدُكـــم ! ولا نَرعـــى حفاظـــاً وتـــرى البيـــتَ فـــاقدةً صَواعـــا *
إذن ! فالثـــأر ننشـــدُه كِذابـــاً وصـــوتُ الحـــق نســـمعُه خِداعـــا
إذن ! فسَيُوســـعُ التـــاريخ رُجمـــاً كِلينـــا مـــن "أطَـــلَّ" ومَـــن أضاعـــا
ونحـــن إذن نســـومُ دمـــاً زكيّـــاً بعاجلـــةٍ شِـــراءً وابتياعـــا
فـــايُّ "زَكـــا*" يُصـــان إذن - ويُفنـــى وايُّ شـــذاة طهـــرٍ لـــن تُباعـــا (١)

نلحظ أن الجواهري من خلال بنية القصيدة الكلية يبث معاني الثورة والنضال والعزم والاصرار ، من أجل الخلاص من العبودية والاذلال . وكان يأتي بصوره متتابعة ومتناسقة من أجل خدمة فكرته الأساسية ، فمرة يتكلم الدم عن الفقير ، ومرة أخرى عن الشهيد ، ومرة ثالثة عن السجين ، ونجد أن الهدف من صوره الفنية ، هو رفض الظلم والمطالبة بالحقوق الوطنية من أجل الحصول على الاستقلال .

وينتمي الجواهري في شعره إلى الأحرار الثائرين ، لأنهم بسواعدهم سيخلصون البلاد من الفساد الذي يلح عليه الشاعر كثيرا في شعره ، فالهدف الرئيسي من صورته الفنية خلق الوعي لدى الشعب من أجل النهوض والثورة .

تعددت أساليب الشاعر وتنوعت من أجل خدمة فكرته الأساسية ، فنجده يوظف النداء والتشخيص والتكرار والخطاب والايقاع والحروف ، لزيادة تأثير الصورة الفنية في نفس المتلقي.

وفي النهاية يرسم لنا الجواهري عبر صورته الفنية صورة حقيقية عن الواقع ، بعيده عن الغش والتزييف ، وللناقد أن يقرأ قصائد الجواهري ، ليجد فيها قضاياه وهمومه السياسية والاجتماعية والفكرية ، بأسلوب مباشر بعيد عن التوغر والتعقيد في بعض صوره الفنية .

---

* تداعى : تنادى .

* الصواع : إناء يشرب فيه .

* الزكا : النماء أي المال .

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٩٤ من قصيدة "دم الشهيد" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرمز الجواهري بصورته الفنية "الدم واثباً" إلى النهوض والثورة والكفاح المسلح ، من أجل تخليص البلاد من الظلم والعبودية والإذلال الناتج عن المستعمر ، وما يسببه لأبناء الشعب من فقر واضطهاد وإدقاع ، ناهيك عن التشريد ، وسجن الأبرياء ، وإعدام المخلصين ، يسانده بإجرامه واستبداده أصحاب المناصب العالية ، والنفوذ القوي . فنجد شاعرنا ثائراً وناقماً عليهم، لأنه شاهد على فسادهم واستيلائهم على خيرات الوطن دون مراعاة لحقوق الشعب ، فنجد صوره تتوالد بطريقة منطقيه لتعبر عن رفض الشعب لهؤلاء المستعمرين والمستغلين لأبناء الوطن ، "والدم" هو وسيلتهم الحقيقية للمطالبة بحقوقهم المشروعة في العيش على تراب وطنهم بأمان واستقرار .

ويوظف الجواهري "اللون" توظيفاً رائعاً من خلال صورته الفنية ليرمز "باللون الأحمر" إلى القتال وسفك الدماء وإهدارها [١] في سبيل خلاص الوطن . ويرمز "باللون الأخضر" إلى العزم والإرادة والقوة . ويتحد اللونان من خلال البنية الكلية لصورته الفنية لتحقيق "النصر" للأمة . ولم يكتفِ الجواهري باللون ، بل جاء لنا بالصور المعنوية والمادية التي تساعد الأمة على الفوز ، وتحقيق النصر ومنها الاتصاف بالعزم ، والإرادة ، والقوة ، والإصرار على الأخذ بالثأر ، بالإضافة إلى الاعتداد بالأسلحة والرصاص وتتشابك الصور المعنوية مع الصورة المادية لتحقيق النصر للشعب .

ونجد صوره تتتابع بطريقة متناسقة ومؤثرة في وجدان المتلقي ، فنجد "صورة الشهيد" المناضل المكافح الثائر الناقم على المستعمر ، مبيناً دوره الفاعل في تحريك الشعب للنضال والكفاح ، لأن الشعب يتحسر ويتألم عند وفاة الشهداء ، وخاصة عندما يكون استشهادهم فداءً وتضحية للوطن ، "وصورة الشهيد" لم تغب عن ذهن الجواهري ، وهو ينظم قصائده ، ونجده يوظف "أسلوب القسم" من خلال صورته ليبين دوره الفعّال في أبناء الوطن في حثهم على الثورة والنضال والمطالبة بالحقوق الوطنية .

وتحمل صورته الفنية روحاً وطنية وثابة كانت من أقوى أسلحة المعارك تسري في الجماهير كالنار ، فتصير من أهم عوامل انتفاعات الجماهير وتحوّلاتها في الشارع مجابهة للطغيان والطغاة [٢] . ويدعو الجواهري إلى الوحدة والتضامن والتكاتف والتسلح بالعلم من أجل مواجهة العدو الغاصب للبلاد .

---

(١) ينظر محمد مراد مبارك : الدم وثنائية الدلالة في القصيدة العربية المعاصرة ٣٥٧ .

(٢) ينظر محمد دكروب : الطريق : العدد الرابع : ١٩٩٧ :٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد دأب الجواهري على رصد القضايا الهامة كقضية فلسطين مسجلاً أحداثها ومشيداً بكفاح أبنائها ، من أجل مواصلة الكفاح والنضال حتى يتحقق لهم النصر . وكتب قصائده السورية مصبوغة بالدم والحزن [١] . فالفرنسيون قتلوا أعداداً من أفراد الشعب ظلماً وبهتاناً، فالجواهري في شعره وطني لا إقليمي ، وقومي لا عراقي ، وهو شلال متدفق بالوحي والالهام[٢] .

ويتغنى الجواهري بأمجاد الأمم التي استطاعت أن تحقق استقلالها عن طريق الحروب الدائرة بينها وبين العدو ، واستبسال الجيوش في الدفاع عن حياض بلادهم ، ومنه الجيش السوفيتي وقدرته الهائلة في وقف الزحف الألماني إلى بلاده . فنجد صورته الفنية "الدم واثباً" تدعو إلى الحركة والنضال والكفاح المستمر ، حتى تتخلص البلاد من الاستعمار بشتى ألوانه وأشكاله .

وقد استخدم الجواهري أساليب متنوعة ومتعددة لخلق صورته الفنية "كالوصف" و "التكرار" ، "وأسلوب الخطاب" ، "والقسم" ، "والتضاد" ، والغاية من هذه الأساليب تفاعل القارئ مع "الحدث العام" ، من أجل استفزازه وتحريضه على الثورة والنضال ، والوقوف للعدو بالمرصاد .

ونوع الجواهري بالأبحر الشعرية فنجده يستخدم "الكامل" ، "والبسيط" ، "والمديد"، "والمتقارب" ، "والرجز" ، و "الوافر" ، وأحياناً يستخدمها مجزوءة وأحياناً أخرى تامة ليتناسب إيقاعها مع أبعاد التجربة ومنحنياتها المتباينة وفي ذلك ما يبرر كثرة الزحاف والعلة في شعره[٣].

ولم يكتف الجواهري بالقصيدة العمودية المعتمدة على الوزن والقافية ، بل جاء لنا "بالشعر الحر، "المعتمد على وحدة التفعيلة ، والغاية عند الجواهري هو تلوين صورته الفنية بأحاسيسه ومشاعره المتدفقة المعتمدة على "العاطفة" و "الخيال" [٤] في خلق صورته الشعرية . وفي النهاية جاءت صورته الفنية من الناحية الشكلية ، والمضمونية معبرة عن غايته الفنية ، وهي مواصلة الشعب للنضال والكفاح حتى يتحقق للأمة "النصر" و "الاستقلال" .

---

(١) ينظر حسن العلوي : الجواهري ديوان العصر : ٣١٠ .

(٢) ينظر عبد الكريم الدجيلي : الجواهري شاعر العربية ٤٩ .

(٣) ينظر جابر عصفور : مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ٤١٣ ، ٤١٤ .

(٤) ينظر أحمد مطلوب : النقد الأدبي الحديث في العراق ٣٧٥ ، وينظر جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ١٣ ، ٣٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحذر الجواهري أبناء الوطن من الذل والعبودية للمستعمر ، لأنه يسبب للشعب جرحاً ناغراً لا يعالج إلا بالثورة والنضال وإشعال النار ، لأن الأحرار يرفضون أن يستعبدوا من قبل الأعداء . ويذكرهم الجواهري بالأبطال الذين دافعوا عن العراق في "ثورة العشرين" بكل ما يملكون من قوة وإرادة وتصميم وعزم من أجل خلاصها من العدو البريطاني ، وكانت نتيجتهم الانتصار في معركة العوجة قرب نهر الفرات ، ومن شدة استبسالهم أصبح النهر ملوثاً بدماء الأعداء :

وثـــــورةٌ بـــــل جمـــــرة ... ليعـــــــــربٍ لا تخمـــــــــد
أجَّجهـــــــا إبـــــــاؤهم ... والحُـــــــر لا يســـــــتعبد
لا تنثنـــــي عـــــن بلـــــد ... حتـــــى يُشـــــبَّ البلـــــد
خفُّـــــوا إلـــــى الداعـــــي ... وفـــــي الحـــــرب جبـــــالاً ركـــــدا
واستبشـــــروا بعزمهـــــم ... فهلهلـــــوا وغـــــرَّدوا
وأقســـــموا إلـــــى العـــــدى ... أن لا يلينَ المِقْـــــوَد
يـــــأبى لكـــــم أن تُقهَـــــروا ... عزكـــــم والمحتِـــــد
إن كـــــان أعيـــــا مـــــورد ... غـــــيرَ الأذى لا تـــــردوا
أو كـــــان لا يجديكـــــم ... قربـــــى لهـــــم ابتعـــــدوا
كمـــــم جلـــــب الـــــذُلَّ علـــــى ... المـــــرء حســـــامٌ مغمـــــد
زيـــــدوا لقاحـــــاً حربكـــــم ... لعـــــلَّ عـــــزّاً تلـــــد
إيـــــاكُمُ والـــــذل إنّ ... جرحـــــه لا يُضمـــــد [1]

نجد الجواهري يكثر من "الأفعال المضارعة" ، والهدف منها استمرارية النضال في المستقبل ، وعدم اكتفاء الشعب بما حققه في الوقت الحالي ، بل عليه أن يستمر في نضاله حتى يتحقق للأمة الاستقلال التام .

ويستخدم الجواهري أسلوب الوعظ والمباشرة بالحديث ، عندما يقول "والحرّ لا يستعبد"، وهدفه مخاطبة كافة فئات الشعب ليكون لصورته الفنية تأثيرٌ في وجدان المتلقي. ويظهر على صورته الفنية الوضوح والتعبير المجرد القليل الصور [2] الذي يقصد به إمتاع العقل بألفاظ سهلة ورشيقة . ويعطيها الوزن الشعري إيقاعاً موسيقياً يزيد من تأثيرها على الوجدان .

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٩٣ من قصيدة "ثورة العراق" .

(٢) ينظر مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير الجواهري "بمفردة الدم" إلى الواقع العربي بصورتيه الحزينة والمشرقة ، وتغلب على صورته الفنية الحزن والألم ، لما يحل بالبلاد العربية وخاصة عندما يستولي المستعمر على خيرات البلاد ، ويسيطر على النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ، ويصبح الشعب مسيراً كالإقطاع إلى أي مكان يريده المستعمر ، يبين الجواهري السبب في هزيمة الشعب وخضوعه وانكساره بسبب عدم اعتداده بمقومات القوة ، ويشير إلى ذلك "بأسلوب استهزائي" "لأن السيوف تقر في الأغماد" ويريد الجواهري من الشعب التحرك من أجل مواجهة العدو، والوقوف له بالمرصاد ، ويشير إلى ذلك "بوقع السيوف ووثبة الأجساد" ، ولم يكتف الجواهري بصوره المتناقضة التي تعبر عن الواقع بصورته الحقيقية بل استعان "بالماضي" ليذكر الشعب بأمجاد الأمة وقدرتها على تحقيق النصر ، لتكون "العراق" عبرة وموعظة للشعوب في مقاومتها للمستعمر ، وغايته من صورته الفنية هو تحريض الشعب من أجل النهوض والثورة :

سل عن تشر شل كيفَ جاذبهُ الهوى ... حتى استثار كوامن الأحقاد
هيهاتَ من دون الذي أمَّلتَه ... وقعُ السُّيوفِ ووثبةُ الأجساد
ومواطنٌ حَدَبتْ* على استقلالها ... بالسيف تُرضعُه دمَ الأكباد
يكفيكم بالأمسِ ما جَرَّبتمُ ... فَدَعوا السيوف تَقَرُّ في الأغماد
أبني الشعوب المستضامة نهضةً ... ترضُي الجدود فلآت حينَ رُقاد
هذا تراثُ السالفينَ وديعةٌ ... لا تُخجِلوا الأجدادَ في الأحفاد (١)

ويبين الجواهري للشعب العراقي بأن ظلم المستعمر قد تجاوز حدّه وينذر بحدوث اشتباك قوي بين "المستعمر والشعب" ، ولم يصرّح بمفردة "الدم" ، بل عبر عن صورته بلفظ "الجرح" لأن الجواهري مجروحٌ في الصميم من جراء الأحداث السياسية ، وظلم المستعمر لأبناء الوطن . ونجد الجواهري يكرر حرف "الهاء" من أجل تنبيه الشعب لأحداث الوطن ، ليبث فيهم روح النهوض والمقاومة ، ويجعل الشاعر نهر دجلة يشاركه همومه وأحزانه على سبيل "الاستعارة التصريحية" ، فمن شدة ألمه يموج موجاً عارماً ، ويصبح السد لا يطيق موجه. ونستطيع أن نقول أن الجواهري قد وفق توفيقاً رائعاً "بالاستعارة التصريحية" لتشخيص حالته النفسية ومعاناته الذاتية إزاء أحداث الوطن ، وللناقد أن يتفحص صورته البلاغية ، وما ترخيه على الصورة الفنية من معاني "المقاومة والبقاء" .

---

* حدبت : ارتفع بعضها .

(١) ديوان الجواهري ١: ١٥٠ من قصيدة "تحية العيد أو الملك والانتداب"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــــرٌ تمـــــادى حَـــــدُّهُ ... ســـــيصُدني وأصـــــدُّهُ
أمـــــا العـــــراقُ فجرحُـــــهُ ... منـــــي وعنـــــدي ضَمْـــــده
ســـــيف يُســـــلُّ علـــــى بـــــلاد ... ي ليســـــت قلبـــــي غِمـــــده
مـــــاج الفـــــراتُ فلـــــم يُطِـــــق ... صـــــبراً عليـــــه ســـــدّه
مهتـــــاجُ عـــــزمٍ عكسُـــــهُ ... يُوهـــــي الجليـــــدَ وطـــــرده
أهـــذي حمـاســـةُ ثـائـــــر ... عَـــــزْمُ الآلة يَـمُـــــــدُّهُ[1]

ويرمز الجواهري من خلال صورته الفنية إلى "السجين" المعذب بالسياط ، والدم ينزف من قدميه لأنه يطالب بالحقوق الوطنية من المستعمر الغاشم ، ويرسم لنا عبر لوحاته الفنية معاناة الأسير والمظلوم داخل جدران السجن ، ويشاركه همومه وأحزانه ليبثها عبر قصائده من أجل تحريض الشعب على الثورة والنضال ، ونلحظ أن الجواهري مضطر إلى تكرار الكلمة الواحدة لفظاً ومعنى [2] مثل: "متلف" و "متلـف" وهذا التكرار يسمى "بالإيطاء" وهو جائز عند النقاد القدامى بعد سبعة أبيات من القصيدة:

تعـرّف إلـى العيـش الـذي أنـا مرهـق ... بـــه وإلـــى الحـــال التـــي أتكلّـــف
تجِـد صـورةً لا يشـتهي الحـرُّ مثلَهـا ... يســـوءُ وقـــوفٌ عندَهـــا وتَعـــرُّف
تجـد حَنِقـاً كـالأرقم الصـل * نافخـاً ... وذا لَبَـدٍ غضبـانَ فـي القيـد يرسـف
أنغَـصُّ فـي السزاد الـذي أنـا آكـلٌ ... وأشْـرَق بالمـاءِ الـذي أترشـف
كمـا قـذفَ المسـلولُ مـن لـب الحشـا ... دمـاً أسـتثيرُ الشـعر جمـر وأقـذف
وإنـي وإنْ مارسـتُ شـتّى كـوارثٍ ... إذا راحَ منهـا مُتلِـفٌ جـاءِ متلـف
فمـا حـزٌّ فـي نفسـي كغـدر غـادرٍ ... لـــه ظـــاهرٌ بالمغريـــات مُغلـــف
وفرحـةِ أقـوام شجـاهـم تفُوقـي ... بأنـي عنـهـم فـي الغنـى متخلّـف [3]

ويلوم الجواهري من خلال صورته الفنية أصحاب المناصب العالية والنفوذ القوي ، لأنهم قادرون على تخليص الشعب من الظلم الواقع عليهم ، ولكنهم يخافون على مصالحهم

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٢٨٥ من قصيدة "سيصدني واصده"

(٢) ينظر علي عباس علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النسج ٣٠٥.

* الصل : صوت ذا الرنين ، يرسف : يمشي رويدا .

(٣) المصدر السابق ١: ٥٢٣ من قصيدة "عناد" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذاتية . ويجد الجواهري نفسه مسؤولاً عن الشعب العراقي لأنه جزء منهم يبث أشعاره الثورية من أجل إيقاد النار وإشعالها :

أفنحـــن المزعزعـــونَ عـــن الـــتُرُ ... بـــةِ تُســـقي دماءنَـــا كـــلَّ قـــرَّن ؟
بضحايـــا تطيـــحُ فـــي كـــلِّ دربٍ ... وقبـــورٍ تصيـــح فـــي كـــلِّ رُكـــن
أفنحـــن المذعنـــون عـــن الربـــ ... ـــع ونحـــن الحُمـــاة فيـــه لظعـــن *
أفنحـــن الذيـــنَ يرتفـــعُ السـوـ ... ـــطُ عليهـــم بظـــن المُتظنـــي * ؟
ســوط مــن ؟ ســوطُ كــلّ علــج عليــف ... دُنُــسِ الأصــل والمنــابتِ عفــن [1]

ويشير الجواهري من خلال صورته الفنية إلى مقاومة أفراد الشعب للظلم ، وأنهم يعذبون بالسياط من قبل المستعمر ، ولا يستسلمون له لأنهم يؤمنون بحقهم في العيش على تراب وطنهم بأمان .

ويدعو الجواهري الشعب العراقي إلى تطهير البلاد من تدنيس أقدام المستعمر الأمريكي الذي يريد الاستيلاء على خيرات العراق دون حق له في ذلك ، وكان الجواهري من خلال شعره يصفهم "بالشر" ، و "النفاق" ، و "النجاسة" ، ولن يطهرهم من صفاتهم الخبيثة إلا "الدم" لأنه يخلص الأمة من الفساد الموجود فيها ، وقد استطاع الشعب العراقي أن يبث الرعب والخوف في نفس المبعوث الأمريكي "رونتري" الذي قام بجولة في منطقة الشرق الأوسط ، وقد وقف له الشعب العراقي بالمرصاد في المطار فما كان منه سوى الهروب من باب بغداد الخلفي، وبسيارة مقفلة فوجه الشاعر له تحية يبين من خلالها للشعب العراقي ما يتصفون به هؤلاء الأوغاد من شر وخبث ولؤم لأخذ أسباب الحيطة والحذر منهم ، فيقول :

يـــا رســـولَ الشـــرِّ والدنَـــسِ ... وغـــراب البيـــنِ فـــي الغَلَـــس *
يـــا نذيـــرَ الشـــؤم يَحمِلُـــهُ ... بيـــن جنبيـــه مـــع النَفَـــس
يـــا ابـــن قـــوم شـــيخُهم "دلـــس" ... وهـــو مشـــتقّ مـــن الدلـــس *

---

* المظعنون : المبعدون والمهجرون .

* المتظني : يريد به الشاك .

(١) ديوان الجواهري ٥: ٢٣٣ من قصيدة "يا أبا ناظم" .

* الغلس : الظلام .

* دلس : هو جون فوستر دالس وكان وزيراً لخارجية أمريكا آنذاك . والدلس : الغش والبهتان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـــل يـــوم تحـــت ماضِغـــه يتلـــوّى لحـــمُ مفـــترس
يـــا ابـــنَ احـــلافٍ قـــد ارتكســـت فـــي الدنايـــا شـــرَ مرتَكَـــس
يـــا ابـــن بنـــت اللـــؤم قـــد ســـرقَتْ فـــي الليـــالي لحيـــةَ القُسُـــس
يـــا كذوبـــاً لابســـاً ابـــداً وهـــو لـــصّ ... بدلـــةَ الحـــرس
يـــا ولوغـــاً فـــي دَمٍ لـــزجٍ يتحـــرّى عـــن دم يَبـــس
يـا ضـحوكـاً عن فـمٍ بشـعٍ ضـمَّ نـابَ الـفـاتـكِ الشـرس [1]

وتمتاز صورته الفنية بالقدرة الهائلة على "الوصف" ، فبين لنا أن المبعوث الأمريكي مبعث للشر والشؤم ويصفه بالسرقة والكذب وبسفك الدماء هدراً دون سبب ، فهذا المجرم يستحق القتل والإعدام لإرتكابه الجرائم في البلاد العربية ، ويكرر الجواهري "حرف النداء" من أجل تنبيه الشعب لصفاته الخبيثة ، هو ووزير خارجية أمريكا آنذاك .

ويطلب الجواهري من الأمة العربية الثورة والنضال ، حتى يتحقق لها الاستقلال ، ولا يكون ذلك إلا بالحروب واشعال النار ، ويظهر مطلب الشاعر في قصيدته "الثورة السورية"، حيث يخاطب أهل سوريا بأسلوب الأمر من أجل النهوض والثورة :

ثـــوري دمشـــقُ فإنَّمـــا نَيـــلُ الأمـــاني فـــي الطِّـــلاب
وخـــذي الوفـــاق فإنمـــا عُقبـــى الخـــلاف إلـــى تَبـــاب
إنْ تغضبَـــي لتليـــدِ مجـــ دٍ آذنـــوه باســـتلاب
ومنيـــع غـــابٍ طوّقـــو هُ بالبنـــادق والحِـــراب
ومعـــاطسَ شُـــمٌ أرا دوا عركهـــا بالإغتصـــاب
فلأنـــتِ رغـــم خلـــوِّ كفـ ك مـــن مُعَـــدّات الضـــراب
بالعاطفـــات الحانيـــا ت عليـــك وافـــرةُ النصـــاب
ولأنـــتِ أمنـــعُ بالنُّفـــو س المستميتـــةِ مِـــن عُـــقاب [2]

ويجعل الجواهري مقومات الثورة :الوحدة والتضامن والتكاتف ، بالإضافة إلى الإعتداد بالأسلحة والمعدات الحربية قبل البدء في مواجهة العدو ، وبذلك يتحقق للأمة النصر .

وسيبقى الشعب السوري صامداً ومقاوماً للمستعمر ، رافضاً للظلم والعبودية ومضحياً بدمه في سبيل تخليص بلاده من الاستعمار وتحقيق الاستقلال :

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ٣٢٣ من قصيدة "تحية إلى رونتري" .

(٢) المصدر السابق ١: ٣٢١ من قصيدة "في الثورة السورية" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــــا وَ "دِمَشْـــــقَ" صـــــامِدةً بذمَّـــــــــة ذِادَةٍ صَمَـــــــــدوا
كَـــــدَوح النَبـــــع شَـــــوْكَهُا تُخْـــــضُّ ولَيْـــــسَ تُخْتَضَـــــدْ
وَ "أصْيَـــــد" يَفْتَـــــدي دَمَهـــــا بِجيـــــدٍ كُلُّـــــهُ صَيَـــــدُ
يَـمـيـنـــاً إنَّـــك الأسَـــــــــدُ بِســـهِ عَـــن غـــابِـــهِ رَصَـــدُ [١]

ويلقي الجواهري قصائده الوطنية في المظاهرات التي انطلقت في دمشق احتجاجاً على ما فعله الفرنسيون بالطائرة التي كانت تقل بن بلة ورفاقه واجبارهم على الهبوط ، واقتيادهم إلى سجون فرنسا. فالجواهري من خلال صورته الفنية يبين للشعب غدر الفرنسيين بأبناء الشعب ، ويبث فيهم روح النهوض والثورة على المستعمر الغاشم ، لأن غايته احتلال البلاد ، ونلحظ عند الجواهري ظاهرة "الإيطاء" تكرار اللفظة بنفس المعنى "الكون والكون" ، والسبب في ذلك طول قصائده الشعرية :

عصـف الوعـي بهـا فـاندفعت وصحـا الكـون علـى كـونٍ وعـى
مـن مريـر الجـدِّ شـعَّتِ مـا حـلا ومـن الضُـرِّ اتـت مـا نفعـا
وبإشـلاء الضحايـا بـاركتْ دمنـاً طـابت بهـا مزدرعـا
زحـف الشـرقُ إلـى الغـرب بهـا وارتمـى الأدنـى علـى الأقصـى معـا
قـوة الحـق كـاراد الضحـى مـن تـرى يمنعهـا أن تسطعـا [٢]

ويستخدم الجواهري أسلوب الطباق بين "الضر" و "النفع" وله دور في احداث إيقاع حاد يتناسب مع صورته الفنية .

ويناشد الجواهري بأشعاره الوطنية الشعب الفلسطيني من أجل أخذ العبرة والعظة من الشعوب التي وقعت تحت نيران الاحتلال ، ويذكر أبناء الشعب "بالأندلس" ووقوعها تحت الاستعمار الاسباني ، بسبب تخاذل أبنائها وضعفهم في الدفاع عنها ، فالجواهري يريد أن يبث العزم والقوة والإراده في أبناء الشعب الفلسطيني ، من أجل تخليص بلادهم من الاستيطان الصهيوني :

ناشـدتُ جنـدَكَ جنـدَ الشـعبِ والحرسـا أن لا تَعـودَ فلسـطينٌ كأندلُسـا
ناشـدتُك اللـه أن تسـقي الدمـاءُ غـداً غَرْسـاً لجَـدِك فـي أرجائِهـا غُرسـا
تلمـس الجـذفَ * الزاكـي تجـدْ لهشـاً مـع الشَّـكاةِ وتسـمعْ للصـدى نفسـا
نـاشدتك اللـهَ والظلمـاءُ مطبقـةٌ علـى فلسطيـنَ أن تـهدي لـها قَبَسا [٣]

---

(١) الجواهري في العيون من أشعاره ٦٥٣ من قصيدة "سلاماً أيّها الأسد" .

(٢) ديوان الجواهري ٧: ٢٣١ ، ٢٣٢ من قصيدة "بكرت جلق" .

* الجذف : القبر .

(٣) المصدر السابق ٣: ٣١٥ من قصيدة "فلسطين والأندلس" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلحظ من خلال الأبيات أسلوب "الترجي" ، "والتمني" ، "والتضرع لله عز وجل" ، من أجل تخليص الشعب الفلسطيني من القيود الاستعمارية ، ونلحظ ظاهرة "الايطاء" بين "جند وجندك" "وغرساً وغرسا" .

وسيبقى الدم هو الوسيلة الحقيقية للشعب الفلسطيني من أجل تخليصه من الظلم والاضطهاد والعبودية للمستعمر ؛ لأنه ينذر بثورة عارمة تعمّ البلاد للمطالبة بحقوقهم الوطنية المشروعة :

فإنّ الحقّ يقطُر جانباه ... دَماً صنْو المُروءة والسماح
وتأريخُ الشُعوب إذا تبنى ... دمَ الأحرارِ لا يمحوهُ ماحي
فلسطينٌ سلامُ اللهِ يَسري ... على تلك المشارِفِ والبطاح
رأيتُك من خِلال الفجر يُلقى ... على خُضْر الرُبى أحلى وِشاح
أطلّ النسرُ مُنتصِباً عليهِ ... فهبّ الديكُ يُنْذِرُ بالصياح (١)

ويكرر الجواهري لفظة الدم ليبين دوره الفاعل في التحريض على الثورة والنضال ، ولم يكتف بهذه اللفظة بل أضاف إليها بأن "الديك" سينذر بالثورة والنضال وتتناسب صورته الفنية مع "صورة الفجر" ، الذي يبشر بالضياء وبطلوع الصباح ، وبذلك يتحقق للأمة النصر ، بسواعد أبنائها المخلصين .

ويبقى الجواهري يحرض الشعوب على الثورة والنضال ، ويأتي لهم بصورة "المستعمر الغاشم" ، وما يفعله في البلاد العربية من قتل ، وإعدام ، وسبي للنساء ، وذبح للأطفال ، والرضع ، وعن طريق هذه الصور يستدر العاطفة الإنسانية من أجل مشاركة الشعوب بهمومها وأحزانها ، ويأتي الجواهري "بصور من التاريخ" ، وما فعله المستعمر الفرنسي بالشعب الليبي من أجل أخذ العبرة والعظة ، ويبين الجواهري بأن "الدم" هو الوسيلة الحقيقية للخلاص :

فيمَ الحياة - تُرى إذا عَرَيْت ... من أخذ ثأرٍ عن دمٍ بدَمِ ؟
وإذا النفوس هوت إلى الرمم ؟ ... وإذا الأنوفُ خَلَتْ من الشَمم ؟
ولمَ الرجال - وفي الحريم غنى - ... فيما استُبيحَ لهم من الحُرُم
ما أقبح الأصنامَ ليس لها ... دَعَةُ الرضى والصمتِ في الصَنَمِ
يتفرَّجون على مقابحهم ! ... إذ يدَّعون محاسن الشّيم

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ١٣١ من قصيدة "ذكرى وعد بلفور" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في "ليبيا" حممٌ وعندهم ... ما شاءتِ الشهواتُ من حممِ
أفيذبحُ الطفلُ الرضيعُ بها ... وهمُ لمن ذبحوه كالخدم
اللهمَّ عفوكَ إنني برمٌ ... ولقد يُدَسُّ الظلمُ في البَرَمِ
فلئن تعابثتِ الجيوشُ بهم ... فلديهمُ جيشٌ من الكَلَمِ (١)

ونجد "أسلوب السخرية" في شعر الجواهري ، موظفاً أساليب الإنشاء من استفهام "وتعجب" و "استنكار" من أجل تفاعل الشعب مع الحدث العام ، وهو بيان غاية المستعمر في الاستيلاء على خيرات البلاد .

ويستنجد الجواهري بأبناء الوطن من أجل النهوض والثورة على أصحاب المناصب العالية ، والنفوذ القوي ، ويبين للشعب اتصافهم بالنفاق والرياء والعمل لمصالحهم الذاتية دون حساب لمصلحة الشعب ، فالجواهري يريد أن يخلق من خلال صورته الفنية "الفطنة" "واليقظة" لدى الشعب من أجل تنبيههم على فساد الحكام وأصحاب المناصب العالية ، فهم السبب الرئيسي في تدهور البلاد وتخلفها ومعاناة الشعب العربي :

يا خليليَّ والبلاءُ كثيرٌ ... في بلادي : ولا كهذي البليه
أزمَنَ الداء في العراق ولن يُشـ ... ـفيه إلا الجراح والعملية
أفتيٌّ عراقنا ؟ فلماذا ... خدعوه ؟ وذاك شأن الفتية
سَحَرَتْنا ظواهرُ الأمر حتى ... أوهمتنا أن البلاد قوية
نتغنى وعصرُنا من نُحاس ... بأغاني عصورنا الذهبية
نَخر الجهل أُمّتي نخرة السوس ... فأينَ المجامعُ العلمية
كلُّنا في الجمود والجهل وحشـ ... ـيون لكن حقوقنا مدنية (٢)

نستشف من خلال الأبيات "أسلوب السخرية" عندما يقول: "تتغنى وعصرنا من نحاس" فالشعوب تفتخر بأمجاد الغير ، وعصرها يسوده التخلف والجهل والجمود ، بسبب سيطرة الفاسدين عليه فعن طريق السخرية يريد الجواهري من الشعب النهوض والثورة وتحقيق المجد للأمة العربية.

ويبين الجواهري أن الجهاد والكفاح والنضال ، هي الوسائل الحقيقية لنيل الاستقلال وأن المناضل الحقيقي يعتد بالأسلحة والنيران ليزداد اصراراً وعزماً للمقاومة والبقاء ، وأن الدم الذي يسفك

---

(١) الجواهري في العيون من أشعاره ٦٨٤ من قصيدة "يا أمتي ... يا عصبة الأمم" .
(٢) ديوان الجواهري ١: ٣٨١ من قصيدة "شدة لندن" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المناضلين سيروي الأرض القاحلة لأنه يزرع المجد والعزة بدل من الذل والاحتقار والعبودية ، ونجد "الخيال" يتدخل في خلق صورته الفنية مستمداً عناصره من الواقع ، لأن الدم سيخلص البلاد من العبودية والاذلال ، ويهدي الجواهري قصيدته إلى المناضلين الأحرار من أبناء الوطن :

فلا تحسَبوا أنكم في الجهاد ... "هواةٌ" يضمُّهُمُ ملعب
ولا تحسَبوا أن "مُستثمِراً" ... ظلوماً لمصرعِه يطرب
ولا تَحسَبوا "الأرضَ" يهنا بها ... ذَووها ، وبالدم لا تُخضَب
ولا تحسبوا أنّهم يظمأون ... وطلوعَ أكفِّهمُ المشرب
فأنذِر بحنظلةٍ خائنا ... تعجِّله التَّمرُ الطيب
وبشِّرْ بحُلْو "الجنى" كادحاً ... على "الجذر" من شَجر يضرب
فلا تهنوا ، إنَّ هذه الأكفَّ ... تُملي على الدهر ما يثب [1]

نجد أن "للأرض" أهمية كبيرة لدى الشاعر ، لأنها منبع للخصب والعطاء ، ولابدّ للدفاع عنها وريها بالدماء من أجل مقاومة المستعمر حتى يمتنع عن الاقتراب منها ، وجاء الجواهري بأسلوب التكرار "فلا تحسبوا" من أجل تنبيه الشعب لغاية المستعمر وهو الاستيلاء على خيرات البلاد.

والجواهري ثائر وناقم على المعاهدات التي يفرضها المستعمر البريطاني على البلاد من أجل الاستيلاء على خيراتها ، وجعل أبنائها يعيشون عيشة فقر وحاجة ، ويبين الجواهري بأن الدم الفاعل هو الوسيلة الحقيقية للخلاص ، وسيبقى شيمة الأبطال المناضلين عن تراب الوطن :

يا شباباً صبَغوا الأرضَ دماً ... كان في "وجنةِ" سفر المجدِ خالا
منَحَ الباغي هوانا وصغى ... وحبَا الأمة زَهوا واختيالا
أكثِروا من دَمكمْ تستكثِروا ... من فم التاريخ مجداً وابتهالا
فهو ظمآنُ إلى أمثالِهِ ... لا دماءٌ خَثَرَت فهي كُسالى
واكتُبوها صفحةً إن ذُكِرت ... كنتُمُ الأمثال فيها والمِثالا
ليلةً ألقَتْ إليكم ثِقْلَها ... وليال سَوف تأتيك "حبَالى"
واختِموا عهدَ "زعامات" عقَتْ ... كاذباتٍ لفقوهُنَّ انتحالا
من حُطام لُمَّ مِن كلِّ خنا ... وادعاءٍ صارخٍ قيلاً وقالا
ومُدّ لين بأن قد قرنوا ! ... بالخنا جاهاً وبـ "الحظوةِ" مالا [2]

---

(١) ديوان الجواهري لسابق ٣: ١٧٠ من قصيدة "إلى المناضلين" .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٥٢ من قصيدة "قف بأجداث الضحايا" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرمز الجواهري بالدم إلى صورتين للشعب صورة المناضل والمكافح في سبيل تخليص الأمة من الإذلال والعبودية ، والصورة الثانية صورة أصحاب المناصب العالية والنفوذ القوي ، وعدم اهتمامهم بما يجري على تراب وطنهم من أحداث سياسية ، غايتها الاستيلاء على الأراضي العربية .

ويبقى الجواهري يسلط الضوء بأشعاره الثورية على فساد الحكام ، وأنهم السبب الرئيسي في تدهور البلاد وتخلفها ، ويبين الجواهري للشعب أن الموت بعزة أفضل بكثير من العيش بذل وخنوع لأصحاب المناصب العالية :

يـــا حـــاملاً شـــارة الرّزايـــا ... يـــا ســـاعَي المـــوتِ يـــا بريـــد !
يـــا نـــاغِرَ الجـــرحِ لا يُـــداوي ... إلا بـــأن يُقطـــعَ الوريـــد
برغـــم أنـــف الصَّبـــا وأنفـــي ... يَخضِـبُ فـــودي * منـــكَ الصديـــد *
وأنّ رأســـي يمشـــى عليـــهِ ... تيهـــا عـــدُوٌّ لـــهُ لَـــدود !
كـــم ليلـــةٍ خـــوفَ أن تُواتـــي ... أتـــرعَ كـــأسٌ ورنّ عَـــوُد
وكـــم وكـــم ، والشـــبَّابُ يَـــدري ... رُوِّعَ ظبـــيٌ فَنُـــصٌّ جيـــد (١)

ويوظف الجواهري "أساليب النداء" ، "والاستفهام" من أجل زيادة تأثير صورته الفنية على وجدان المتلقي .

ويبث الجواهري من خلال صورته الفنية معاني الرفض والمقاومة والنضال والكفاح وعدم الخضوع للمستعمر ، وأن كلفهم إهدار دمائهم في سبيل خلاصهم من العبودية والإذلال، وسيبقى الشعب صامداً ومقاوماً للمستعمر :

برئـــتُ مـــن الزحـــوف مجعجعـــات ... تُخلِّـــف ســـكتةَ المـــوت الرهيـــب
مبـــاحٌ عندهـــن دمـــي لذئـــبٍ ... ولا أســـدٌ يبيـــحِ دمـــاً لذيـــب
فليـــت فـــداء شـــهمٍ مســـتميتٍ ... زرافـــات تنشَّـــرُ بالطيـــوبِ (٢)

والدم الذي يسيل من الشرفاء المخلصين للوطن ، سيبشر بولادة جديدة يتحقق من خلالها

---

* الفود : جانب رأس الرجل مما يلي الأذنين . الصديد : الإفراز الذي يخرج من الجرح الملتهب .

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٢٥ من قصيدة "عُدنا وقوداً" .

(٢) الجواهري في العيون من أشعاره ٦٨١ من قصيدة "برئت من الزحوف" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمن والاستقرار للأمة العربية :

وإذا شِـــئْتُم صَبَغْناهـــــا دمـــــاً صبغـــةً تُـــوْذِنُ بالحـــال انتقـــالا [١]

ويبقى الجواهري يطالب أبناء الوطن بسفك دمائهم وإهدارها في سبيل خلاص الأمة من الاستعمار ، والجواهري يريد من الأمة العربية أن تسرف في سفك دمائها وإهدارها ، لأننا نستدل من خلال الدم الغزير أن الوطن غال على أبنائه ، يضحون بدمائهم في سبيل حمايته من العدو الغاشم:

فليـــس للعربـــي اليـــومَ مـــن وطـــنٍ ما ظل فادون عن أوطانهم طُردوا
هـاتوا بهـا عـلّ فـي فَـدْيِ مشـاركةً لا يُفتـدى غُيَّـبٌ عنـه بمـن شَـهدوا
وعـلّ فيـضَ الـدم الخـلاقِ مكتسـحاً يلـفّ مـن رغبِـوا فيـه بمـن زهـدوا
ذُمّ التَسـرُّفُ إلا فـي دمِ سـربٍ يحمي الحمي ، مُستَذَمٌّ فيه مقتصد * [٢]

ويبقى الجواهري رافضاً للظلم والعبودية والاضطهاد الناتج عن المستعمرين وأصحاب المناصب العالية ، ويبث الجواهري من خلال صورته الفنية معاني "البقاء والمقاومة" التي لا تقهر ، رغم تعذيب الأوغاد لأبناء الوطن ، وجلدهم بالسياط ، ويظهر من خلال الأبيات معاناة الشاعر الحقيقية إزاء أحداث الوطن ، فهو متألم ومتحسر على الوضع القائم :

يـــا نديمـــي ولا يُخِفْـــكِ نديـــمٌ أثْقَلَتْـــه ســـودُ الليـــالي فخفّـــا
حُـرِمَ العيـشَ ممتعـاً ... فهـو يُلفـي مُتعـةً منـه نعمـةً حيـث تُلفـي
يخطّـفُ النبـع بيـن ثغْريـكِ يخشـى وعـدَ صـدقٍ مـن نبعـه أن يجفـا
وعـد صـدقٍ وكـل وعـدٍ صـدوقٍ غـيره ... طالمـا تحيّـن خُلْفـا
فـي دمـي ثـورةٌ علـى المـوت تَكْفـي أن تعفّـي عليـه لـو كـان يكفـى [٣]

ويظهر عند الشاعر "ظاهرة التصريع" بين قافية الشطر الأول "تكفي" وقافية الشطر

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٥٣ من قصيدة "قف بأجداث الضحايا" .

* مستذم فيه مقتصد : أي أن الاقتصاد بالدم السرب الذي يحمي الحمى مذموم .

(٢) المصدر السابق ٥: ٣٦٧ : ٣٦٨ من قصيدة يا "بن الفراتين" .

(٣) ديوان الجواهري ٦: ١٣١ من قصيدة "يومان على "قارنا" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني "يكفي" ، ولها دور في زيادة حد الايقاع داخل الأبيات .

واستطاعت صورته الفنية "الدم واثباً" أن تعبر عن صورتين سلبيتين هما "صورة المستعمر" واستبداده وظلمه لأبناء الوطن . وصورة أصحاب المناصب العالية ومساندتهم لهؤلاء الأوغاد ، خوفاً على مصالحهم الذاتية دون مبالاة بمصلحة الشعب . ومن هنا تعيش الأمة بحقد وغيظ ، وكراهية لهؤلاء المستبدين ، وينتج عن السكوت الآني "ثورة عارمة" يطالب الشعب فيها بحقوقهم الوطنية ، وأن كلفهم ذلك نزف الدماء وإهدارها في سبيل خلاص الوطن . ويشعر شاعرنا بأن "الدم" هو الطريق الوحيد لتخليص البلاد من الفاسدين والأوغاد .

ونجد أن الدم المسفوح ، هو "دم الجياع والفقراء" الذين لا يجدون قوتهم اليومي ، بينما يعيش الأغنياء بترف ولهو ، وبالرغم من سفكهم لدماء الفقراء إلا أن الدم سيكون رمزاً للخلاص والتطهير والتمرد على هؤلاء الأغنياء :

مـن شـبابِ العـراق تعلـو الكآبـا ... تُ وُجوهـاً تَفيـضُ طُهـراً وحُسْـنا
لـو تراهـا عجبـتَ أن لا يُهـزّ الـ ... ـشـرخُ * قلبـاً أو يُضحِـكَ الزهـوُ سِـنا
أعلى هذه النُفوس - من اليأس استماتت ... - مسـتقبلُ الشـعب يُبنـى
يَتَغَـذَّى دمَ القلـوب شـباباً ... لا يُريـدُ الحيـاة ذُلاً ووهنـا
خُدْعـةُ هـذه المظـاهرُ مـا فـي الـ ... ـقـوم فـردٌ يعيـشُ عيشـاً مُهَنّـا
الثيـاب الفَرْهـاء رفَّـت عليهـم ... كضمـادٍ غطَّـى جِراحـاً وطَعْنـا
والأحـاديثُ كلُّهـا تشـتكي "البـؤ ... س وفصـلُ الخطـابَ أنَّـا "يَئِسْـنا" (١)

نجد أن الجواهري يمتاز بقدرة هائلة على "التصوير" المستمدة عناصره من الطبقة الفقيرة ، فنجد الكآبة واليأس والمشقة والعناء ترتسم على وجوه الفقراء ، وتمتاز أجسادهم بالنحول المغطى بالثياب الواسعة ، ليعبر من خلاله على فقرهم وحاجتهم لأموال الأغنياء .

ويبين الجواهري النظام السائد في المجتمع العراقي وهو "النظام الاقطاعي" الذي يسيطر فيه رؤساء العشائر على غلة الأرض ، تاركين الفلاحين في فقر وحاجة وضنك ويعذبونهم بالسياط والجراح تنزف منهم ، دون وجود أشخاص يدافعون عنهم ، فأصحاب رؤوس الأموال ينهبون خيرات البلاد ، ولا يتركون لأهل العراق إلا القليل الذي لا يسمن من جوع ولا يغني عن الزاد ، فالشاعر يريد من الشعب العراقي أن يحشد قواته من أسلحة ومعدات حربية من أجل

---

* الشرخ : الأول : شرخ الشباب أوله .

(١) ديوان الجواهري ١: ٤٥١ من قصيدة "صفحة من الحياة الشعبية أو بيت يتهدم"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخليص البلاد من الإقطاع والعبودية والخنوع للمستعمر :

أتـــت زمـــراً فهـــدّدت البـــلادا ... خطـــوبٌ هـــزّت الحجـــر الجمـــادا
فيـــا وطنـــاً تنـــاهبتِ الرزايـــا ... حُشاشـــتَه وأقلقـــت المهـــادا
برغمـــــي أنّ داءك لا أقيـــــه ... وجرحَـــك لا أطيـــق لَـــه ضمـــادا
وأنْ يـــردوا ميـــاهَكَ صافيـــاتٍ ... مرقرقـــةً وأن أردَ الثمـــادا
وأن تصفـــو مواردُهـــم فتحلـــوا ... لهـــم وبنـــوكَ لا يجـــدونَ زادا
تدفـــق مـــاءَ دجلـــة فاخترقهَـــا ... ســـهولاً طبـــنَ مرعـــىً أو وهـــادا
وجلّلهـــا عميـــمَ النبـــت واخلـــعْ ... عليهـــا الحُسْـــنَ وافرُشْـــه وســـادا
وقُـــلْ لـــلزارع المســـكين يـــزرع ... ويتركـــه إذا بلـــغ الحصـــادا
أراد الســـوطُ أن نشـــقى ليهنـــوا ... ومـــاضٍ حكـــم "ســـوطٍ" إن أرادا
وســـيّدُ نفســـه شـــعبٌ ولكـــن ... قضـــى الفـــردُ المســـلّط أن يُســـادا
ألاســـاعٍ ولـــو بخيـــال طيـــفٍ ... يبشـــر أنّ عصـــرَ الظلـــمِ بـــادا [1]

ويؤمن الجواهري بأن الدم هو الوسيلة الحقيقية لتخليص البلاد من ظلم رؤساء العشائر، ولا يكون الخلاص إلا بالمواجهة والمقارعة وسفك الدماء وإهدارها :

مســـتعمر يتخونـــو ... نَ ومثلـــه يســـتعمرون
خُشُـــبٌ مســـنّدةٌ علـــى ... خُشُـــبٌ بهـــا يتســـمّرون
يرقَـــون مـــن جُثـــث الشـــبا ... ب مقـــاعداً يتصـــدّرون
ويَـــرَوْن خمـــر دمـــائهم ... سُـــرُجاً بهـــا يتنـــوّرون
ويؤمّـــرونَ علـــى الجيـــا ... ع ومنهـــم مـــا يكـــنزون
أفتعذلـــون المؤمنيـــ ... ـــن بشـــعبهم إذ يكذِبـــون [2] ؟

ونجد "التقسيم الداخلي" من حيث التفعيلات ، ودوره في زيادة حدة الإيقاع ، مما جعل لصورته الفنية تأثيراً كبيراً في الوجدان .

ويشارك الجواهري في الاحتفالات الاجتماعية ، ويبت من خلال أشعاره قضايا

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٣٩٣ ، ٣٩٤ من قصيدة "الوطن والشباب" .

(٢) المصدر السابق ٧: ٢٥٠ ، ٢٥١ من قصيدة "كفرت" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجتمع، وما يتعرض إليه العامل من اضطهاد وظلم من قبل أصحاب رؤوس الأموال ، ونجده يحث العمال على المطالبة بحقوقهم المشروعة ، وإن كلفهم ذلك إهدار دمائهم وسفكها في سبيل خلاصهم من العبودية والإذلال :

حيَّيتُ "أيّاراً" بعطر شذاتي * وخَصَصتُه بالمحض من نَفَحاتي
وسقيتُه نبع القصيدِ مضرّجاً كدماء أحرار به عَطِرات
وشددتُ أوتاري وقلتُ أظنها ستَشُدُّ أيّاراً على نغماتي
حيَّيت شهراً فكرُه من فكرتي فيما يخطُّ ، وذاتُه من ذاتي
حيَّيتُه وكأنّني بهباته أزجي * التّحايا الغرّ لا بهباتي [1]

ويأتي الجواهري "بصورة الشهيد" ، ليعبر عن نضاله وكفاحه واهدار دمه في سبيل تخليص البلاد من الظلم والعبودية للمستعمر "فالشهداء" ، يفضلون الموت بعزة خير من العيش بذل وهوان . ومن هنا تكررت "صورة الشهيد" في شعر الجواهري ، لتبث العزم والقوة في أبناء الوطن من أجل مواصلة الجهاد والكفاح ، وكان جعفر الجواهري في مقدمة الشهداء الذين استشهدوا في معركة الجسر الباسلة ، ثورة على معاهدة "بورتسموث" ، وقد وفق الجواهري توفيقاً كبيراً في تصوير جراح الشهيد ، حتى وأنت تقرأ الأبيات تحس أنك تشارك الجواهري في معاناته الذاتية ، وتتفاعل مع "الحدث العام" بطريقة عفوية ، ويشبه الجواهري "الجرح بالفم" على سبيل "الاستعارة المكنية" ، وهو تشبيه صادق مستمد عناصره من الطبيعة ، كما شاهده شاعرنا وأخوه ينزف ، وكان الجرح ينادي الشعب للأخذ بالثأر له ، وبذلك تتولد الصور عند شاعرنا لتقترب من الصور الحسية ، من أجل زيادة تأثيرها على وجدان المتلقي ، وأخذ يكرر حروف "الدم" بطريقة عفوية ، لأنه شاهد على الدماء النازفة من الشهداء ، وصورتها مستقرة في ذهنه لا يستطيع الافلات منها فجاءت قصيدته مفعمة بالدم والضحايا والقتلى :

أتَعلَمُ أنّ جِراحَ الشهيد تَظَلُّ عنِ الثأر تستفهِم
أتعلمُ أن جِراحَ الشهيد من الجُوع تَهضِمُ ما تَلهم
تَمُصُّ دماً ثُم تبغي دماً وتَبقى تُلِحُ وتستَطعِم

---

* الشذاة : وكأنها مأخوذة من "الشذ" الرائحة الطيبة .

* أزجاه : ساقه .

(١) ديوان الجواهري ٤: ٣٤٥ من قصيدة "عيد أول أيار" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقُـــل للمُقيـــمِ علـــى ذُلّـــةٍ هجينـــاً يُســـخرَّ أو يُلجَـــمِ
تَفَحَّـــم ، لعِنْـــتَ أزيـــزَ الرَّصـــاص وجـــرب مـــن الحـــظّ مـــا يُقسَـــم
وخُضْهـــا كمـــا خاضهـــا الأســـبقون وثـــن بمـــا افتتـــح الأقـــدم
فإمّـــا إلـــى حيـــثُ تبـــدو الحيـــاة لِعينيـــكَ مَكْرمـــةٌ تَغْنَـــم
وإمّـــا إلـــى جَـــدثٍ لـــم يكُـــن ليفضُلَـــه بيتُـــك المُظلِـــم [١]

وستبقى الدماء النازفة من الشهداء هي الطريق الحقيقي للثورة والنضال ، لأنها تذكر الأمة "بالأبطال" الذين استشهدوا في سبيل خلاصها من الاستعمار ، وشعر الجواهري نابع من معاناة الأمة وتجاربها ، وهي خاضعة للاستعمار ، فالجواهري من خلال صورته الفنية يريد أن يبث روح النهوض والثورة :

الشـــعر - يـــا يـــومَ الشـــهيد - تجـــاربٌ وبلاؤُهـــا لالؤلـــؤُ ونظـــام
كَذبـــاً يخيِّـــل أن بارقـــة المنـــى تنجـــابُ منهـــا وحشـــةٌ وظـــلام
أو أنّ بـــالنّزر اليســـير مـــن الدمـــا ســـيُبَل مَـــن عطـــش الطُغـــاة أوام *
أو أنّ متعوبـــاً ستســـعى نحـــوه عمـــا قريـــبٍ راحـــةٌ وجِمـــام
حُســـبانُ ذلـــك للشـــهيد خِيانـــةٌ ولمـــا تَفَجّـــرَ مـــن دمٍ إجـــرام
ولتلـــك مدعـــاة ســـينصر عُندهـــا عـــارُ النكـــوص ويُخـــذَلُ الإقـــدام
ولـــذاك إيهـــام يضلّـــلُ أمـــةً وســـلاحُ كـــل مضلّـــلٍ إيهـــام
عَظُمـــت محاولـــةٌ وجَـــلّ مـــرامُ أفباليســـير مـــن العنـــاء تُـــرام [٢]

ويبث الجواهري من خلال صورة "الشهيد" معاني البقاء والمقاومة ، ويبين أن الدم الذي يهدر من الشهداء يحقق للأمة المجد والعزة وعلى الشعب العراقي أن يتسلح بالأسلحة والمعدات الحربية من أجل مقاومة المستعمرين :

ســـيُجازُ شَـــهْرَ بالعَنـــاء وآخَـــرٌ ويُخـــاضُ عـــامٌ بالدمـــاء وعَـــام

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٥٩ ، ٢٦٠ من قصيدة "أخي جعفر" .

* الأوام : شدة العطش .

(٢) المصدر السابق ٣: ٢٧٠ من قصيدة "يوم الشهيد" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ستطيرُ في أفق الكفاح سواعدٌ وتطيحُ في سُوح الكرامة هام
ستثور من رَهَج * اللُهاث عجاجةٌ ويَهُبّ مَن وَهَجِ الشكاةَ قَتَام *
سيُعالَجُ البغي بنضَح من دَمٍ حتى تُسَكّن شَهوةٌ وغرام *
لا بُدّ من نارٍ يروح وَقودُها منّا ومنه غارِب * وسَنام (١)

ونلحظ أن الجواهري يكرر حرف "السين" ، ليدل من خلال السياق على استمرارية النضال والكفاح في سبيل خلاص الوطن .

ويبين الجواهري بأن "الدم" سيسجل للأمة المجد والكرامة والعزة ، لأنه سيكون شيمة الأبطال المخلصين الذين يدافعون عن بلادهم ، ويرفضون اخضاعها للمستعمر :

حَمَلوا الرصاصَ على الصدور وأوغلوا فعلى الصدور من الدماء وِسام (٢)

وينهى الجواهري صورته الفنية بأن الدم هو منبع الخصب والعطاء ، ولا انفصال بينه وبين الحياة ، فعندما تسيل الدماء من الشهداء تستثير أبناء الوطن للنهوض والثورة والتقدم وبذلك يتحقق للأمة المجد والكرامة :

فالثُكْلُ والعَيْشُ السَويُّ سَوِيةٌ ودَمُ الضحايا والحياةُ تُوأم (٣)

ونخلص في النهاية أن "يوم الشهيد" عند الجواهري يعني : الكفاح المسلح الذي يرتكز على أسس معنوية ومادية كالاعتداد بالعزم والقوة والإرادة ، بالإضافة إلى حمل السلاح والرصاص ، واشعال النار ، وبذلك يتحقق للأمة المجد والعزة .

وكان الجواهري ينظر للدماء وهي تنزف من ضحايا معركة الجسر الباسلة ، وكان عليه أن يتجرد من العاطفة ، وينظر إلى الأمور نظرة واقعية ، ليسجل لنا من خلال صورته

---

* الرهج : الغبار . والقتام الغبار أيضاً .
* العرام : القسوة والشدة .
* الغارب : ما بين السنام إلى العنق أو الكاهل .
(١) ديوان الجواهري ٣: ٢٧١ من قصيدة "يوم الشهيد" .
(٢) المصدر السابق ٣: ٢٧٥ من قصيدة "يوم الشهيد" .
(٣) ديوان الجواهري ٣: ٢٨٢ من قصيدة "يوم الشهيد" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفنية معاناة السجين ، والمشرد ، والمعذبين في الأرض من الفقراء والمحتاجين ، ويبين دور أصحاب المناصب العالية في تدهور البلاد من جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية ، وإن الدماء النازفة من الشهداء هم السبب الرئيسي في نزيفها واهدارها ، لأنهم يسعون للخراب والدمار لا الاصلاح والنهوض بالبلاد ، وكان الطبيب "هاشم الوتري" شاهداً على الفساد القائم لأنه المعالج للمرضى والقتلى والجرحى ، الذين أصيبوا في معركة الجسر الباسلة :

أوقفْتَ للصَّرعى نهاراً دائباً ... وسهرْتَ ليلاً نابغيا ناصبا
وحضَنْتَ هاتيك الأسرَّة فوقَها ... أسْدٌ مُضَرَّجَةٌ تلوبُ لواغِبا
أرَجٌ من الذكرى يلفّك عِطرُهُ ... ويَزيدُ جانبكَ المُوطد جَانبا
ولأنتَ صُنْتَ الدارَ يومَ أباحها ... باغٍ يُنازلُ في الكريهةِ طالبا
الغَيُّ يُنْجِدُ بالرَصاصِ مُزَمْجِراً ... والرُّشْدُ يُنجِدُ بالحجارةِ حاصبا
وَلأنتَ أثْخَنْتَ الفؤادَ منَ الأسى ... للمُثْخنينَ مِن الجراحِ تعاقبا
غادى الحيا تلك القبورَ وإن غدت ... بالنَّاضحات مِن الدَماءِ عَواشبا
وتعهَّد الكَفَنَ الخضيبَ بمثلهِ ... وطنٌ سَيبْعَثُ كلَّ يومٍ خاضبا [١]

ونلحظ من خلال شعره وجود أخطاء في قوافيه ويسميه العروضيون بـ "سناد الأشباع"، وهو اختلاف حركة الدخيل في القوافي المؤسسة [٢] ، فالشاعر قد حرك "الدخيل" ثلاث حركات مختلفة هي الضم والفتح والكسر ، فالعروضيون يجيزون اجتماع الحركات المتباعدة في الثقل كاجتماع الفتحة في احداهما [٣] .

ويشارك الجواهري في المعارك الوطنية ، وكان شعره من أقوى الأسلحة في تلك المعارك، لأنه يشعل في نفس الشعب النار والثورة من أجل مواجهة الأعداء ، ونجده ينظم قصيدته "خلفت غاشية الخنوع" ، ليشارك بها في الحفل الذي أقيم في دمشق لتأبين عدنان المالكي ، ونجده في قصيدته يعارض حلف بغداد وممارسة العراق دوره كقاعدة عسكرية فكان الجواهري من خلال صورته الفنية رافضاً للاستيطان الفرنسي في سوريا ، ويقدم شهادة أمام العالم يسمعها أهل العراق ومصر وسوريا بأن سلطة بغداد هي المتآمرة ، وأن عدنانَ المالكي ضحية حلف بغداد ، والدماء النازفة من الشهداء كانت نتيجة

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ٣٩٦ ، ٣٩٧ من قصيدة "هاشم الوتري" .

(٢) ينظر علي عباس علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج ٣٠٦.

(٣) هذا المفهوم شائع في كتبْ العروض والقوافي . انظر مثلاً : المختصر الشافي على متن الكافي للشيخ الدمنهوري ، ٤٢ نقلاً عن علي عباس علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق ٣٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذا الحلف ، وينتهي بصورته الفنية إلى الثورة والنضال من أجل تحرير البلاد :

خلَّفتُ غاشيةَ الخنوعِ ورائي ... وأتيتُ أقبسُ جمرةَ الشهداء
خلَّفتها وأتيت يعتصرُ الأسى ... قلبي وينتصبُ الكفاحُ إزائي
هذا أنا عَظْمُ الضحيَّةِ ريشتي ... أبداً ولفحُ دمائها أضوائي (١)

نستشف أن الدم هو وسيلة الشعب الحقيقي للخلاص ، ويظهر من خلال قصيدته أسلوبه الحاد الذي يتناسب مع بيئته النجفية ، وجاءت مفردات القصيدة بطريقة جزلة مضيفاً لهذه المفردات لفظة الدم ، وما تبعثه في النفس البشرية من قوة وعزم وإرادة من أجل المطالبة بالحق، وتحقيق النصر لأبناء الوطن . ويلح الجواهري من خلال صورته الفنية على الدماء التي أهدرت من الشهداء لتكون حيةً في نفس الشعب يتناقلها الأجيال من أجل الأخذ بالثأر للشهيد "عدنان المالكي" ، ونلحظ أن "الخيال" "والمبالغة" يتداخلان في خلق صورته الفنية من أجل زيادة تأثيرها على وجدان المتلقي ، فنجد الأفق مفعمة بالدماء ، وسيبعث الدم الأحمر الحياة في الأرض القاحلة ، ويجعلها أرضاً حمراء ، بسبب الدماء المهدوره من الشرفاء الأحرار من أمثال "جعفر الجواهري" ويشير الجواهري إليه من أجل زيادة تأثير الصورة على وجدان المتلقي .

عدنانُ إنّ دماً وهبتَ رسالةً ... أنا من صميم دعاتها الأمناء
آمنتُ بالحمر * النوافحِ في الثَّرى ... يبساً ، أريجَ الواحة الخضراء
المهديات العمُي أيَّة رؤية ... والمسمعاتِ الصمَّ أيَّ دعاء
والمنزلات على المدى سُورَ الهدى ... ورسالةَ الآباء للأبناء
والجاعلاتِ "الجيل" جسر رديفه ... وبنيهِ للاتينَ رمزَ فداء
آمنت لا وحي العقيدةِ وحدها ... لكن بما أسلفتُ من خُلَصائي
آمنتُ إيمانَ الحجيج بقصدهِ ... فهناك لي جَدَثٌ على البطحاء *
آمنتُ إيمان النهار بشمسه ... فلقد غُمرتُ بنورها الوضاء
آمنت إيمان الدماءِ بنفسها ... فأنا الصبيغُ بها صباحَ مساء (٢)

ونلحظ أن الجواهري يكرر لفظة "الدم" ، والهدف من التكرار هو بيان دوره الفاعل في تخليص

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ٢١٧ من قصيدة "خلفت غاشية الخنوع" .

* يريد بـ "الحمر" الدماء .

* اشارة إلى قبر أخيه الشهيد "جعفر الجواهري" في النجف .

(٢) المصدر السابق ٤: ٢١٨ ، ٢١٩ من قصيدة "خلفت غاشية الخنوع" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاد من العبودية للمستعمر . ونجده يكرر لفظة "آمنت" وهذه اللفظة تعبر عن معاناته الذاتية ، بسبب استشهاد العديد من أبناء الوطن ، وينتهي بصورته الفنية بأن "الدم" سيأخذ بالثأر لهؤلاء الشهداء الأبطال .

ويبقى الجواهري من خلال قصائده يستذكر الأبطال المدافعين عن الوطن ، ومنهم: "عدنان المالكي" الذي استطاع بنضاله وكفاحه أن يكون قدوة للشعب العراقي في الاستبسال والنضال ، لأن دمه نزف منه في سبيل خلاص الوطن من العبودية والإذقاع ، فهو لا يرضى بالذل والهوان بل أراد أن يرفع راية العزة والكرامة ، ونلحظ من خلال صورته الفنية "أسلوب التكرار" فصورة "الشهيد" تتكرر بطريقة ملحوظة ، ولعل الهدف من التكرار هو حث الشعب على النضال والكفاح ، عن طريق استذكار الشهداء واستبسالهم في الدفاع عن حرمة الوطن . وربما تكون "صورة الشهيد" عالقة في ذهنه لم تغب عنه ، وهو ينظم قصائده الوطنية وخاصة أن الشهداء رمز للمقاومة والاستبسال في سبيل خلاص الوطن . والجواهري من خلال صورته الفنية يقارن بين حياة الشهيد في الدنيا ، وحياته في الآخرة متبعاً أسلوب "الوصف" لوصف الجنان وما يسودها من نعيم ، وهذه نتيجة منطقية لاستبسال الأبطال في الدفاع عن حرمة الوطن، ونجد أن الجواهري يغري القارئ بصورته الفنية من أجل دفعه إلى النهوض والثورة .

مشى الهداةُ على أضواءِ ضِحكته ... واستلهمتْ دَمه الفَوارَ ثُوّار
قال "المغاويرُ" إعجاباً بسيِّدهم ... حسْبُ الكتائبِ يومَ الروعِ مغوار
حسب الدجى قمر يُجلى العماءُ به ... وفي السماء مَصابيحٌ وأقمار
وكان خلفَ العزاء المُرتجى فلكٌ ... بغير ما أمَّل الراجون دوّار
تبني الحياةُ وتختارُ الرجالَ ومِنْ ... ورائها الموتُ يدري كيف يختار
جَلَّ الشهيدُ كأنَّ اللهَ جسَّده ... نوراً تُغارُ به في الجنة النار
في هذه الدار إيثارٌ وتضحيةٌ ... وفي ذُرى الخُلدِ جناتٌ وأنهار
هُناك حيثُ يحوك الخلْدُ سُنْدسَه ... أما الذي حاكت الدُنيا فأطمار *
يا من سقى دمُهُ خيرَ الزروعِ مشَتْ ... تصدُّ بَعْدَك عنه الماءَ أشرار
ويا أخا الجدثِ الثاوي بمدرَجَةٍ ... تهفو عليه رياحينٌ وأزهار
منْذُ اصطفاكَ فِداء مُعْجلاً قدرٌ ... تعاورت وطناً فدَّيتَ أقدار
من كلِّ فجٍّ تنادتْ والتقَتْ زُمراً ... إنَّ المقادير أرحامٌ وأصهار
منهُنَّ عونٌ نتاجُ الشرق مُزْمِنَةٌ ... فينا ومنهن صنع الغربِ أبكار (١)

---

* الاطمار : جمع طمر وهو الثوب الخلق .

(١) ديوان الجواهري ٤: ٢٦٥ من قصيدة "ذكرى المالكي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوظف الجواهري "أسلوب القسم" توظيفاً رائعاً من خلال صورته الفنية لحث الشعب العراقي على مواصلة ثورته وكفاحه من أجل الثأر لدماء الشهداء ، فالجواهري يريد من الشعب العراقي اشعال النيران ، والتسلح بالأسلحة ، من أجل مقاومة المعتدين على الأرض ، ويصور لنا الجواهري "صورة الأرض" وهي مروية بدماء الشهداء لتكون إيذاناً للثورة والنضال ، فنجد صورته الفنية مفعمة بالدماء ، من أجل زيادة تأثير صورته على وجدان المتلقي ، وخاصة عندما يسيل من الشهداء في سبيل تطهير بلادهم من تدنيس أقدام المستعمر :

قسَماً بيومِكَ والفُراتِ الجاري ... والثورةِ الحمراء والثُوّار
والأرضِ بالدَّمِ ترتوي عن دِمنَةٍ ... وتَمُجَّهُ عن روضةٍ مِعطار
والخيلِ تَزحفُ لم تَدَعْ لمُغِيرِها ... جثثٌ تُغَطي الأرض أيَّ مُغار !
قسماً بتلك العاطفاتِ ولم تكُنْ ... لي قبلَها من جِلفةٍ بالنّار
إنّ الذينَ عهدِتَهُم حطَبَ الوغي ... لولاهُم لم تشتعِل بأوار
واللاقِحينَ نتاجها بأعزّما ... ملكَتْ يمينٌ من حِمىً وذمار
والداهناتِ دماؤُهم لِمَمَ الثَّرى ... والمؤنساتِ شواطئَ الأنهار
والناحرينَ مِنَ الضحايا خيرَ ما ... حَمَلَت بُطونُ حرائر اطهار
ما إن تَزالُ حقوقُهُم كذَويهِمُ ... في القَفْر سارحةً معَ الأبقارا
وأعزُّ ما تبغي الحلائلُ مِنهُم ... أن تُستر العوراتُ بالأطمار [1]

ويبين الجواهري من خلال "صورة الشهيد" دور الدم الفاعل في تحقيق النصر ، عن طريق استبسال الأبطال في الدفاع عن تراب وطنهم ، فنجده يشير إلى الشهيد "صبحي ياسين" الذي ناضل وجاهد في سبيل خلاص وطنه من الإذلال والعبودية للمستعمر الصهيوني ، وأن الدماء النازفة من الشهداء ستسقي التربة حتى يتحقق للأمة النصر ، وعلى الأجيال اللاحقة الاقتداء بالأبطال والسير على خطواتهم في النضال والكفاح ، ويشبه الجواهري من خلال صورته الفنية جيل اليوم بجيل الماضي ، فالشعب في الماضي كان ينحر الناقة من أجل اكرام الضيف ، وأما شباب اليوم فانهم يضحون بأغلى ما يملكون من دماء طاهرة زكية في سبيل خلاص الوطن من الذل والعار ، ولصورته الفنية دلالتها وأبعادها المعنوية في التحريض على الثورة والنضال :

---

(١) ديوان الجواهري ٣: ١٤١ من قصيدة "ذكرى أبو الثمن" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صنعُ السماء وعند الأرض صنَعتُها ... دمُ الشباب مُلِثّاتُ سحائبه
يسقي ضريحك لا يَنْفَكُّ دائبه ... عن الضجيج ، ولا يصطك ذائبه
سبحانَ من بدّل الدنيا وساكنها ... لقدَ مَشَتْ خبَباً فينا عجائبه
كأن الكريمُ يوفّي النّذر منتحياً ... قبرَ الكريمِ عقيراتٍ نجائبه
تصاعَدَت هِمَمٌ للفدي واستبقت ... مراتبَ النفرِ الفادي مراتبه
وفّى لأمته نذراً ، مفجّرةً ... نحورُه ، وخضيباتٍ ترائبه * (١)

وسيبقى الجواهري يصور بأشعاره الوطنية نضال الشهداء ، واستبسالهم في سبيل تحرير البلاد ، فهو يصور للقارئ أجساد الشهداء ، وهي تتساقط قطعاً قطعا لتبشر بولادة جديدة تعمّ البلاد ، وتشعل في الشعب الثورة والانتقام من أجل أخذ الثأر لهؤلاء القتلى والجرحى، ويستذكر الجواهري "صورة جعفر" وهو مضرج بالدماء ، وصورته لم تغب عن ذهنه وهو ينظم قصيدته إلى "الشعب المصري" لتكون إيذانا بثورة عارمة تعمّ البلاد العربية وليس وطناً دون آخر :

واستنزفوا بالواجبات دماءَهم ... تجري بمدرجَةِ الحياة وتُهدَر
وتساقطوا قطعاً فمن أشلائِهم ... يمتدُّ هذا العالم المتحضر
ما روعةُ التأريخ لو لم يَسقه ... دمُهم به يزكو ومنه يزْهر
افدي الذين استنهضوا أوطانهم ... شأنَ الهُداة المرسَلين وطوَّروا
ودمُ الشهيدِ مضرَّجاً وثيابُه ... تُطوى وفي يومِ الحساب ستُنْشر
وأنا لسانُ الشعبِ كلَّ بليةٍ ... تأتيه أحملُ ثقلَها وأصور (٢)

ونجد من خلال صورته الفنية "الدم واثباً" أن الشعوب في كافة أقطار الوطن العربي رافضة للظلم والعبودية، وسيبقى أبناؤها يناضلون حتى يتحقق لهم الاستقلال والأمن والطمأنينة:

سالت لتملي ما تشاءُ دماؤها ... وهوت لترفَعَ شأنَها شهداؤها
وانصاع مخضوباً يركّزُ نَفْسَهُ ... ما بين ألوية الشُّعوبِ لواؤها
ضاءت وبالمُهَجَات تفرشُ أرضَها ... بالمكْرماتِ النيِّراتِ سماؤها (٣)

---

* الترائب : اضلاع في الجانب الأيمن من الصدر وفي الجانب الأيسر .

(١) ديوان الجواهري ٥: ٢٩٥ من قصيدة "الفداء والدم" .

(٢) المصدر السابق ٤: ٣١ ، ٣٥ من قصيدة "إلى الشعب المصري" .

(٣) ديوان الجواهري ٤: ١٢٤ من قصيدة "يوم الشهيد في ايران" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وصورة الشهيد" رمز للنضال والكفاح المتواصل من أجل خلاص البلاد من الاستعمار، بشتى ألوانه وأشكاله ، "فالأبطال" الذين تكررت صورتهم في شعر الجوهري رمز للفداء والتضحية ، وتكللت أعمالهم بتحقيق النصر للأمة والفوز بنعيم الآخرة ، فالجواهري يسعى من خلال صورته الفنية أن يبعث القوة في نفس الشباب من أجل تخليصهم من العبودية والإذلال . وبذلك يكون "لدم الشهيد" دور فاعل في استرداد حق الأمة ، والعيش بكرامة على تراب الوطن:

إهدري يا دماءُ ... أنتِ النشيدُ ... أنتِ في سمعِ أمةٍ تغريدُ
أنت نارٌ موقودةٌ ... لك مثنا ... وبَينا ... ومن بَينهم وقود
جنةُ الخلدِ أنتِ لا مغرياتٌ ... ونعيمٌ ! لذّاكَ عيشٌ بليد [١]

يبين الجواهري من خلال صورته الفنية أن "الشهيد" تنتظره جنات النعيم في الآخرة، جزاء ما ضحى من دماء فداء وتضحية للوطن .

ويجعل الجواهري من أخيه "جعفر" صورة صادقة للنضال والكفاح ، واستطاع بدمه الطاهر إلغاء معاهدة "بورتسموث" ، وحصول البلاد على استقلالها الجزئي ، وبذلك يكون قدوة للشعب من أجل الثورة والنهوض :

تعالى المجدُ يا أمَّ الرزايا ... تَمخَّص عن جبابرةٍ ضِخام
تملّى القبرُ منها أيَّ عطرٍ ... ووجهُ الأرض أيَّ فتى هُمام
وُهبتِ الثروةَ الكبرى دماءً ... وروحاً وارتكنت إلى حطام
ونوّرتِ الدروب لساكنيها ... وعُدْت من "السوادِ" إلى ظلام [٢]

تعددت أوصاف الدم في شعر الجواهري فمرة يصفه بالغالي ، ومرة أخرى بالمطلول، ومرة ثالثة بالرقراق ، ولهذه الأوصاف دور كبير في زيادة تأثير صورته على الوجدان . فالدم الغالي يرمز إلى تضحية أبناء الوطن بحياتهم من أجل العيش بعزة وكرامة ، والدم الذي يسيل من الشهداء سيزيد من حماسة الشعب للنضال والكفاح ، فالدم الغالي يشعل النار والثورة ، ويزيد من مقاومة الشعب للمستعمر . والدم المطلول سيبشر بحياة جديدة يتحقق من خلالها الأمن والاستقرار للأمة . "فالدم المطلول" له دور فاعل في حياة الشعب ، لأنه يسترد الأسير من العدو الغاشم . والدم الرقراق سيبقى يلح على الشعب حتى يتخلصوا من براثن الاستعمار ، وهو ينذر

---

(١) ديوان الجواهري ٥: ٤١ من قصيدة "اهدري يا دماء" .

(٢) المصدر السابق ٤: ٨٣، ٨٤ من قصيدة "قفص العظام" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالثورة . ويريد الشاعر من خلال هذه الأوصاف أن يؤجج نيران الثورة ، ويشعلها في وجه العدو من أجل الحصول على الاستقلال :

خلّـــي الـــدَّمَ الغـــالي يســـيلُ ... إنَّ المســـيلَ هـــو القتيـــلُ
هـــذا الـــدَّمُ المطلـــولُ يُخـــ ... ـتصـــر الطريـــقُ بـــه الطويـــل
هـــذا الـــدمُ المطلـــول إنْ ... عـــزَّ الكفيـــلُ هـــو الكفيـــل
أنْ يســـتردَّ بـــه الأسيـــ ... ـرُ وأن يُعَـــزَّ بـــه الذليـــل
هـــذا الـــدمُ الرقـــراقُ نهّـــا ... ضّ بمـــا يُعيـــي حَمـــول
يَذْكـــي بجمرتـــهِ العـــزا ... ئـــمَ إذ يُبَلِّدُهـــا الخمـــول
خلـــي الـــدم الغـــالي يســـيلُ ... فـــالبغيُ مرتعـــهُ وبيـــلُ
هـــذا الـــدمُ الغـــالي حييـــيٌّ ... فـــي تواضُعـــه خَجـــول [١]

يمتاز الجواهري ببراعة الاستهلال ،ووحدة البيت ، وفصاحة اللفظه ورصانته [٢] وموسيقاه الصاخبة النابعة عن استخدامه "مجزوء الكامل" ، ليتناسب إيقاعه الحاد مع التحريض على الثورة والنضال . وبذلك يكون لمطلعه أهميه كبيرة لأنه يطلع به على الناس فنجده مزخرفاً بالدم ، ليعبر عن الحياة الدموية التي تعيشها الأمة العربية .

وسيسجل الدم للأمة العزة والمجد ، ويبيض صفحات التاريخ التي عمل المستعمر على تسويدها عن طريق احتلاله للبلاد العربية ، وسيبين الأبناء المخلصون للوطن بأن الشعب رافض للذل والهزيمة ، وستبقى الدماء تنزف حتى يتحقق للأمة الاستقلال :

سَـــلْ هيكـــلَ التـــاريخ كـــم ... داســـتْ محاربَـــه خُيـــول
كـــم موكـــبٍ للبغـــي جـــا ... لَ بـــه وكـــم سُـــحبت ذُيـــول
كـــم فُصِّـــدَتْ فيـــه العـــرو ... قُ دمـــاً ؟ ولـــم يُشْـــفَ الغليـــل
سَـــلْ هيكـــلَ التـــاريخ تُنـــ ... ـبئـــكَ الشـــهودُ بـــه العُـــدول
المهـــدَراتُ مـــن الدمـــا ... ءِ كمـــا تهـــادرتِ الفحـــول
والعافيـــاتُ مـــن الضحـــا ... يـــا مثلَمـــا عفـــتِ الطلـــول
ســـل هيكـــلَ التـــاريخ كـــم ... غـــالَ المواكـــب فيـــه غُـــول
وهـــل انتهـــت - إلا بـــمـــا ... تنهـــي الشعـــوبُ - بـــه الفصول [٣]

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ١٠٥ ، ١٠٧ من قصيدة "الدم الغالي" .

(٢) ينظر مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) ديوان الجواهري ٤: ١٠٨ من قصيدة "الدم الغالي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجد أن الجواهري يجعل القارئ يتأمل "التاريخ" الحافل بالنصر والمجد التي حققته الأمة العربية ، ويأتي بصور متعددة ومتتابعة نابعة من الواقع ، فنجد "صورة الخيول" ، واستبسال الفرسان في الدفاع عن بلادهم ، "وصورة الدماء" ، وهي تهدر من الشهداء في سبيل خلاص البلاد من العبودية ، "وصورة المستعمرين" ، وغايتهم في الاستيلاء على البلدان العربية ، ولكن الشعب استطاع بنضاله وكفاحه أن يحقق الاستقلال ، والهدف من صوره المتتابعة زيادة تأثير الصورة على الوجدان من أجل النهوض والثورة ، وحصول البلاد العربية المحتلة على استقلالها . وبالنهاية يكون "الدم" هو الحل حين تعتاص الأمور :

هـذا الـدمُ المـطـلـول حـلٌ حـيـن تـعـتـاصُ الحـلـول (١)

نلحظ أن الجواهري يسجل لنا معاناة الأحرار الذين يدافعون عن الوطن ويخص بذلك فئة المنفيين والمشردين خارج البلاد ، فيبين للشعب أن الحقد والغيظ على المستعمر سمة هؤلاء المنفيين ، وهذه الصفات ستولد لديهم الثورة والانتقام من المستعمر الغاشم :

يـا غريـبَ الـدارِ فـي وطـنٍ بهـداةٍ قبلـه كفـرا
بـدمٍ سـوّى لهـم حُفـراً وبـورد كلـل الحُفـرا
راجـمَّـاً حـقـداً ومـوجـدةً شـجـراً يُـهـدي لـهـا الثمرا (٢)

ويبين الجواهري بأن "الدم" هو الخط الذي سيسير عليه الأبناء من أجل النهوض والتقدم:

"فرصوفيا" * : والدم يستبقي مدى الدهر دَما
والموت بالعزة يبني لحياةٍ سُلَّما
"فرصوفيا" أمس رأيتُ الحَجَر المكوَّما
كان جنيناً ، وفؤاداً ، ويداً ، ومِعصَما
جيلٌ تأبى أن يُطاطي فَرَموه فرَمى
لولا الرجولاتُ أراح نفسه واستَسْلما (٣)

---

(١) ديوان الجواهري ٤: ١٠٧ من قصيدة "الدم الغالي" .

(٢) المصدر السابق ٧: ٢٢٥ من قصيدة "أرميت العود فانكسرا" .

* يشير الجواهري إلى رؤيته فرصوفيا عام ١٩٤٨ وقد خربتها الحرب وذلك حين حضر المؤتمر التأسيسي لانصار السلام الذي انعقد في مدينة بركلاو في بولونيا المؤتمر الذي انبثقت عنه حركة السلم العالمية .

(٣) ديوان الجواهري ٥: ٢١٨ من قصيدة "فرصوفيا" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالجواهري يريد من الشعب اصلاح ما خربه المستعمر ، والنمو بالبلاد من أجل الازدهار والتقدم . وكانت قصيدته من "الشعر الحرّ" الذي يعتمد على وحدة التفعيلة "مستفعلن" ، وتدفق الصور الشعرية لتتناسب مع أحداث الوطن السياسية .

ويشير الجواهري من خلال صورته الفنية بأن "الدم" هو الوسيلة الحقيقية للتخلص من الفساد الموجود من قبل الحكام وأصحاب المناصب العالية ، حيث أنهم يغرقون في اللهو والترف، تاركين بقية الشعب في فقر واحتقار وحاجة .

والجواهري من خلال شعره يريد أن يدافع عن حقوق الفقراء والمحتاجين ، وأن يساندهم بأشعاره الثورية من أجل النهوض والثورة ، فالجواهري يشبه "المتنبي" بحسه البطولي وبتمرده ورفعته ، حتى لتكاد تقع على صوت المتنبي [١] الرافض للذل والهزيمة ويطالب بإنصاف أبناء الوطن من فساد الحكام ، لأن بلاده كانت في تأخر وضعف ، بسبب اغراق الحكام في اللهو والملذات وعدم اعتداد شعبهم بالقوة والإرادة والتصميم من أجل الخلاص من الضعف ، وغاية الجواهري من صورته الفنية أن يكون الشعب واعياً ومدركاً لما يجري حوله من فساد سياسي واجتماعي وفكري وعلى الأبناء المخلصين أن يثوروا على الفساد ، ولو كلفهم ذلك التضحية بدمائهم في سبيل خلاص الأمة :

دماً صاغ الحروفَ مُجَنَّحات ... رِهافاً * ، مشرئباتٍ * ، حِسانا
يردْنَ حياضه ينبوعَ فكرٍ ... ويحضُنَ اليراعةَ والبنانا
وطَار بهنَّ في شَرقٍ وغَربٍ ... كأن لهن في قصَبٍ رهانا
فُوَيقَ الشمس كُنَّ له مداراً ... وتحتَ الشمس كنَّ له مكانا
وآبَ كما اشتَهَى يشتَطُّ آناً ... فيعصِفُ قاصفاً ويرقُّ آنا
وفي حاليه يَسحَرُنا هَواهُ ... فننسى عَبْرَ غَمْرته هَوانا
فتى دوًى مع الفلكِ المدوي ... فقال كلاهما : إنا كلانا [٢]

وسيكون "الدم" منبتاً للأرض القاحلة ، ويجعلها خضراء بكفاح أبناء الوطن ، ودفاعهم عن حقهم في العيش على تراب وطنهم فالدم الأحمر يبعث الرعب والخوف والتوتر والقلق في نفس المستعمر،

---

(١) ينظر فوزي كريم : محمد مهدي الجواهري : دراسات نقدية ١٣ .

* رهاف : جمع رهيفة أي الرقيقية . والمشرئبات : المتطلعات .

(٢) ديوان الجواهري ٧: ١٠٢ ، ١٠٣ من قصيدة "فتى الفتيان المتنبي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجعله ينسحب من الأراضي العربية ، لأنه يشعر بأن أبناء الوطن يضحون بدمائهم في سبيل خلاص الأمة :

ويُطلِـــعُ لـــي الـــدمُ الفـــوّارُ منـــه ... جنـــانَ الخلـــد تضطـــرمُ اشـــتعالا
أقـــول وقـــد خَـــبَرْتُ وذُقـــت طَعْمـــاً ... جمـــالات الدُنـــا حـــالاً فحـــالا
كـــذاك ، كـــذاك ، فليُخـــرز ســـوياً ... جمـــالُ المغربيـــةِ أو فـــلالا
نـــزا صـــدرٌ بنهديـــنِ اســـتقلا ... كأنهمـــا يُريـــدانِ انتقـــالا [١]

ويمتاز الجواهري من خلال أبياته الشعرية بالقدرة الهائلة على "التصوير" المستمد عناصرها من تربة المغرب ، وما حلّ بها بعد الحصول على استقلالها ، وصورته الجميلة تبعث التفاؤل في نفس الشعب من أجل النهوض والثورة .

والدم هو الطريق الوحيد للخلاص من المستعمر ، واستطاع الشعب المصري بنضاله وكفاحه أن يلغي المعاهدة البريطانية ، وأن يحصل على استقلاله بسواعد أبنائه المخلصين .

إنّ الجهـــادَ صحيفـــةٌ مخضوبـــةٌ ... جَمَـــدتْ عليهـــا للشُـــعوب دمـــاء
هـوتِ العُـروشُ علـى مـدَب سُـطورِها ... وتصـــاغرب لحروفِهـــا الكُـــبرَاء
حمـراءُ . صارخـةٌ . ومِـنْ لمـح السـنا ... للتضحيـــاتِ فإنهـــا بيضـــاء
الهاديـــاتُ الخـــابطين تســـاقطتْ ... منهـــا علـــى خُطواتِهِـــم أضـــواء
ضلّـــوا الطريـــق فأرشَـــدَتْهم هامـــةٌ ... مَنخوبـــةٌ أو إصبَـــعٌ جـــدّاء
آمنـــتُ بالفـــادينَ ... كـــلُّ بنيـــةٍ ... لـــم تُعِلهـــا أشـــلاؤهم فهَبَـــاء [٢]

ويطلب الجواهري من الشباب أن يوقدوا النيران ويشعلوها من أجل الثورة والنضال ، لأن الدم الذي سيسيل سينير الطريق للأجيال اللاحقة من أجل الثأر لدماء الأبطال :

إيـــهِ شـــبابَ الرافدَيـــ ... ـــن وأنتُـــمُ الشَّـــرفُ الأتـــم
يـــا موقِـــدِي سُـــرُج الدمـــا ... ء إذا دجـــا ليـــلٌ أغـــم
أنتـــم كرامتُهـــا ومنـــ ... ـــم مـــا ازدَهَـــى وافـــترَّ نجـــم

---

(١) ديوان الجواهري ٦: ١٧٧ من قصيدة "تحية ونفثة غاضبة" .

(٢) المصدر السابق ٤: ١١ من قصيدة "سرّ في جهادك" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَلَـــقُ الصبـــــاح بجـــــوِّه ألَـــقٌ ، وبـــدر دُجـــاهُ تَـــم
فيكـــــمُ تنـــــارُ دروبُـــــه وبكـــــم خُطـــــاه تســـــتتمّ
ومفجّـــــري نهـــــرِ العُـــــرو ق زكـــــا لهـــــا أرَجٌ وطَعْـــــم (١)

يبين الجواهري من خلال "صورته الفنية" الوسائل التي تحقق المجد والكرامة للأمة، ومنها الحروب واشعال النار ، لنجده يرسم لنا عبر قصيدته انتصارات الشعوب بسبب اعتدادهم بالأسلحة والرصاص والدبابات ، واتصافها بالعزم والإرادة والاستبسال والشجاعة في سبيل خلاص الوطن . وصورته الفنية مملوءة بالحركة والوثوب فنشاهد حركة الخيول ومقارعة السيوف ، ونرى الدماء النازفة من الشهداء وما تبعثه من خوف ورعب في نفس العدو ، وتكون نتيجة الاشتباك انتصار الشعب السوفياتي على المستعمر الألماني ، وحصوله على استقلاله :

قـف علـى القَفْقـاس وانظـر موكـب المجـدِ والعـزةِ يمشـي خُيَـلاء
وسـل "القـوزاقَ" هـل كـان دمـاً لمعـانُ السـيف أم كـان طـلاء
وجـدَ الغـادرُ مـن قسـوتها مـا رأى لطفهـا الضيـفُ سـخاء
والعتـاقُ * الجـردُ هـل لاقـت بمـا عاقهـا مـن جثـث القتلـى عنـاء
نفخـت مـن وَدَجَيْهـا * أن رأت مُمْتطـى فارسـها أمسـى خـلاء
فهـي والغيـظُ مـرى * أشـداقها تعـركُ اللُّجْـمَ وتجـتّر الغثـاء
واحتواهـا رهَـجُ الحـربِ فمـا تُبصـر الأرضَ عتـواً وازدهـاء
مـن علـى صهوتهـا يمنحُهـا شـرف "الفـارسِ" عزمـاً وفتـاء (٢)

يوظف الجواهري "أسلوب الأمر" "قف" توظيفاً رائعاً من خلال صورته الفنية من أجل أن يلفت نظر الشعب إلى استبسال الفرسان في الدفاع عن حياض الوطن ، ليشارك الشعب في النضال والكفاح حتى يتحقق له الاستقلال .

ويتصور الجواهري مدينة "الفلـغ" بأنها عروسة مزينة بالدماء ، كناية عن استبسالها ودفاعها عن الوطن ، واستطاعت في النهاية تطهير البلاد من تدنيس أقدام العدو الألماني الذي

---

(١) ديوان الجواهري ٥: ٥٧ من قصيدة "من دفتر الغربة" أيه شباب الرافدين" .
* العتاق : جمع عتيق ، الفرس النجيب .
* الودجان : عرقان في العنق .
* مرى : سمع ويقصد ملأها .
(٢) المصدر السابق ٣: ٥٤ من قصيدة "ستالينغراد" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أراد الإستيلاء على آبار النفط في أفغانستان ، ومن ثم الوصول إلى الذهب الأسود في إيران والعراق ولكن الشعب السوفياتي رفض الخنوع له ، وقاومه مقاومة الأبطال حتى طرده خارج البلاد :

يا عروسَ "الفلغِ" والفلغا دمٌ ... ساءت البلوى فاحسنت البلاء
صبغ "الدونَ" دماءين هما ... بُعدُ بين الرجس والطهر التقاء
وجرت أمواجُه حاملةً ... فوقها الضدين صبحاً ومساء
وعلى الجرفين "عظمان" هما ... رمزُ عهدَيْن اتحطَاطاً وارتقاء
يا ابنة النهرين دومي شَبَحاً ... لقوىً وضعيفٍ يتراءى
للمهينين عقاباً وجزاءِ ... والمهاتين انتفاضا وإباء
كنت اسمى مثلاً من ظفرٍ ... لم تلده خطُطُ الحربِ دهاء
غلب الغالبُ فيه وانثنى الطوقُ ... كالحبل على الطوق انثناء
كنت رمزاً لهَمَ الجيلَ الفداء ... وهدى الأعقاب ما شاءت وشاء (١)

ويرمز الجواهري بصورته الفنية إلى الفرقة والتشتت الموجود عند العرب ، ويدعوهم من خلال صورته الفنية إلى الوحدة والتضامن من أجل تحقيق "النصر" والأمن والاستقرار للبلاد العربية :

هذا العراقُ وهذه ضرباتُهُ ... كانت له من قبل ألفِ ديدنا
ساءَ العروبةَ والعراق صميمُها ... أن يشتكي ، وقد استبيح من الضنى
جسدٌ تضعضعَ ركنُه فمشى دمٌ ... حلوٌ إلى شِرْيانه فتحصنا
كانت كموْتَمنٍ يتيمَ قلادةٍ ... مذخورة ، فاضاع عقداً مثمَنا
وطن تطهر ، إذ تطهر قلبه ... وطن وقد عادا معا فتوطنا
اليومَ عاد القاهريُّ لأهله ... وابن الشام لبيته فتبغدنا
زُرْهُمْ فإن قبورَهم مفتوحةٌ ... ليُزاد جمعُ الأدونينَ بأدونا (٢)

ويشير الجواهري من خلال صورته الفنية إلى صورتين للوطن العربي صورة الهزيمة وما ترتب عليها من خنوع وإذلال للمستعمر ، وصورة الانتصار وحصول البلاد على استقلالها. ومن

---

(١) ديون الجواهري ٣: ٥٤ ، ٥٥ من قصيدة "ستالينغراد" .

(٢) المصدر السابق ٤: ٣٠٥ ، ٣٠٦ من قصيدة "جيش العراق" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخطاء الجواهري هو أن يشتق من "الدون" صفة هي "أدون" وهي من ابتداعاته [١] وكأنه يجوز للشعراء مالا يجوز لغيرهم .

ويناشد الجواهري الشعب العراقي بالوحدة والتضامن والتكاتف حتى يتحقق للأمة النصر، وعليهم أن يأخذوا العبرة من الماضي ، واستعمار بلادهم من قبل العدو الغاشم ، ليكون عبرة لهم في مواصلة الجهاد والنضال :

يا فتيةَ العهد الجديد يَضُمُّهم ... في حومةِ العهد الجديد كفاح
يا أيّها الجندُ المجند عنده ... بالرأي واليد واللسانِ سلاح
ناشدتكم جُثَثَ الضحايا لم يزل ... منها يَرفُّ على البلادِ جَناح
بِمُعَبَدينَ الدّربَ ألقوا فوقه ... وَهَجاً يُضيء من الدّماء وراحوا
ناشدتُكمْ بالواهبينَ نفوسَهُم ... نكرانُ ذاتٍ منهُمُ وسماح
لا تتركوا الوطنَ الحبيبَ لفُرقةٍ ... نهباً يُجاء بسرحةٍ ويراح [٢]

ويريد الجواهري من كافة أبناء الشعب العراقي المشاركة بالثورة والنضال ، سواء كان ذلك عن طريق ابداء الرأي ، أو حمل السلاح ، وخوض المعارك الوطنية ، ونجد الجواهري يوظف "أسلوب النداء" "والخطاب" من أجل تحريض الشعب على النضال والكفاح .

ويبقى الجواهري يدعو إلى التكاتف والتضامن ، لأن الأمم العربية تشترك فيما بينها بلغة الضاد ، وعلى الشعوب العربية أن تتوحد في صف واحد من أجل الوقوف للعدو بالمرصاد:

ويا إخوةَ الدَّمِ في المشرقَيْنِ ... إلى "الضاد" ما بينها ترجع
تفيأ كل خفوقِ الظلال ... يثير المصيفَ بها المرْبَع
وتبقى مواطنُها الفاتناتُ ... على كل فاتنةٍ بُرْقع
تُذادُ بها فكرةٌ حُرّة ... وينبو بذي الفِكرةِ المضجع [٣]

ويدعو الجواهري الشباب إلى التسلح بالعلم والمعرفة من أجل معرفة أحداث الوطن

---

(١) ينظر إبراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ١٢٥ .
(٢) ديوان الجواهري ٤: ٣١٥ من قصيدة "باسم الشعب" .
(٣) المصدر السابق ٧: ١٣٥ ، ١٣٦ من قصيدة "إلى المجد إلى القمة" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية والاجتماعية والفكرية ، ليقفوا للعدو بالمرصاد ، ويترصدون أفعاله وأقواله الخبيثة التي غايتها إذلال الشعب وإخضاعه له ، وغاية الجواهري من صورته الفنية تقدم البلاد ونهوضها من أجل حمايتها من الأعداء :

مدارسَنا احفظي الأولاد إنّا ... وضعنا بين أضلعك الفؤادا
أريهم واجبَ الوطن المفدّى ... لكيما يُحسنوا عنه الجهادا
أريهم أننا بالعلم ننمو ... كما ينمو الثرى سُقي العهادا
أريهم أننا نبغي رجالاً ... نسود بها الممالكَ لا سوادا
أشبّانَ العراق لكم ندائي ... ومثلكم جديرٌ أن يُنادى [١]

ويهتم الجواهري بتعليم المرأة والرقي بها ، لأنها تلد الأحرار الذين يدافعون عن الوطن ويضحون بدمائهم في سبيل نهوضه وتقدمه والارتقاء به ، فاللمرأة دور فاعل وكبير في المجتمع فهي : مربية الأجيال على الفداء والتضحية في سبيل الوطن :

بابنتَ رسطاليس قصي نستمع ... عن عاشِقيكِ أقارباً وأباعدا
عن واهبينَ حياتهم ما استُعبدوا ... للشاكرين ولم يَذُموا الجُاحدا
والصاعدين إلى المشانق مثلما أر ... تقت النُسورُ إلى السماءِ صواعدا
ومحرّقين يُغازلون وَقودَها ... شوقاً إليك ويَحمَدون الواقدا
والمُسمَلات عيُونُهم ، وكأنهم ... بطُيوف شخصك يكحلون مراودا [٢]

ويرسم لنا الجواهري عبر صورته الفنية معاناته الذاتية إزاء الكتاب المأجورين الذين يدعون انهم ينظمون الشعر من أجل مصلحة الشعب ، وهم ينظمونه من أجل المال والحصول على المناصب العالية في الدولة ، ويسقط هؤلاء الفاسدون مطالبهم على الجواهري من أجل تشويه صورته لدى الشعب ، وعدم المبالاة بأشعاره الثورية والتحريضية ، فالجواهري من خلال صورته الفنية يبين الصورة الحقيقية للوطن :

---

(١) ديوان الجواهري ١: ٣٩٤ من قصيدة "الوطن والشباب" .

(٢) المصدر السابق ٣: ١٩٥ ، ١٩٦ من قصيدة "يا بنت رسطاليس" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آليـــــتُ بعـــــدَ تمـــــرُّسٍ بـــــالدهرِ مـــــن كـــــرٍّ وفـــــرّ
ووقيعـــــــةٍ أنكرتهـــــــا شـــــنعاءُ مـــــن "زيـــــدٍ" بعمـــــرو
أن افتـــــدي بدمـــــي جريـــــ حـــــاً كـــــان أن أرُديـــــه نَـــــذْري
أوقفـــــتُ شـــــطري فـــــي الشـــــدا ئـــــد كـــــي يـــــروحَ وقِـــــاءَ شـــــطري
حتـــــى إذا انفرَجـــــتْ ريـــــا حُ الدهـــــرِ عـــــن نَكْبـــــاءَ صـــــرّ
يتكـــــالبُ الشـــــرُّ المحيـــــ قُ بهـــــا فيُلجَـــــأ للأشـــــرّ
عـــــرضـــــتُ وجـــــهـــــي للـــــحتـــــ فِ دريئـــــةً وأسلـــــتُ نحـــــري [١]

ويبين الجواهري دور الأدباء والكتاب في تزوير الحقائق على حسب مصالحهم وأهوائهم ، ولا يسلطون الأضواء على الفساد الموجود من فقر وحاجة وعبودية وإذلال واضطهاد ، ويبين للشعب أن الدم هو الوسيلة الحقيقية للخلاص :

وورّثتُمُ "سبعاً وخمسين" لم تُلح بغير دم الفادين للركب كوكبا
وحُمِّلتُمُ ثِقلينِ قسطاً وجائراً ولم يُدرِ أيّ منهما كان أصعبا
وسايرتمُ "تموز" دربـاً تعثَّرت به ذكرياتٌ ما أمرّ وأعذبا
وعاتيتم "خمساً" عُجابٌ شُجونُها و "خمساً" بما حُمِّلتَه كُنَّ أعجبا
تعاصَت على التاريخ حتى تَحيَّرَتْ به صفحاتٌ كيف يُملَى ليُكتَبا
وحار الرُواةُ المُخلصونَ فلم يكن ليصدُقَ فيه المرءُ إلا ليكذِبا [٢]

ويبين الجواهري من خلال صورته الفنية "الدم واثباً" الصورة الحقيقية لفئة الكتاب المأجورين الذين يقضون أوقاتهم باللهو والمجون والابتعاد عن قضايا الأمة ، فالجواهري يريد منهم أن يتفاعلوا مع أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية حتى يتحقق للأمة الخلاص :

ولا هِينَ عن جِدِّهم بالفراغ زوايا المقاهي لهم مُنتدى
تصايحُ باللغو ما بينها صِياحَ اللقالق تنفي الحصى
وشدُّوا خيوطاً لها بأعناقِهم تَصارَخُ ألوانُها بالدَّما
الأ يخجلون إذا قايسوا حياتَهمُ بحياةِ الألى
سقوا أرضَهم بنجيعِ الدّماء فكانَ الشعارَ الدَّمُ المُستقى [٣]

---

(١) ديوان الجواهري ٧: ٤٤ ، ٤٥ من قصيدة "آليت" .
(٢) المصدر السابق ٧: ١٢٥ من قصيدة "أبا الشعر" .
(٣) ديوان الجواهري ٣: ٢١١ ، ٢١٢ من قصيدة "المقصورة" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويساند الجواهري الشعراء الأحرار الذين يسجلون بأشعارهم الثورية معاناة السجين والمشرد والمنفي والمعذب في الأرض ، ويقفون إلى جانبهم من أجل حثهم على الصمود ومواجهة العدو الغاصب. "فمعروف الرصافي" كان من الشعراء الثائرين على الاستعمار البريطاني بكافة أشكاله وألوانه، وكان شعره يسجل معاناة الشعب تحت وطأة الاستعمار ، وكان الشاعر رافضاً للظلم والعار والعبودية ، يبث من خلال شعره معاني المقاومة والبقاء في سبيل تخليص البلاد من الذل والعبودية، وتقترب أفكاره الثورية من الجواهري ، فكلاهما مساند للآخر يعبر عن فساد المجتمع وقضايا الأمة الهامة :

ما المجدُ كأسٌ تجتليـ ... ـها للسُّقاةِ يدُ المديرِ
المجدُ يُخْنَقُ بينَ أو ... تارٍ وولدانٍ وحُورِ
ما فخرُ من يمشي على ... ضوءِ الكواكبِ والبدور ؟
والمجدُ ليس رضا الوزيـ ... ـر ولا مصافَبةَ السفيرِ
المجدُ صِنْو للدما ... ءِ وللسجونِ وللقبورِ
"معروف" أمسى منحنَي ... عَطَفَ الكبيرِ على الصغيرِ
وآسيتَ جُرحي ، إنَّ جُرحَكَ ناعزٌ جمُّ البثورِ [١]

وتشير لفظة "الدم" إلى معاناة الشاعر الذاتية إزاء أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية ، ويرسم لنا عبر صورته الفنية الفساد الموجود من أجل خلق الوعي لدى الشعب من أجل الثورة والنضال ، ونستشف من خلال قصيدته "أسلوب الحكمة" النابع من تجارب الشاعر ومعاناته الذاتية النابعة من الواقع السياسي والاجتماعي والفكري .

يرفض الجواهري "السلام" الذي يكون من نتائجه استعباد الأمة واذلالها ، ويأتي الجواهري بالأدلة والبراهين الناتجة عن توقيع المعاهدات مع العدو ، و"الشعب الكردستاني" وسجل التاريخ لنا المعاناة الناتجة عن المستعمر الذي يرفع "شعارات السلام" وهو يسعى في داخله إلى تحطيم البلاد ، وتدميرها ، والاستيلاء على خيراتها ، فالجواهري يريد من الشعوب أن تأخذ العبرة والموعظة ، من أجل النهوض والثورة على المستعمر :

---

(١) المصدر السابق ٤: ٦٦ ، ٦٧ من قصيدة "معروف الرصافي" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما أفظعَ الإنسانَ لم يدفع به ... زخمُ الحياةِ بموجها الصخّاب
ما انفكَّ رغم حضارةٍ مشبوهةٍ ... مُغرىً بذبحٍ ، مولعاً بخراب
خزيانَ يمسخ بقعة مخضرّةً ... بُقعَ الدِماءِ على الرماد الكابي *
ومَشَى السلامُ مُرفرفاً بِجناحِه ... بذرى حَماماتٍ له أسراب
أضْوى الهزالُ لحُومَها وأكنَّها ... رُعْبٌ بأقبيةٍ لها وجِباب
واليوم تُسمِنُ بالأمان حواصلاً ... وتَرُب منه حواصلاً لزغاب *
وسَلِمتَ يا وطناً تكفَّلَ جَيئتي ... وأعَدَّ زاكي تُربة لإيابي
أغلى أماتِّي التحامُ صُفوفه ... ونقَاءُ وَحْدتِه أعَزّ طِلابي (١)

ويتعجب الجواهري من الشعب لأنه يرضى على نفسه الذل والهوان ، ويطلب منه الاتحاد والتضامن والالتحام من أجل الخلاص .

ويرفض الجواهري في شعره "السلم" الذي يطالب الشعب بالخنوع والإذلال للمستعمر، ويحذر القادة وأصحاب المناصب العالية من الاستعمار الذي يريد الاستيلاء على كافة بلدان الوطن العربي ، ويبين الجواهري للشعب بأن السلم هو الذي يحقن الدماء ويحقق للبلاد الاستقلال الكامل دون انتداب من قبل المستعمر وغاندي كان من الرافضين للخنوع والاستعمار:

صان غاندي دمَ الجموع وصا ... نَ الهند أنْ تستبيحَها شعواء *
وحمى الطيرَ والسوامَ من الذبـ ... ـح وقامت شريعةٌ سمحاء
أفمحرابُه تسيل عليه ... بقع من دمائه حمراء
أيها الشرق لم تزل بك أهوا ... ءٌ تعاصت ولم تزل أدواء
وسلامٌ على النبي أمدتـ ... ـه بروح من عندها الأنبياء (٢)

نلحظ أن الجواهري يجعل من "بغداد" نقطة تداعي الصور تاريخها ومجدها وحضارتها،

---

* الرماد الكابي : الخالي من النار .

* الزغاب : يريد فراخ الطير المكسوة بالزغب .

(١) ديوان الجواهري ٦: ١٤ ، ٢٣ من قصيدة "طيف تحذّر" .

* شعواء : حرب .

(٢) المصدر السابق ٥: ١٦ من قصيدة "في ذكرى غاندي" ألقيت القصيدة في احتفال الصلاة التذكارية الذي أقامته السفارة الهندية في بغداد لغاندي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ذلك جاء بالصور الجميلة المتتابعة ، التي تعبر عن احساس الشاعر بجمال بغداد ورونقها. ويطالب الجواهري عبر صورته الفنية "بالسلام العادل" ، الذي يحقن الطبيعة من الدماء ، لتعيش كافة الشعوب بعزة وكرامة على تراب أوطانها دون تدخل العدو الغاشم :

يـــا دارة المجـــد ودار الســـلامْ ... بغـــدادُ يـــا عقـــداً فريـــدَ النظـــام
يـــا أم نهريـــنِ اســـتفاضا دمـــاً ... ونعمـــة مـــن عهـــد ســـام وحـــام
شِـــعارها الشَـــمسُ وغنوانهـــا ... ســـنابلُ القمـــح وعـــدلٌ يقـــام
وبرجهـــا يحضِـــن كـــل اللُغـــى ... وســـحرها يجـــذب كـــلَّ الأنـــام [١]

وتمتاز أبياته ببراعته بالوصف وتحس بأن نسجه بحتري [٢] ، عندما يصف في سينيته ايوان كسرى واتيانه بالصور الجميلة المعبرة عن جمال البيئة العباسية التي يسودها الأمن والاستقرار .

وستبقى بغداد بلد الأحرار والثوار ، سيدافع عنها أفراد الشعب بدمائهم حتى يحموها من تدنيس أقدام العدو ، وسيسجل "التاريخ" صورتها المشرقة وأن طال الزمان ، بسواعد أبنائها الأبطال ، وماضيها يبشر بقوتها وعزمها من أجل الحصول على الاستقلال :

لا درّ درِكِ مـــن ربـــوع ديـــارِ ... قـــربُ المـــزار بهـــا كبُعْـــدِ مـــزارِ
يهفـــو الـــدّوار بـــرأس مـــن يشـــتاقها ... ويصـــابُ - وهـــو يخافهـــا بـــدوارِ
لكـــأن طيفِـــك إذ يطـــوف بجنـــةٍ ... غنـــاء يمســـخها بســـوح قفـــارِ
لا درّ درك عريـــة غطـــى بهـــا ... مـــن لعنـــة التـــاريخ شـــرٌ دثـــار
واســـتامها فلـــك النحـــوس وشـــوّهت ... ممـــا يـــدوّرُ دورةُ الأقمـــار
عشـــرون قرنـــا وهـــي تســـحب فوقهـــا ... بـــدمٍ ذيـــول مواكـــب الأحـــرار [٣]

فبغداد منذ القدم رافضة للعبودية والاستسلام للأعداء تدافع عن حقها بدماء الأحرار ، فالدم يرمز إلى مقاومة المستعمر ، واستبسال أهل العراق في الدفاع عن حرمة الوطن .

ويرسم الجواهري عبر صورته الفنية "الدم واثباً" متناقضات الحياة البشرية من خير

---

(١) ديوان الجواهري ٧: ٢٧٣ من قصيدة "يا دارة المجد" .

(٢) ينظر هاشم الطعان : محمد مهدي الجواهري ، دراسات نقدية ، ١٣٨ .

(٣) الجواهري في العيون من أشعاره ٦٨٢ من قصيدة "بغداد" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشر، حب وكراهية ، فرح ، وغضب ، ايثار وأنانية ، وهذه السمات الذي يصف بها الوطن تجعله قريباً من الواقع يمس حياة الناس ، وقضاياهم الهامة ، والجواهري يريد من الشعب التخلص من الصفات الرديئة ، والاتسام بالصفات الجيدة والتاريخ العربي حافل بالصور الحزينة والمشرقة للوطن ، والجواهري يحبذ الصفات الجيدة لأنها أصيلة في نفس الأحرار ، الذين يضحون بدمائهم في سبيل حماية وطنهم من الأعداء :

يا صورة الوطن انصبَّت معالمها	على معالمِ ما أبقت يدُ العُصُر
تلاحَمَ الضوءُ في عطرٍ وفي نَغَمٍ	منها أصيلٍ فلم تُنسخ ولم تُعَر
أعطيتَ أنْفَس كنزٍ من نقائضها	فكن رقيباً عليها غايةَ العمر
طِرما استطعت مطاراً عن نقائصها	وعن مرافعها الجُلّى فزِد وطر
وكن فخوراً بما أعطيت من دمه	على الحجولِ ، وفي الأوضاح والغرر
فإن تحداك من عليائه ملكٌ	يزهو عليك فقل إني من البشر [١]

ومن هنا جاءت صورته الفنية "الدم واثباً" لتعبر عن معاناة الأمة العربية إزاء الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية ، التي مرّ بها الوطن العربي ، فكان الجوهري شاهداً على الأحداث ، مؤرخاً لها بصورته الفنية المستمدة عناصرها من الواقع بصورتية الحزينة والمشرقة . والجواهري يريد أن يخلق الوعي لدى الشعب من أجل النهوض والثورة لتخليص البلاد من العبودية والإذلال للمستعمر .

ولم يكتف الجواهري بتصوير الأحداث النابعة من الواقع ، بل بين للشعب الوسائل الحقيقية للخلاص ، ومنها : الاعتداد بالأسلحة ، والرصاص ، والمعدات الحربية ، والاتصاف بالعزم ، والإرادة ، والقوة ، والبسالة . بالإضافة إلى الاتحاد والتضامن والتكاثف .

وجاء بالأساليب الفنية من "تكرار" ، و "طباق" ، و "تقسيم داخلي" ، و "استفهام"، "وتعجب" ، من أجل زيادة تأثير صورته الفنية على وجدان المتلقي بدلالتها وأبعادها المعنوية والمادية .

ونستطيع أن نقول أن الصورة الشعرية عند الجواهري وحدة تركيبية يبدعها الشاعر بالعناصر الفنية كلها على نحو متميز [٢] ، تتدخل فيها الدلالة الذهنية مع النفسية والرمزية والبلاغية ، لتعبر عن الواقع السياسي والاجتماعي والفكري النابع من أحداث الأمة العربية .

---

(١) ديوان الجواهري ٥: ٣١٤ من قصيدة "أرح ركابك" .

(٢) ينظر بشرى موسى صالح : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة :

اتخذ الجواهري من لفظة الدم نقطة مركزية ، لتعبر عن أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية ، من خلال بنية القصيدة الكلية ، وجعل الدم هو الذي يتكلم عن قضايا الأمة العربية ، وما تعرضت له من ظلم واستبداد واحتقار من قبل المستعمر ، ورموزه من ذوي النفوذ القوي . ونجد الدم يتصارع مع هؤلاء الظالمين المستغلين لأبناء الوطن ، ليسجل في النهاية صورة صادقة ومعبرة عن الواقع العربي ، وما يعانيه مع من في الداخل والخارج ، أعني صراع الشعب مع الحكام والمسؤولين ، وصراع الشعب مع الدول الاستعمارية . فالجواهري يجعل الدم هو الحل بوصفه رمزاً للنضال والكفاح في سبيل خلاص الأمة وعيشها بحرية واطمئنان ؛ ولا يكون ذلك إلا بسواعد أبنائها المخلصين . وقد وفق الجواهري من خلال صورته الفنية ، وأكد لنا فكرة محورية ، هي أن الفنان المبدع هو الذي يصطدم بالواقع ، ويعبر عنه بأبعاده السياسية والفكرية والاجتماعية ، وقد يكلفه ذلك النفي والتشريد والسجن ، وحتى الإعدام ومع ذلك فلا بدّ أن يبقى متمسكاً بقضايا أمته ، ومعبراً عنها طيلة حياته . فهذا هو الإنسان والأديب – في رأي الجواهري وعبر ديوانه الشعري – ولذلك كثر في شعره صورة الفقير ، والمنفي ، والمشرد والسجين ، والشهيد ، لقد كان هؤلاء حقاً هم أبطال الجواهري ، وهم رمزٌ للنضال والكفاح والوثوب ، وهم في الوقت نفسه الذين يرتبطون ارتباطاً كلياً بالدم ، سفكاً وتضحية وبذلاً . لحظناه يكرر صورهم عبر ديوانه الشعري فيلتحم معهم بأحاسيسه ومشاعره .

٤٩٦٧٢٨

أراد الجواهري بهذا أن يخلق وعياً لدى الأمة من أجل النهوض والثورة ، ورأى أن الدم هو الوسيلة الفنية الأروع والأقوى ، لأنه يبعث على الخوف والرعب في نفوس أعدائه وأعداء شعبه، بالإضافة إلى أنه المحرك للثورة ، وخاصة عند استشهاد حبيب أو صديق أو مناضل ، وإذا بالدم يغلي في العروق ، طلباً للثأر وهذا ما سعى إليه الجواهري عبر مفردة الدم ، لتكون في النهاية رمزاً للنضال ومفتاحاً للحرية ، يقود للتخلص من الظلم والعبودية .

فالدم هو العنصر الأساسي في لوحته الفنية الذي انعكس على المتلقي ، فأثّر في وجدانه فلحظناه يمزج صورته الفنية "بالدمع" لتكون مثاراً للحزن والألم والنواح والبكاء ، وعن طريقها يخلق حالة استفزازية لدى الشعب من أجل التحرك والوثوب . فالدمع هو الخطوة الأولى للتحرك، ويبقى الجواهري مسيطراً على صورته الفنية ، ويذكر من خلالها الظلم الذي لحق بالوطن العربي ، ويخص بذلك العراق وفلسطين وسوريا ولبنان ومصر . ومن يقلب التاريخ وينظر في صفحاته يجد فيه ما يحزن القلب ويدمي العين ، فالجواهري أراد أن يقف إلى جانبهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعبر عنهم ، من أجل دعم معنوياتهم المبعثرة ، ورأى أن الدم هو وسيلته ، فجعله يتكلم عن ويلات الاستعمار ومجازرهم ، منذ الحكم العثماني وحتى وقتنا الحاضر . وجعل الدم رمزاً للنضال والكفاح المسلح والثورة ، وبهذه الوسائل يتحقق للأمة الشرف والنصر .

وقد وظف الجواهري أساليب متعددة لإبراز صورته الفنية ، ومن هذه الأساليب توظيف التراث ، فنجد عنده اقتباساً من القرآن الكريم ، وتضميناً من الشعراء القدماء ، من أمثال الخنساء وأبي العلاء المعري ، والمتنبي ، والبحتري ، بالإضافة إلى ورود الأمثال القديمة ونستدل من ذلك على أن شاعرنا مزود بثقافة واسعة يجمع فيها بين القديم والحديث .

ويستخدم الجواهري أساليب الإنشاء ، وخاصة أسلوب الخطاب ، لحث الشعب على النضال والثورة ، بالإضافة إلى أساليب الاستفهام والأمر والنهي وأفعال المضارعة ، والهدف منها هو زيادة تأثير الصورة على الوجدان ، بقدرة هذه الأدوات على خلق الحالة الاستفزازية لدى الشعب من أجل التمرد .

ووظف الجواهري الأبحر الشعرية ذات الإيقاع القوي الذي يتناسب مع مناسبة القصيدة والحالة النفسية الذي يكون عليها الشاعر ، والغاية حث الشعب على الثورة والنضال ، وأبرز هذه الأبحر الكامل والطويل والبسيط والوافر ، وهي الأبحر الشائعة عند كبار الشعراء ، كما أنها الأبحر التي استخدمت في الموضوعات الجادة القوية ، بطول نفسها ، وتعدد تفعيلاتها .

ومن الحقائق التي توصلت إليها خلال قراءة ديوان الجواهري طبعة بغداد ، دار العودة- بيروت هو أن طبعة بغداد من أكمل الطبعات ، ويوجد فيها أبيات تزيد عن طبعة دار العودة – بيروت ، وهنا نرد على ما قاله سليم طه التكريتي بأن طبعة دار العودة ، بيروت هي نفس طبعة بغداد يقول : "ولقد أصدرت دار العودة – بيروت خلال سنة ١٩٨٢ مجموعة كاملة لديوان الجواهري ضمت نفس ما حوته أجزاء الديوان السبعة التي أصدرتها وزارة الثقافة والإعلام في العراق" [١] . وإن أسلوب الجواهري في كتابه "ذكرياتي" كان يتسم بأسلوب القاص، الذي يسجل لنا معاناته الحقيقية إزاء أحداث الوطن السياسية والاجتماعية والفكرية ، ويسجل أهم الأحداث في حياته .

وأخيراً فإن وفقت في هذا البحث فهو من فضل الله عز وجل ، وإن أخطأت فهذه أولى خطواتي في طريق البحث والدراسة ، وأتمنى أن أتجنبها في المستقبل والله ولي التوفيق .

---

(١) ينظر سليم طه التكريتي : محمد مهدي الجواهري ١٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع :

١. إبراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ط دار الثقافة ، بيروت ، – ١٩٧ .

٢. إبراهيم علان : الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال ، ط١ ، الشارقة ، ١٩٩٥ .

٣. أحمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث ، د.ط، ١٩٧١ .

٤. أحمد مطلوب : النقد الأدبي الحديث في العراق ، ط ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ .

٥. بشرى موسى صالح : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٤.

٦. جابر عصفور : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دراسة في أصولها وتطورها . دار الأندلس ، ط٢ ، ١٩٨١ .

٧. جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، بيروت ، دار التنوير، ١٩٨٣ .

٨. جبرا إبراهيم جبرا : النار والجوهر ، دراسات في الشعر ، ط ، دار القدس ، ١٩٧٥ .

٩. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي : لسان العرب .

١٠. جمال الدين الألوسي : بغداد في الشعر العربي من تاريخها وأخبارها الحضارية ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧ .

١١. جميل بركات : فلسطين والشعر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٩ .

١٢. جميل علوش : من شعراء العصر .

١٣. حسن العلوي : الجواهري ديوان العصر ، ط١ ، دمشق ، ١٩٨٦ .

١٤. حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٥ .

١٥. داود سلوم : مقالات عن الجواهري وآخرين ، ط ، دار النعمان بالنجف ، ١٩٧١ .

١٦. رؤوف الواعظ: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، دار الحرية للطباعة، ١٩٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧. سليم طه التكريتي : محمد مهدي الجواهري ، ط ، رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٨٩.

١٨. الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

١٩. عبد الفتاح صالح نافع : الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، ١٩٨٣ .

٢٠. عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ط١ ، ١٩٨٠ .

٢١. عبد الكريم الدجيلي : الجواهري شاعر العربية ، ط الآداب في النجف الإشرف ، ١٩٧٢ .

٢٢. عبد الكريم الدجيلي : محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٥٩ .

٢٣. عبد الله الجبوري : الجواهري ونقد جوهرته ، نظرات في شعره وحياته ، دراسة ونصوص عالم الكتب ، بيروت .

٢٤. عدنان حسين العوادي : لغة الشعر الحديث في العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ .

٢٥. العسكري : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥) كتاب الصناعتين ، ط١ ، تحقيق مفيد قميحة ، ١٩٨١.

٢٦. علي حسن البصير : بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧ .

٢٧. علي علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، ط ، منشورات وزارة الأعلام ، ١٩٧٥ .

٢٨. عمران الكبيسي : لغة الشعر العراقي المعاصر ، ط١ ، الكويت ، ١٩٨٢ .

٢٩. أبا عوض أحمد الفاروبي عبد اللطيف : الحركات الفكرية والأدبية في العالم العربي الحديث ، ١٩٩٥ .

٣٠. فاروق البقيلي : الجواهريات ذكريات أيامي ، ط ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٣١. فاروق سعد قرحان أبو جابر : الجواهري شامخاً في حياته ومماته ، ط١ ، عمان ، ١٩٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٢. ماجد السامرائي : التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نكسة حزيران ١٩٦٧ .

٣٣. مجدي وهبه ، كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان.

٣٤. محمد إبراهيم عبد العزيز شادي : الصورة بين القدماء والمعاصرين ، ط١ ، جامعة الأزهر .

٣٥. محمّد حُوّر : بكاء رمز جمال عبد الناصر في مراثي الشعراء ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٧ .

٣٦. ديوان الشاعر : طبعة بغداد ١٩٧٣-١٩٧٨ .

٣٧. طبعة دار العودة – بيروت ، ١٩٧٣-١٩٨٢ .

٣٨. الجواهري في العيون من أشعاره : طبعة دمشق ١٩٨٦ .

٣٩. محمد مهدي الجواهري : ذكرياتي ، ط١ ، ١م ، دمشق ، ١٩٨٨ .

٤٠. محمد مهدي الجواهري : ذكرياتي ، ط ، ١م ، دمشق ، ١٩٩١ .

٤١. محمد عبد الغني المصري : دراسات أدبية في الشعر العربي الحديث ، ط١ ، دار الفرقان، ١٩٨٤ .

٤٢. محمد فتوح أحمد : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

٤٣. مير بصري : تقديم جليل العطية : أعلام الأدب في العراق الحديث ، ط١ ، جـ١ ، دار الحكمة، ١٩٩٤ .

٤٤. نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ط٢ ، دار الأقصى ، ١٩٨٢ .

٤٥. نعيم اليافي : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث .

٤٦. هادي العلوي : محمد مهدي الجواهري ، دراسات نقدية أعدها فريق من الكتاب العراقيين، بغداد ، ١٩٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٧. مصطفى بدوي : مختارات من الشعر العربي الحديث ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٤٨. هاني الخير : مشاهير وظرفاء القرن العشرين ، ط١ ، دمشق ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

الدوريات :

١. حبيب صادق : المغني لنور الشمس : الطريق ، عدد ٦ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ ، ص١١٥-١٢٠ .

٢. حميدة نعنع : مقابلة أدبية مع محمد مهدي الجواهري ، الآداب ، مجلد ٢٦ ، عدد ١٢ ، بيروت-لبنان ، ١٩٧٨ ، ٤-٧ .

٣. حنامينه : لمن يبكي الفرات : الطريق ، عدد ٦ ، لبنان - بيروت ، ١٩٩٧ ، ٨٥-٨٧ .

٤. جوزف حرب : حف على الجن : الطريق ، عدد ٦ ، لبنان - بيروت ، ١٩٩٧ ، ١١٠-١١٤.

٥. سعدي يوسف : محمد مهدي الجواهري ، الطريق ، عدد ٦ ، لبنان - بيروت ، ١٩٩٧ ، ١٠٤-١٠٩ .

٦. سعيد عقل : رفيق القوافي ، الطريق ، عدد ٦ ، لبنان - بيروت ، ١٩٩٧ ، ٨٠-٨٤ .

٧. شاكر الفحام : حفل تكريم محمد مهدي الجواهري ، المعرفة ، دمشق ، مجلد ٢ ، عدد ٣٨٥، ١٩٩٥ ، ١٨-٢٥ .

٨. شوقي بغدادي : الجواهري ، المعرفة ، المجلد ٢ ، عدد ٣٨٥ ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٥ ، ٥٧-٦٠ .

٩. طلال سلمان : حفل تكريم الشاعر محمد مهدي الجواهري ، المعرفة ، مجلد ٢، عدد ٣٨٥، دمشق ، ١٩٩٥ ، ٤٦-٥٣ .

١٠. عبد الرحمن منيف : الجواهري والسياحية ، الطريق ، عدد ٦ ، ١٩٩٧ ، ٩٨-١٠١ .

١١. عبد الوهاب البياتي : حفل تكريم محمد مهدي الجواهري ، المعرفة ، مجلد ٢، عدد ٣٨٥، دمشق ، ١٩٩٥ ، ٣٢-٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢. عبد المنعم رمضان : رحيل شاعر القرن محمد مهدي الجواهري وداعاً أيها الشريد ، إبداع ، مجلد ١٥ ، عدد ٨ ، تصدر عن الهيئة المصرية ، ١٩٩٧ ، ٩-٣٠ .

١٣. عبد الوهاب البياتي : إلى الجواهري الذي رحل في عيد ميلاده ، الطريق ، عدد ٦ ، ١٩٩٧ ، ١٠٢-١٠٣ .

١٤. محمد بركات : أبو فرات شاهد على العصر ، الوطن العربي ، عدد ١٠٦٦ ، تصدرها شركة بريد جمونت القابضة ، ١٩٩٧ ، ٥-٧ .

١٥. محمد حسن الأمين : الأرض نجمته الأغلى : الطريق ، عدد ٦ ، ١٩٩٧ ، ٩٤-٩٨ .

١٦. محمد دكروب : محمد مهدي الجواهري مئة عام من الحضور الطريق ، عدد ٤ ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧ ، ٤-٧ .

١٧. محمد دكروب : الشاعر الناس ، الطريق ، عدد ٦ ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧ ، ٧٨-٧٩.

١٨. محمود أمين العالم : حفل تكريم الشاعر محمد مهدي الجواهري ، المعرفة ، مجلد ٢ ، عدد ٣٨٥، دمشق ، ١٩٩٥ ، ٣٥-٤٥ .

١٩. محمود أمين العالم : شعره سجل ملحمي بطولي لشعبه وأمته وللقرن العشرين ، الطريق ، عدد ٦ ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧ ، ٨٨-٩٣ .

٢٠. ميسون اسماعيل : محمد مهدي الجواهري شاعر العرب الأكبر ، المعلومات ، عدد ٥٣ ، يصدرها قسم المعلومات والأبحاث بالتعاون مع نادي الأهرام للكتاب ، ١٩٩٧ ، ٣٤-٣٦ .

الصحف :

١. الدستور ، عمان ، ع ١٠٧٥٥ ، ١ آب ، ١٩٩٧م .

٢. الدستور ، عمان ، ع ١٠٧٥٦ ، ٢ آب ، ١٩٩٧م .

٣. الدستور ، عمان ، ع ١٠٧٥٧ ، ٣ آب ، ١٩٩٧م .

٤. الدستور ، عمان ، ع ١٠٧٦٢ ، ٨ آب ، ١٩٩٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. الرأي ، عمان ، ع ٩٨٢٥ ، ١ آب ، ١٩٩٧م .

٦. الرأي ، عمان ، ع ٩٨٣٠ ، ٦ آب ، ١٩٩٧م .

٧. الرأي ، عمان ، ع ٩٨٣٢ ، ٨ آب ، ١٩٩٧م .

٨. الرأي ، عمان ، ع ٩٨٣٩ ، ١٥ آب ، ١٩٩٧م .

٩. الرأي ، عمان ، ع ٩٨٥٢ ، ٨ آب ، ١٩٩٧م .

١٠. الرأي ، عمان ، ع ٩٨٦٧ ، ١٢ أيلول ، ١٩٩٧م .

١١. الرأي ، عمان ، ع ٩٨٧٤ ، ١٣ أيلول ، ١٩٩٧م .

١٢. اللواء ، عمان ، ع ١٢٦٨ ، ١٣ أيلول ، ١٩٩٧م .

١٣. العرب اليوم ، عمان ، ع ١١٢ ، ٣ جمادى الأولى ، ١٩٩٧م .

١٤. العرب اليوم ، عمان ، ع ١١٩ ، ١٥ جمادى الأولى ، ١٩٩٧م .

١٥. العرب اليوم ، عمان ، ع ١٤٠ ٣ تشرين الأول ، ١٩٩٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Blood presentation in Al-Jawahiri poetry

Prepared by

Zein Abd Altef Al-Beshawi

Supervisor by

Prof. Dr. Mahmoud Al-Smra

The continuous picture that the artist has refers to some painful experiments which he can not get rid of Al-Jawahiri had noticed a group of home accidents since he was jailed till he departed his homeland preferring the optional exile rather than staying in such circumstances where he can not keep silent, otherwise, he has to face them. The mothers picture could extremely expose Al-Jawahiri's state ... highlighting political, social, and thought conditions that home has noticed, it had the poet, the politician, the journalist, and the historian.

We can divide his technical picture for two parts: a mental and sensus ones sometime the morl intermixes with the sensus to create life. When he composes a poem he unites all his innerfeelings either coming from mind or sense, without taking care that this picture has to be a mental or a sensous one in the same degree of his interred to transfer his experiment to the receiver. The picture in his works does not separate between the real and the figurative as the rhetoric inference and its types do, but the real is connected with the sensuos to form the picture with all its active and symbolity, those two pictures are employed to serve the poet's idea and then transfer it to the reader's mind. Our poet might create by his sensus picture and bring various types such as the color audio and mobile pictures, these types are the distinguishing mark for the poet among others in his ability to employ than to serve the main idea in the text picture unite with each other to express the symbolic reference that the

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

poet needs with a slight reference, he aims through sings to give a deepest depth of the sensous picture to a separate direction which is transferred through the complete poem, here the symbol plays a stronger role than the picture itself, it is for his an embodying for a certain idea, whereas the symbol is considered abstractive.

The poet's symbol might be a compound picture that unites in structuring all the different execution means such as pictures, idioms, and rhymes so as to create a feeling atmosphere within the receiver's depth, that fits the poet's atmosphere.

The modern poet is still keeping (conserving) the frame of the traditional poem with the consideration of developing in his own style in regard at pictures, idioms, and rhymes. To the traditional poet, the picture is a mental one that take it's subjects from the Holly Qur'an proverbs, and Arab poetry, he also employs this inherited item so as to serve his main idea. With this, he completely employs the inheritance using symbol's methodology.

The traditional poet chases specific metres of the Arab a high tone (volume) and a sharp drumming with the listener's ears, he also uses a group of methods to create this high tune such as opposites, similars, repetition, and letter distribution. Moreover, the poet does not think of the poetic rhyme the same way as he cares about the occasion, its significance, and its effect to his psychological state. At the end, the poem become an organic unit through reference connection together, and its ability to achieve coallision in regard of formation, and poetic spirit's level. When talking about the technical picture for our poet, we can study the blood picture in Al-Jawahiris poetry within three significances:

1- The mental Evidence.

2- The psychological Evidence.

3- The Symbolic Evidence.

These evidences sometimes entangle together to express the poets experiment towards home accidents.

It draws the attention to find that "blood" is one of his expressing means in this scope. Therefore, in some poems we find him expressing the tragedies of the Iraqis, Egyptians, Lebanese, Shamise, Palestinians, and even the Algerians, since all these countries have suffered all types and colors of colonialism such as the British, French, and Zionist. Here comes

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Al-Jawahiri in the shape of tears to create the provoking state for people to rise and revolute. He also made a link between blood and its sequences as death and demolishment, and between the tears that as a result has a role in the evidence and morale meanings.

Finally, blood and tears pictures form in Al-Jawahiri's poetry a technical state expressing the period of defeat, concurrence for colonial in all its types.

Lament has taken a poetic purpose to express his sadness and grief for the Arab homeland, and to charge its people with the spirit of resistance.

In addition, calling them for unity, cooperation, and support instead of departure and weakness, with this they can achieve pride and victory. Al-Jawahiri is his technical picture calls people to rise and revolute, in addition to enthusiasing them for Jihad and struggle, and to gather their scattered morals so as to get their independence, he also make the blood talk about the countries loss, and exiling the people from their lands. He aims from that to creating the evoking state for revolution. Al-Jawahiri brings many pictures taking their aspects from the fact, so we find that he has the poor, prisoner, the lost's, the exileds, and the culture's pictures and their suffering by those people who have high ranks and power, to make their picture a true evidence for their cruelity and interest to look for their own benefits, whereas people suffer the poverty and need, his letter continue bleeding until people achieve their aim, which is ending colonial control. Blood is the state of total submit after the mental and psychological assurance, then we see him at the end tells us the story of rejecters and revolutionaries until they be able to change. That will not happen without having the strong well, power, and being armed morally and technically.

Therefore, this study came to handle the picture of blood in Al-Jawahiri's poetry, and the meanings of lasting, and resistance it bears despite grief, pain and despair, the Arab world is exposed under.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit